

مجلة شهرية يصدرها اتحاد المؤلفين والكتاب العراقيين

العدد الرابع
السنة التاسعة

نيسان ١٩٧٥
ربيع الاول – ربيع الثاني ١٣٩٥هـ



العدد الرابع | السنة التاسعة | نيسان ١٩٧٥

مسجلة بدائرة البريد برقم ١٣٣

دار الحرية للطباعة
مطبعة الجمهورية ــ بغداد
١٩٧٥

الكتـــاب

مجلة شهرية يصدرها اتحاد المؤلفين والكتاب العراقيين

★

جميع المراسلات باسم رئيس التحرير
الحوالات المالية باسم سكرتير التحرير



الادارة

مقر الاتحاد : الصرافية مقابل معهد الادارة رقم ١ــ٤ــ٢٠٥ ، بغـداد
صندوق البريد : ٤٠٦٨ ، تلفون ٢١٩٧٠

بدل الاشتراك السنوي :	**فلس**	**دينار**
داخل العراق	٠٠٠	٢
للدوائر الرسمية	٠٠٠	٤

الحـزب ٠٠ والثقافـــة والادب

في الذكرى العطرة لتأسيس الحزب القـــائد ، حزب البعث العـربي الاشتراكي ، وفي منعطف تحول حاسم في تاريخ العراق والامة العربية المعاصر ، يجدر بنا ان نستلهم تراث الحزب خلال الثمان والعشرين عاما الماضية الذى هو نتاج النضال الحاسم ضد الاستعمار والصهيونية والرجعية والذى هو ثمـرة الابداع الفكري في المجالات المختلفة السياسية والاقتصادية والثقافية ٠

ولقد ساهم الكتاب والادباء الثوريون ، في تعميق الاتجاهات القوميـــة التقدمية واستنهاض العزائم للسير الى اخر الدرب للانتصار على عهد الرجعية والاستغلال في وطننا الكبير ورسم صورة المعاناة التي يعيشها الكادحون في تلك العهود ومساهمة هذه الجماهير الطيبة المناضلة في صنع حاضرها ومستقبلها ٠

لقد ركز الحزب في مناهجه على أهمية ارتباط فكر الاديب المناضل بالنضال القومي والصراع الطبقي لجماهير امتنا العربية ٠ فهذه الصراعات الحاسمة هي بالتأكيد كانت ولاتزال محور الدراما في المسرحية والرواية ، والعقدة في القصة ، والحركة والصورة في الفن وفي مجالات الثقافة الثورية الاخرى تغذيها طموحات المستقبل في بناء وطن مرفه مصورا في خيال هو انعكاس واحيـــاء لمؤشـرات الحاضر ٠ وهذه الصراعات هي بلا شك محور حركة الجماهير الكادحة والانسان العربي في حاضره ومستقبله ، وعلى الاديب والكاتب والفنان ان يلتزم برسمها بقلمه او فرشاته أو ازميله بصورة واقعية تجتـــاز الافكار البرجوازية وتفرز الاتجاهات اللبرالية المعادية للجماهير ٠

اما مسألة الاهتمام بالتراث ، فلعلنا ، نحن العرب ، نملك تراثا خصبا وخصوصا في الثقافة والادب ، ويحسن بنا الا نقضى حياتنا فيه نعيش في هواجس الماضى بقدر ما نضع ايدينا على الآثار المبدعة في تاريخ امتنا ونربط مجد الماضى العريق بروح العصر وطموحات المستقبل ٠ اي استكشاف القيـم الانسانية والابداعات الفكرية على اساس فهم العلاقة الجدلية بين الارتباط الحي والواعي بالحاضر والمستقبل ، مع استلهام تراثنا المجيد والمحافظة عليه واحياء الجيد منه ٠

ان المرحلة الحالية التي يمر بها عراق الثـــورة ، تقتضي من مثقفينا ، الالتزام بربط نتاج ثقافتنا عمومـــا بالمجتمع والالتصاق باحاسيس الجماهير الكادحة التى تبنى اليوم عراقا جديدا مع النضال الدائب ضد التيارات الشوفينية والطائفية والاقليمية لانهاء العلاقات الاجتماعية والثقافية المتخلفة ومن اجـل جعل مسيرة تعميق الثقافة والفكر الاشتراكي موازيـــة للتحولات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية .

★

اضواء على سيرة بشار

- ١ -

الدكتور علي الزبيدي
الاستاذ في كلية الاداب بجامعة بغداد

المراجع والمصادر

لم يحظ بشار بن برد على الرغم من منزلته الكبيرة في تاريخ الشعر العربي ، بدراسة واسعة مفصلة تلتزم منهج البحث الادبي والتاريخي والنقدي الحديث . وربما كانت المقدمة الطويلة التي كتبها محمد الطاهر بن عاشور ، وصدر بها الجزء الاول من ديوان بشار المنشور سنة ١٩٥٠ اقرب الدراسات التي ظهرت حتى الآن الى مناهج البحث المشار اليها لالتزامها بأهم اسس البحث وشروطه كالحذر العلمي والتأني في اطلاق الآراء والاحكام العريضة العامة والتدقيق والتحقيق في بعض الاخبار والنصوص والابتعاد عن النقد الانفعالى او التأثري الذي غلب على بعض الدراسات القليلة التى تناولت هذا الشاعر . ولكن الظروف التي تحيط بمقدمات الدواوين يغلب ان تدفع المحقق الى الكتابة قبل ان يضع خطة منهجية منظمة مدروسة ، هذا فضلا عما يتطلبه نشر الدواوين وتحقيقها من استطراد الى موضوعات اخرى(١) . وهذا يعني ان الحاجة الى دراسة منهجية مفصلة جديدة عن حياة بشار بن برد مازالت قائمة .

وكان عميد الادب العربي الدكتور طه حسين — رحمه الله — أول من فصل الكلام في حياة بشار وشعره ، ولنقلْ في بعض نواحي حياته وشعره . تقرأ له ذلك في المقالات الصحفية التي اعيد نشرها في كتابه — حديث الاربعاء — في العقد الثالث من هذا القرن . وقد غلب النقد التأثري على هذه المقالات فدارت على شرح وايضاح انطباعات طه حسين ذاته وآرائه الخاصة في شخصية بشار وشعره . وقد رسخت مقالاته في الاذهان صورة قاتمة كريهة عن هذا الشاعر . ومع أن طه حسين نجح في ابراز بعض الحقائق الادبية والتاريخية الا ان مقالاته ليست دراسة منهجية شاملة عن حياة بشار الطويلة وشعره

---

(١) انظر مقدمة ديوان بشار بن برد بتحقيق محمد الطاهر بن عاشور والديوان بأربعة أجزاء نشر بتحقيقه وشرحه سنة ١٩٥٠ وهو عمل جليل جدير بالثناء .

والخصائص الفنية التي جعلته شيخ المولدين والمحدثين ورائد الاسلوب المولد . ويبدو ان الدكتور طه قد شعر بما في مقالاته من اندفاع فقال : وقد حدثني قوم ان ديوان بشـار موجود الآن في تونس ، أو في بلد غـير تونس ، وأن من الادباء من يعمل لنشره ، فاذا كان هذا الخبر صحيحا فنستطيع ان ندرس بشارا ونحكم عليه من كثب ، وانا لهذا احتفظ بحكمي عليه ، وأستبيح لنفسي تغيير رأيي فيه ، اذا ظهر هذا الديوان ، وان كنت استبعد كل الاستبعاد ان يضطرني ديوان بشار الى ان أغير رأيي في بشار وشعره[٢] .

لسنا اذن أمام دراسة دقيقة لسيرة بشار وفن بشار انما نحن ازاء راي نقدي خاص في شخصية هذا الشاعر وشعره ، رأي استهله بقوله : ليس وجه بشار بذلك الوجه المشرق الجذاب الذى يستميلك ويستهويك ، وانما هو فيما اعتقد رجل ثقيل الظل ، له من الفن حظه الموفور ، ولكن روحه في حاجة شديدة الى الخفة الخ .. » وفي المقالات كلام اقسى واشد .

وكان العقاد ايضا من أوائل الكتاب الذين تناولوا شخصية بشار[٣] في مقالات صحفية حررت بسرعة ودارت لاستخلاص بعض الاحكام العامة عن بعض الجوانب او النواحي من شخصية بشار ولا سيما اخلاقه ونوادره ، وعرضت عددا من الاراء وبعض الملاحظات عن غزله وهجائه . ثم قارنه العقاد بدعبل الخزاعي وابن الرومي مثلما قارنه طه حسين بأبي العلاء ، وخلص الى القول بان بشار : لا هو من طراز دعبل ولا من طراز ابن الرومي .. وكان قد قارنه عند الكلام عن غزله بالكاتبين الفرنسيين اميل زولا وجي. دي. موباسـان وربط اسلوبه باساليب « الطريقة الطبيعية الواقعية » التي انتسب اليها زولا وهي مقارنة غريبة لا وجه لها لولا امكان حملها على محمل المجاز والاستطراد .. وهكذا نرى ان العقاد لم يكتب هو أيضـا سوى مقالات بعيـدة بمسافات طويلة عن الدراسات التفصيلية وعن مناهجها وشروط البحث المتبعة فيها .

اما أطول الدراسات الخاصة التي ظهرت عن بشار فهي كتاب النويهي : (شخصية بشار) الذى ظهر سنة ١٩٥١[٤] . ويبدو من عنـوان الكتاب ومقدمته ومن تسمية موضوعاته انه دراسة نفسية تحليلية نقدية ادبية تاريخية لشخصية بشار ، أي انها تحاول التوفيق بين اربعة مواد علمية وفنية يصعب التوفيق بينها وبين اساليبها وطرقها في موضوع واحد وآن واحد . لقد شعر النويهي ان الصورة البغيضة الشائعة عن بشار ليست صحيحة ولا عادلة ، وانها (باستثناء ما كتبه المازني) عن الشاعر تتصف بالانفعال والتحامل ، وهو يشير بذلك تلميحا وتصريحا الى مقالات طه حسين والعقاد ، اما المازني[٥] ـ كما يرى النويهي ـ فقد بذل جهدا مشكورا في تصحيح النظرة الشائعة

---

(٢) حديث الاربعاء ٢ .

وانظر : العصر العباسي الاول من تاريخ الادب العربي ٢/١٠٠ .

(٣) العقاد : مراجعات في الادب والفنون ١١٩ ـ ١٤٥ القاهرة ١٩٣٧ .

(٤) النويهي : شخصية بشار الطبعة الاولى القاهرة ١٩٥١ .

(٥) نشرت في كتيب في سلسلة اعلام الاسلام . وفي بعض طبعات حصاد الهشيم .

اليه (بشار) وان لم يعطه الانصاف الذى نظنه جديرا به ، ولكن محاولته صادقة ، وهي عندي خير ما كتب عن بشار في نقدنا الحديث[٦] • وقد سارع النويهي الى مناقشة النظرة القاسية الى بشار وتصحيح (الصورة الشائعة) في مستهل كتابه أو القسم الاول منه الذي عنونه بلفظة (ظلام) وجعل عنوان بابه الاول (الصورة الشائعة) ثم اطلق لقلمه العنان في وصف هذه (الصورة) من خلال مشاعر الغلو والتحامل والبغض التي طغت على ما كتبه الكتاب من القدماء والمعاصرين • وقد اسهب النويهي في وصف هذه الصورة أكثر مما أسهب الذين أشاعوها ، وأوضح بجلاء ما وقعت فيه من أخطاء وأحكام عامة قاسية والحق هنا مع النويهي • فليس من المعقول ان تتجمع كل الرذائل في بشار وتغطي حياته كلها من المهد الى اللحد •• قال « هذه هي صورة بشار الشائعة لدى اساتذة الادب ومتعلميه وهي صورة خاطئة ظالمة ، وعملي في كتابي هذا ان احاول اثبات خطئها ورسم صورة مغايرة أظنها اقرب الى الصحة والى الانصاف » • ومضى النويهي يصف ويحلل ويصور باسلوبه الطلق عناصر شخصية بشار الانسانية والفنية تحت عناوين واسماء لا تخلو من الاثارة ومحاكاة أساليب الفضة • ومع انه كان موفقا في طائفة من آرائه وتحليلاته الا ان كتابه لا يعد دراسة منهجية تعرض وتدرس سيرة استاذ المولدين ، أنما هو كتاب يغلب عليه اسلوب النقد المتمذهب بمذاهب التفسير النفسي للادب والمتأثر بفن كتابة السيرة القصصية التحليلية • ولم يلتزم المؤلف بشروط التحقيق والتوثيق والمناقشة والموازنة الموضوعية التي يتطلبها منهج البحث في الموضوعات الادبية التاريخية الخاصة بشخصيات وبيئات ماضية تحجبها عنا قرون عديدة ، وترويها مصادر ومراجع قديمة تأثرت بظروف وعوامل واساليب وصيغ متعددة الاشكال والدوافع • ولعل اول مخالفة لشروط البحث في سير القدماء اقدام الباحث عليها وهو مقتنع ومسلم بفكرة ونظرية سابقة ، وملتزم بموقف حدده قبل ان يشرع في الكتابة •• فمادام الباحثون قد تحاملوا على بشار وصوروه بصورة قاسية بغيضة وبالغوا في تصوير جوانب الشر والسوء فعليه ان يخالفهم ويلتزم بموقف نقيض مقابل ، ويسعى جاهدا لابراز جوانب الخير وتبرير مواضع السوء او تخفيفها •

فصحيح كما أوضح النويهي ان بشارا اعمى ، ودميم ، ومشاكس ، وفاجر ، وسليط وأنه مولى لكنه بالغ بقوله انه مولى مضطهد كل الاضطهاد لأن كل الموالى مضطهدون فالعرب حتى في العصر العباسي لم يكفوا ـ كما زعم ـ عن اضطهاد الموالي فبالغوا في اضطهاد بشار فلم ينصفه الناس والنقاد والمؤرخون • وعلينا مقابل هذا ـ كما يرى ـ ان نبرز نواحيه الخيرة كما فعل في الصفحات الطويلة التي كتبها تحت هذه العناوين : بار ، حنان ، كريم ، مصادق ، صفوح ، فكه ، شجاع الرأي ، شهيد لقد مضى به الى اعلى واعلى حتى جعله شهيدا • وهكذا ابتعدنا عن الحصول على دراسة جادة منهجية تتسم بالموضوعية دراسة يطمئن اليها الباحث والمؤرخ والناقد وتمسى مرجعا مفيدا لهذا النوع من الدراسات النفسية

(٦) نفسه : المقدمة / ح •

والنقدية اعنى من طراز كتاب النويهي نفسه ، فالتحقيق والتوثيق والتصحيح والتوقيت وكل ما تتطلبه كتابة سيرة قريبة من الواقع الماضى يجب ان يسبق الاحكام الاخلاقية والنفسية والتاريخية ، وينطبق هـذا الى حد ما على الاحكام النقدية اذا لم يتوفر لدى الباحث او الناقد قدر كاف من نتاج الشاعر او الكاتب الذى يقوم بدراسته ٠ وهذا ما دفع الدكتور طه حسين كما اشرنا الى التحرز والاحتياط والاشارة الى احتمال تراجعه عن ارائه في بشار وشعر بشار اذا طبع ديوانه وتوفرت معلومات أخرى ٠

والدراسة المشـار اليهـا ظهـرت في مطلـع الخمسينات وقـد تبعتهـا وظهرت بعدها بقليل دراسة موجزة للدكتور طه الحاجرى الحقت بها مختارات شعرية كثيرة جعلت منها كتابا صغيرا نشر بلا تاريخ في سلسلة (نوابغ الفكر العربي[٧] ويمكن ان نقرن كتيب الحاجرى بالفصل الطويل الذى كتبه الدكتور مهدى البصير عن بشار[٨] والاثنان لا يخلوان من منهجية ودقة علمية في بعض النقاط ولكنهما من نوع المحاضرة الجامعية الموجزة التي تهتم بالجمع والتنسيق والتلخيص أكثر مما تهتم بالكشف والتجديد وطرح وجهات نظر أخرى ، ولنترك ما في كتب تاريخ الادب العربي المتداولة من مدرسية وغير مدرسية فأغلبه أدنى مستوى من محاضرتي البصير والحاجرى باستثناء الصفحات التي اهتمت ببشار في بعض الرسائل الجامعية كرسالة احمد كمال زكي ومحمد مصطفى هدارة وشارل بلا والبهبيتي[٩] ٠ ولكن هذه المقالات والمحاضرات والفصول قاصرة عن سـد حاجتنا الى دراسة منهجية شاملة لسيرة بشار رجلا وشاعرا اعتمادا على ما نشر من ديوانه وشعره حتى الان ، وما نشر من مراجع لم تكن متوفرة من قبل ، واستنادا الى ما جد من مذاهب البحث والنقد ٠

لقد اعتمدت الدراسات ومازالت على الاخبار الكثيرة التى رواها ابـو الفرج ولعلها اطول اخبار وردت في الاغاني[١٠] عن شاعر واحد ، واغلب هذه الدراسات ولا سيما ذات الطابع النقدى نظرت الى هذه الاخبار وكأنها حقائق تاريخية مقبولة لا يرقى اليهـا الشك واهملت اختلافاتها ونقائصها والظروف والاسباب التي عبثت بأخبـار الادب العباسي عامـة وأخبـار بشار خاصـة ٠ فصاغة الاخبار ورواتها وناقلوها لم يكونوا ولا يمكن ان يكونوا معصومين من الخطأ والتأثر بمجموعة كبيرة من عوامل التحيز والعبث والتغيير والتزوير والدس والانتحال وبخاصة تلك العوامل التي تحيط بشخصية شاعر كبير اقحم نفسه طوعا او كرها في معارك وصراعات دينية ومذهبية وفكرية وعنصـرية

---

(٧) طه الحاجري : بشار بن برد (نوابغ الفكر العربي عدد ٨) ٠

(٨) (الفصل من كتاب المرحوم الدكتور مهدي البصير (في الادب العباسي) الذي ضم عددا من محاضراته في دار المعلمين العالية) ٠

(٩) انظر : الحياة الادبية في البصرة لاحمد كمال زكي واتجاهات الشعر في القرن الثاني لمحمد مصطفى هداره وتاريخ الشعر العربي لمحمد نجيب البهبيتي والجاحظ في البصرة لشارل بلا تعريب كامل كيلاني ٠

(١٠) اخبار بشار في الاغاني ج ٣ و ج ٤ (ط دار الكتب) واخباره مع عبده في ج ٦ واخباره مع حماد عجرد في ج ١٣ ٠

وفنية ، هذا فضلا عما لبشار كما يؤكد الطابع العام لاخباره وطائفة من اشعاره من طباع حادة خلقية ونفسية وفنية تضاعف حدة الصراع الدائر وتنعكس فيما تناقله الناس والرواة من مواد خبرية وشعرية · وفيما قيل أو صدر من أحكام فنية أو نقدية حول خصائصه الشعرية ومنزلته الفنية بوجه عام · واخباره في الاغاني وفي بعض المصادر التي أطالت بعض الاطالة في ترجمته أو رواية بعض اخباره كطبقات ابن المعتز وتاريخ بغداد · اقول ان هذه الاخبار ولاسيما أخبار الاغاني عدسة كبيرة ترينا نماذج كبيرة من الدوافع والاسباب والعصبيات والمواقف التي تضطرنا الى التروي والتأني والحذر والمناقشة والتحقيق · ومادة الاغاني غزيرة يمكن الاعتماد عليها في تخطيط صورة ما لبشار بن برد كما فعل الدكتور محسن غياض الذى حاول تصنيفها وتنسيقها واجمالها ، وابدى في اثناء ذلك عددا من الملاحظات الدقيقة والاشارات المفيدة كتوكيده الشك في صحة نسبه وهو شك سبق ان صرح به عدد من الباحثين وكان الاجدر ان يشير اليهم · ثم مناقشته ونفيه التشيع عن بشار لانه مدح ابراهيم بن زيد بن علي زعيم الثورة العلوية في البصرة كما ظن طه الحاجري ثم شكه في صحة الزعم القائل ان الاخفش وسيبويه اعرضا عن نقده خوفا منه وكمناقشته بعض لروايات المتعلقة بالقبض على بشار وقتله[11] .. الخ · وطبيعي ان هذا البحث الصغير لا يغني عن التطلع الى البحث المفصل الذي نطمح اليه · وقبل سنوات نشرت بحثا عن مصادر دراسة بشار وتمنيّتْ ان يكون نموذجا لتحليل الاخبار والروايات الواردة في الاغاني وغيره تحليلا منهجيا دقيقا ، وان يكون مرشدا وموجها لي ولغيري في عملية أعادة كتابة سيرة هذا الشاعر بأسلوب يواكب مراحل حياته الثقافية ويرتبها ترتيبا زمنيا متدرجا ويهتم بالظروف والاحداث التي المت بحياته وحياة شعره[12] · وقد افتتحت بحثي عن مصادر دراسة بشار بقولي : ان اخبار بشار لم تصل الينا في رسالة خاصة او في كتاب مستقل كما هي حالة بعض شعراء العصور العباسية الكبار كأبي نواس ، وابي تمام ، والبحتري ، والمتنبي · بل وردت مع اخبار وتراجم الشعراء الاخرين الذين اهتمت بهم المصادر العربية القديمة وبخاصة كتاب الاغاني[13] ·

وبعد ان اشرت الى ما ألفه القدماء عن بشار خاصة أكدت ان أخبار بشار كانت مدونة مستوفاة منذ اوائل القرن الثالث كما نفهم من قول ابن المعتز (٢٩٦ هـ) : « وأخبار بشار كثيرة ونوادره وطرائفه اكثر مما يتضمنها هذا الكتاب · على ما قدمنا فيه من ايثارنا الايجاز والاختصار »[14] · وقد أيد ابو الفرج هذا ايضا في نهاية القسم الكبير الذى خص به بشارا فقال : « ولبشار

---

(١١) انظر : صورة بشار في كتاب الاغاني للدكتور محسن غياض ، مجلة المجمع العلمي العراقي م ٢٠ سنة ١٩٧٠ ·

(١٢) انظر مصادر اخبار بشار بن برد لكاتب هذا المقال مجلة كلية الآداب العدد ٧ لسنة ١٩٦٤ ·

(١٣) المرجع السابق ١ ·

(١٤) طبقات الشعراء المحدثين لابن المعتز ص ٣١ (طبعة ذخائر العرب) ·

اخبار كثيرة ذكرت في عدة مواضع ، منها اخباره مع عبده ، واخباره مع حماد عجرد »[١٥] . وغايتي من الاشارة الى كثرة ما كتب عن بشار واخباره تسليط الضوء على المصادر التي اخذ منها ابو الفرج معلوماته ثم توسيع افاق الرؤية بتحليل روايات الاغاني ، لان هذه الروايات لا تقتصر على المادة الاخبارية الغزيرة ، بل تظهر أيضا في الاسانيد المفصلة الواضحة التي تقدمت كل خبر مهما كان صغيرا . لقد كشفت سلاسل الاستاذ هذه طوائف من الاخباريين والرواة واصنافا من المهتمين بالشعر والخبر من الذين عنوا باخبار بشار واشعاره خلال الحقبة الممتدة من اوائل واواسط القرن الثاني ، اي في الوقت الذي تألق فيه بشار ، الى العقود الاولى من القرن الرابع ، أي الزمن الذي صنف فيه ابو الفرج كتاب الاغاني .

ومعنى هذا ان هذه الاسانيد تلقي ضوءاً على الطرائق والاساليب التي انبعثت في جمع أخبار بشار وصياغتها وتدوينها وانها تمهد السبيل الى معرفة الاجواء التي احاطت بهذه الاخبار وتكشف الخلفيات والعوامل المختلفة التي تلاعبت فيها خلال انتقالها من فم الى فم ومن كتاب الى كتاب .

ان مراجعة أسانيد الاغاني وغيره وتحليلها ووضعها تحت مجهر النقد التاريخي هى الخطوة الاولى اذن فبفضلها يمكن تصنيف الرواة واحصاء الاخبار التي تناقلوها أي استخدام لغة الارقام لتحديد نشاطهم ، والاستعانة بمدلولات الاخبار نفسها وبكتب التاريخ والتراجم والمعاجم لاستخلاص الملاحظات والنتائج وكشف الحوافز والاغراض والاهداف التي تحكمت في الاخبار المتهافتة والروايات المشكوك في صحتها ، والمواد غير المعقولة أو ذات الصيغة القصصية أو الاسطورية او الفكاهية لاعادة النظر في اجزاء وعناصر الصورة التي رسمتها الاخبار لبشار ابن برد ومحاولة تخطيطها ورسمها مرة اخرى باسلوب يقربها من الحقيقة التاريخية .

وقد لاحظ بعض الباحثين نماذج من العبث والوضع والكذب والسخف في كثير من اخبار بشار المتعلقة بنسبه وعقيدته وخلافاته ومعاركه الفكرية ونلاحظ نحن شيئاً غير قليل من الصيغة القصصية والفكاهية في نوادره وأخباره مع بعض الشعراء والرواة والناس وكثيراً من ألوان القصص الغرامي العابث في اخباره مع بعض النسوة . ولم تسلم اخبار مصرعه او قتله من ضروب التناقض والاختلاف . أليس في هذا كله ادلة كافية تؤيد صحة نظرتنا الجديدة الى تاريخ الادب العباسي عامة والى سير الشعراء واخبارهم خاصة . ألم يكن الحق مع المستشرق بلاشير حين قال ان اعادة كتابة سير الشعراء العرب باستثناء بعضهم امر بعيد المنال حتى ليكاد يكون مستحيلا للاسباب التي سبق بيانها هنا ولضياع الدواوين وقسم كبير من الاشعار ولخلو الاخبار والنصوص الشعرية من التواريخ التي تحدد اوقاتها وازمانها[١٦] . وعندي ان

---

(١٥) الاغاني ٣/٢٤٥ (ط دار الثقافة) .

(١٦) كان المرحوم المستشرق بلاشير يؤكد هذا في محاضراته علينا في جامعة باريس وقد نوه بما يشبه هذا الكلام في مقدمة كتابه عن المتنبي بالفرنسية .

بشاراً يشمله الاستثناء الذي أكده بلاشير لكثرة أخباره وأخبار عصره ، ولوصول قسم كبير جدا من ديوانه واشعاره التي لم ترد في مخطوطة الديوان • والتي جمعها الاستاذ محمد بن عاشور والحقها بالديوان في جزء رابع • هذا بالاضافة الى المقالات والابحاث والدراسات المعاصرة والى ما في شخصية بشـــار من موضوعات مثيرة ، ولما لشعره من اهمية بالغة ومن دور خطير في توجيه الشعر نحو الاسلوب المولد وتثبيت المذاهب الفنية الجديدة لهذا الاسلوب • ولا يعني هذا تكرار الروايات والاخبار القليلة التي تصف بشارا بشيخ المولدين واستاذهم وكبيرهم وتكرار الاخبار القليلة التي تضرب بعض الامثلة على التراكيب والموضوعات والالفاظ الشعرية التي احدثها بشار • ان هذا لا يكفي ولن يؤدي الى كشف وابتكار • انمـا الكشف والابتكار يتحققان اذا قمنـا بدراسة تحليلية مفصلة للغة الشعر عند بشار من حيث الشكل ومن حيث المضمون •• دراسة تبرز الجانب التقليدي من اسلوبه مثلما تبـرز الجانب التجديدي المحدث • فاذا تم هذا ووضع الى جانب الدراسة التي تؤرخ حيـاته امكننا اتحاف المكتبة العربية والادبية بهدية ثمينة جديدة •

ولنعد الى ما ذكرناه حول اخبار بشار في كتاب الاغاني لنؤكد ثانية ان مراجعة اسانيدها وتحليلها يجب ان تكون مفتاح الدراسة الجديدة لسـيرة بشار ومكونات حياته الانسانية والفنية وقد قمت بدراسة هذه الاسانيد في البحث الذي اشرت اليه وحللتها واحصيت اخبارها وخلصت أولا الى تصنيفها على النحو الاتي :

اسم الراوية	عدد الاخبار المسندة اليه
١ ـ يحيى بن علي بن يحيى المنجم ت ٣٠٠ هـ(١٧)	٣٣
٢ ـ هاشم بن محمد الخزاعى ت ٣١٢ هـ(١٨)	٢٨
٣ ـ الحسن بن علي بن يحيى المنجم ت ؟(١٩)	٢٢
٤ ـ عم أبي الفرج الحسن بن محمد ؟ ت في حدود ٣٥٠ على الارجح(٢٠)	١٩
٥ ـ (كتاب) هارون بن على ٢٨٨ هـ(٢١)	١٤
٦ ـ حبيب بن نصر المهلبى ت ٣٠٧ هـ(٢٢)	١٠
٧ ـ أحمد بن العباس العسكرى ت ؟	٨
٨ ـ محمد بن عمران الصيرفي ت ٣٢٥ هـ(٢٣)	٦

(١٧) الفهرست (لايدن) ١٤٣ •

(١٨) تاريخ بغداد ٦٨/١٤ •

(١٩) الفهرست نفسه وتاريخ بغداد ٣٩٠/٧ يذكر انه ابن هارون بن علي ولعله تصحيف •

(٢٠) تاريخ بغداد ٤١٧/٧ لا يذكر تاريخ وفاته •

(٢١) الفهرست • نفسه • معجم الادباء ٢٦٢/١٩ •

(٢٢) تاريخ بغداد ٢٥٨/٨ •

(٢٣) نفسه ١٣٤/٣ يتوهم بعضهم انه محمد بن عمران بن موسى المرزباني وهذا خطأ فهو محمد بن عمران بن موسى بن ماهان ، أبو احمد الصيرفي المعروف بابن مهيار وقد روى عنه الحسن بن عليل العنزي المتوفى سنة ٢٩٠هـ • انظر تاريخ بغداد ٣٩٨/٧ •

٩ ـ الجاحظ (كتاب البيان والتبيين) ت ٢٥٥ هـ ٢

١٠ـ رواة اخرون روى كل منهم خبرا او خبرين ٠

هذه القائمة تدل على ان ابناء آل المنجم يحيى والحسن وهارون كانوا أول وأكثر من عنى برواية أخبار بشار واهتم بتدوينها ٠ أما الاول فهـو أبو أحمد يحيى بن علي بن أبي منصور (٢٤١ ـ ٣٠٠ هـ) نادم الموفق ومن تلاه من الخلفاء فلقب لذلك بالنديم[٢٤] ، وكان متكلما معتزلى المذهب ، وله في ذلك كتب كثيرة ومن كتبه في الادب كتاب « الباهر في اخبار شعراء مخضرمي الدولتين » (الاموية والعباسية) وهو الكتاب الذى يقول عنه ابن النديـم أن يحيى بدأه ببشار وابن هرمه وطريح وابن ميادة ومسلم بن الوليد واسحق بن ابراهيم وابي هفان ويزيد بن الطثرية ٠٠ الخ ٠

وكان اخر ما عمل فيه (في الكتاب) مروان بن أبي حفصة ولم يتمه ٠ ثم أتمه ابنه ابو الحسن أحمد بن يحيى[٢٥] ٠ وكان يحيى هذا شاعرا وقد بالغ المرزباني في تقريظه عندما قال انه « أديب شاعر مطبوع ، أشعر اهـل زمانه وأحسنهم أدبا وأكثرهم افتنانا بعلوم العرب والعجم »[٢٦] وقد أكـد ياقوت شاعريته قائلا « ولابى أحمد شعر كثير وتصانيف ٠٠ الخ »[٢٧] ولكن اثاره لا تؤيد شاعريته بقدر ما تشير الى سعة اطلاعه في الادب ، وخاصة فيما يخص شعراء القرنين الثاني والثالث ٠ ولعل خير دليل على هذا كثرة الاخبار والروايات التى نقلها عنه ابو الفرج في تراجم اولئك الشعراء[٢٨] ٠ كما يرد اسمه في كتب المرزباني التي وصلت الينا[٢٩] ، وفي الاسانيد التي اوردهـا الخطيب البغدادى في تراجم عدد غير قليل من الشعراء المولدين والمحدثين[٣٠] ٠ ونشاطه الكبير في هذا الباب يجعله في طليعة رواة الادب العباسى ومدونيه الاوائل ، في حين ان اسمه قلما يرد في اخبار الشعراء الاسلاميين والجاهليين ٠ لهذا كله صار لزاما علينا ان نلقى نظرة على أسانيد يحيى بن علي لتكوين فكرة حسنة عن المصادر التي استقى منها معطياته الادبية التاريخية من جهة وللتمكن من نقد هذه المعلومات وتثمينها من جهة اخرى ٠ وبقدر ما يتعلق الامر ببشار يمكن ترتيب مصادر يحيى بن علي على النحو الاتي :

(٢٤) ياقوت ٠ معجم الادباء (المأمون) ٢٠/٢٨ ٠

(٢٥) الفهرست ٢١١ ـ ٢١٢ وقد سمى كتابه ذيل كتاب الباهر ٠

(٢٦) المرزباني ، معجم الشعراء (القاهرة ١٩٦٠) ٤٩٣ ٠

(٢٧) ياقوت ، معجم الادباء ٢٠/٢٩ وانظر ٠ ابن الانباري ٠ نزهة الالباء (تحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي) ١٦٢ ٠

(٢٨) الاغاني ٣/١٢٩ وما بعدها وفي أخبار شعراء القرن الثاني ٠

(٢٩) المرزباني : معجم الشعراء والموشح ٠ انظر فهارس الاعلام ٠

(٣٠) الخطيب ، تاريخ بغداد ٧/١١٢ ٠

يحيى بن علي :

اسناد لا يزيد على أربعة أو ثلاثة أسماء

١ ـ الاصمعي ·
٢ ـ ابو عبيدة
٣ ـ محمد بن سلام (مؤلف طبقات الشعراء المشهور)
٤ ـ خلاد الارقط(٣١) ·
٥ ـ يحيى بن الجون العبدى راوية بشار ·
٦ ـ جعفر بن محمد النوفلي يروى شعر بشار ·
٧ ـ محمد بن الحجاج ـ يروى شعر بشار ·
٨ ـ أبو حاتم السجستاني
٩ ـ عمر بن شبه ·
١٠ـ سعيد بن سلام ·
١١ـ الحسن بن جهور ·
١٢ـ جرير بن حازم ·
١٣ـ حميد بن سعيد ·
١٤ـ هشام الكلبى ·
١٥ـ عافية بن شبيب
١٦ـ اسماعيل بن زياد الطائي ·
١٧ـ الحرمازى ·
١٨ـ علي بن محمد النوفلي ·
١٩ـ بعض أصحاب بشار ؟
٢٠ـ أبو يعقوب الخريمي الشاعر ·
٢١ـ ابو جعفر الاسدى ·
٢٢ـ الحمراني ؟

ان دراسة هذه الاسانيد تمكننا من ارجاع المعلومات التي دونها او رواها يحيى بن علي المنجم الى ثلاثة مصادر :

١ ـ رواة واخباريون كبار عاصروا بشارا او أدركوه كأبي عبيدة والاصمعي ومحمد بن سلام والسجستاني وعمر بن شبة وهشام الكلبى ·
٢ ـ رجال وصفهم ابو الفرج أو من روى عنه بانهم (رواة بشار) مثل يحيى بن الجون العبدى الذى كان يكتب لشاعرنا وجعفر بن محمد النوفلى الذى كان يروى شعره كما يقول ابو الفرج ومحمد بن الحجاج ·
٣ ـ رجال عاصروا بشارا ولم يكونوا من اهل الرواية والتاليف في الاخبار بل كانوا من ندمائه او جلسائه او جيرانه او ممن كانت لهم صلة ما به كما يستدل من مضمون الاخبار المنسوبة اليهم أمثال جعفر بن

(٣١) خلاد بن يزيد الباهلي أحد الرواة للاخبار والقبائل والاشعار · الفهرست ١٦٢ ·

محمد العدوى والحرمازي وابو جعفر الاسدى وعياش بن ابي ربيعة وغيرهم ممن وصفوا بانهم « بعض اصحاب بشار »(٣٢) ٠

بناء على هذا يمكن القول ان يحيى بن علي كان يعنى عناية كبيرة بعملية جمع الاخبار دون ان يرتبط بجهة واحدة او بطائفة معينة من الرواة فيلتزم بنوقها الفني أو باختصاصها التاريخي والادبي ٠ فبين المخبرين الذين انتهت أسانيده اليهم رجال لغة وغريب وأهل اختصاص بالادب القديم كالاصمعي والسجستاني وعمر بن شبه ، ورواة أخبار وأنساب أو أخباريون كما يسمونهم ايضا كأبي عبيدة وهشام الكلبي وعلان الشعوبي ٠ ورجال وصفوا بانهم رواة بشار خاصة وناس من مختلف الاصناف والاوساط ٠ معنى هذا كله ان يحيى لم يشتغل بجمع الاخبار كيفما اتفق ، بل كان يتحرى الدقة ، ويحاول ان يستقى المعلومات من مصادرها الطبيعية ٠ ولم يقلل من هذه الدقة والعناية كون الشعراء الذين ينقل أخبارهم قريبين من زمانه واحتمال وجود اثار مكتوبة دونها اولئك الشعراء أنفسهم او سجلها لهم كتابهم أو رواتهم او معاصروهم من محترفي جمع الاخبار أو هواتها ٠ فالمعلوم ان شعراء القرنين الثاني والثالث من مخضرمين ومحدثين لا يشبهون شعراء الجاهلية وصدر الاسلام ، فقد عاشوا في عصر انتشرت فيه الثقافة واتسعت فيه مزاولة الكتابة والوراقة في الاوساط الادبية والعلمية(٣٣) فتسنى لهم كتابة شعرهم وأخبارهم بانفسهم او من قبل المشتغلين بالتدوين منذ اوائل القرن الثاني ، وهناك اشارات في المصادر القديمة تدل على أن بعض اثار الشعراء المدونة شوهدت مكتوبة على الجلود والعظام والمواد الاخرى التي كانت تستعمل قبل اكتشاف الورق في أواسط القرن الثاني(٣٤) ٠ ولعل خير مثال على هذا شعر أبي الشمقمق احد أصحاب بشار ، جاء في الحيوان وقيل لابن داحة : « واخرج كتاب أبي الشمقمق فاذا هو في جلود كوفية ودفتين طائفيين بخط عجيب ، فقيل له — يعنى لابن داحة — لقد أضيع من تجود بشعر أبي الشمقمق فقال لا جرم والله ان العلم ليعطيكم على حساب ما تعطونه ، ولو استطعت ان اودعه سويداء قلبي وأجعله محفوظا على ناظري لفعلت ! »(٣٥) ٠

ولنعد الى يحيى بن علي لنقول : يستنتج من كثرة الروايات التي أسندها ابو الفرج اليه انه كان يعتمد على كتابه (الباهر في أخبار شعراء مخضرمي الدولتين) وعلى كتاب ولده أبي أحمد الحسن بن يحيى الموسوم بذيل كتاب الباهر ٠ ولكن الغريب ان ابا الفرج لا يذكر انه ينقل من الكتابين المذكورين مع انه لم يفعل ذلك عند روايته عن هارون بن علي بن يحيى اذ يكتفى بالقول (نسخت من كتاب هارون بن علي) ولعل سبب هذا ان ابا الفرج أدرك يحيى بن علي المتوفى سنة ٣٠٠ هـ ففضل ذكره والاسناد اليه بدلا

(٣٢) الاغاني (الثقافة) ٢٠٧/٣ ٠
(٣٣) أنظر فصل « الوراقون وتجار الكتب » من كتاب « في الادب العباسي » لكاتب هذا المقال ٠
(٣٤) آدم متز ، الحضارة الاسلامية في القرن الرابع ٣٦١/٢ والفهرست ٣٧ — ٣٨ ٠
(٣٥) الحيوان (تحقيق عبدالسلام هارون) ٦١/١ ٠

من ذكر كتابه ؟ لكنه ذكر كتاب هارون لانه لم يدركه اذ مات سنة ٢٨٨ هـ(٣٦) هذا جائز ولكننا لا نستطيع ان نجزم برأي ٠ لان ابا الفرج يذكر الكتب التي ينقل عنها حينا ويغفل عن ذكرها حينا اخر ٠

بقى لنا ان نقول إن الاخبار المسندة الى يحيى ليس لها طابع معين فهي متنوعة المشارب فيها ما هو أدب ونقد وفيها ما هو تاريخ ونسب ومنها ما يتعلق بحياة الشاعر أو صفاته الجسمية والخلقية ٠ وتغلب عليها ايضا صفة الحياد وانعدام الشخصية أو الذات ، أعني ان يحيى يروى الخبر دون ان يعلق عليه او يبين رأيه فيه ٠ ومع هذا فان اهتمامه بالشعراء من الموالى خاصة وسكوته عن بعض الروايات المتهافتة او الواضحة الوضع والانتحال كما هي الحال فيما نقله عن نسب بشار لا يخلو من تعاطف شعوبي خفيف ٠ اقول (لا يخلو) لاني لا اريد ان اسارع الى اتهام الرجل بمجرد هذا الافتراض فمن المحتمل ان تكون عنايته بالموالي نتيجة ذلك الميل العام نحو شعر المحدثين عامة ٠ وقد لمس ابن المعتز ذلك عند ادباء زمانه وفسره بسأمهم من العمل في الادب القديم لكثرة العمل فيه كما ذكرنا(٣٧) وقد كان هذا الميل صورة من صور الصراع بين القديم والجديد وقد لمح ابن قتيبة الى هذا ايضا في مقدمة كتاب الشعر والشعراء كما هو معروف(٣٨) ٠

وما يقال عن يحيى بن علي ينطبق ايضا عن أخيه الحسن بن علي الذى أسند اليه ابو الفرج ٢٢ خبرا من اخبار بشار ولكن الملاحظ ان نشاطه كان اقل بكثير من نشاط اخيه كما ان المصادر التي انتهت اليها أسانيده اقل عددا وأدنى مكانة ويمكن ترتيب هذه الاسانيد على الوجه الاتى :

الحسن بن علي :

اسناد :

علان الشعوبي
بدر بن مزاحم
زكريا بن هارون
أحمد بن المبارك
محمد بن الحجاج
اسحاق الموصلي
الفضل بن سعيد
قدامه بن نوح
خلاد الارقط
بعض الشعراء من معاصرى بشار
محمد بن سلام
الفضل بن يعقوب
زحر بن حصن
ابان اللاحقى

---

(٣٦) الفهرست (الاوربية) ١٤٣ ٠
(٣٧) ابن المعتز ٠ طبقات ٨٧ ٠
(٣٨) انظر مقدمة كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة ٠

وتؤيد أسانيد هاشم الخزاعي روايته الاخبار عن الرياشي وعبدالرحمن ابن أخي الاصمعي كما ذكر الخطيب البغدادى اذ يتردد اسماهما في منقولاته عن الاصمعي على النحو التالي :

هاشم	←	الرياشي	←	الاصمعي
هاشم	←	عبدالرحمن	←	الاصمعي
هاشم	←	الحسن بن عليل العنزي(٥٦)	←	الاصمعي
هاشم	←	قعنب بن محرز(٥٧)	←	الاصمعي

وينقل هاشم عن ابي عبيدة على هذا النحو :

هاشـم ← أبو غسان دماذ(٥٨) ← أبو عبيدة

وقد تكرر هذا الاسناد الاخير اكثر من ثلاث مرات • أضف الى هذا ان هاشما استقى عددا من رواياته من محمد بن سلام ومحمد بن الحجاج باسانيد اخرى مختلفة •

أما حبيب بن نصر الذى سجل له صاحب الاغاني عشرة أخبار فيستقي معلوماته أو رواياته من ثلاثة مصادر : الاصمعي ومحمد بن الحجاج وأبي عبيدة • ويمر اسناده الذى لا يزيد عن ثلاثة رواة بعمر بن شبه في كل مرة • ويقـول الخطيب البغدادى عن حبيب هذا انه : « حبيب بن نصر المهلبي ، حدث عن محمد ابن مهاجر المعروف بأخي حنيف ، وعن محمد بن عمرو بن أبي مذعور وغيرهما • وروى عنه أبو الفرج الاصبهاني وعبدالله بن موسى بن اسحاق الهاشمي وغيرهما ••• وتوفي ببغداد سنة ٣٠٧هـ »(٥٩) •

بقي من هؤلاء الرواة الثلاثة الذين امتازوا بصفات مشتركة سنذكرها بعد قليل عم أبي الفرج الاصبهاني واسمه الحسن بن محمد بن أحمد بن الهيثـم الاموى حدّث عن عمر بن شبّه وعبدالله بن أبي سعد الوراق وروى عنه ابن أخيه أبو الفرج »(٦٠) وكان جل نشاطه في رواية أخبار عدد غير قليل من شعراء القرنين الثاني والثالث عن طريق الرواة الذين ذكرهم الخطيب البغدادى ورواة كثيرين آخرين وردت اسماؤهم في أسانيده • وكان دوره واضح الاهمية في نقل أخبار بشار ، ثم سلم الخاسر(٦١) صاحب بشار وتلميذه وجملة من شعراء الخمر

---

(٥٦) هو الاديب اللغوي الاخباري ومن كبار رواة الاغاني نشط في نقل أخبار شعراء العصر العباسي الاول وروى عن يحيى بن معين ، وهدبة بن خالد ، وأبي خيثمة زهير بن حرب ، وقعنب بن محرز الباهلي وابي الفضل الرياشي وروى عنه قاسم بن محمد الانباري وغيره وكان صدوقا • ومات سنة ٢٩٠ بسر من رأى • انظر الرواة للقفطي (دار الكتب ٣١٨/١ وتاريخ بغداد للخطيب ٣٩٨/٧) •

(٥٧) تدل الاسانيد التي ورد اسمه فيها على انه من أصحاب الاصمعي وتلامذته •

(٥٨) دماذ أبو غسان اللغوي من أصحاب أبي عبيدة ، ودماذ لقب غلب عليه واسمه رفيع بن سلمه وكان كاتب ابى عبيده • انظر انباه الرواة للقفطي ٥/٢ وبغية الوعاة للسيوطي ٢٤٨ وطبقات النحويين للزبيدي ١٢٨ والفهرست (الاستقامة) ٥٤ •

(٥٩) تاريخ بغداد ٢٥٣/٨ •

(٦٠) تاريخ بغداد ٤١٧/٧ •

(٦١) الاغاني ١١٧/٢١ •

الخريمي وهما شاعران شعوبيان مشهوران . واخيرا علي بن مهدى الكسروى المؤدب الذى اشرنا اليه قبل قليل . ولعل يحيى بن علي كان اكثر الثلاثة اعتدالا بسبب ميوله المعتزلية ولهذا وجدنا في رواياته أخباراً تتناول معتقدات بشار واحواله الدينية من النوع الذى رواه الجاحظ في البيان والتبيين حول خلاف بشار مع واصل بن عطاء(٥١) . والذى يتأمل الاخبار المذكورة يجد ان المعتزلة كانوا من أشد خصوم بشار عليه فقد هاجمه واصل بن عطاء المتوفى سنة (١٣١هـ) هجوما عنيفا وسعى في نفيه من البصرة لاسباب مذهبية . وتصدى له بعد واصل عمرو بن عبيد واستطاع نفيه ثانية من البصرة . حتى الجاحظ لم يسلم من تحيز عندما روى تفاصيل نزاع بشار وواصل ونقل ما نسب اليه من شعر يطعن في عقيدته الدينية بلا تحفظ . وقد أوضحت هذا الموضوع بتفصيل أكثر فيما كتبته عن حياة بشار كما سنرى .

والى جانب هؤلاء الرواة الثلاثة الذين تجمعهم صلة الادب والنسب والرواية تكشف لنا اخبار بشار طائفة اخرى ترددت اسماؤها في أسانيد هاشم بن محمد الخزاعي وحبيب بن نصر المهلبي وعم ابي الفرج الحسن بن محمد . أما الاول فاخباره نادرة جدا ولكن الخطيب البغدادى اشار اليه في اسطر قليلة قال فيها : « هو هاشم بن محمد بن عبدالله بن مالك أبو خلف(٥٢) الخزاعي .. حدث عن عباس الرياشي(٥٣) وعبدالرحمن بن أخي الاصمعي(٥٤) ، وروى عنه أحمد بن جعفر بن سلم ومحمد بن أحمد بن حماد المتيم . ومات يوم السبت لعشر بقين من رجب سنة ٣١٢هـ »(٥٥) .

لقد روى صاحب الاغاني عن هاشم هذا ستة وعشرين خبرا يمكننا اجمال مصادرها على النحو الآتي :

اسناد هاشم بن محمد الخزاعي	الاصمعي وقد اسندت اليه اغلب الاخبار أبو عبيدة محمد بن سلام يحيى بن الجون العبدى خلاد الارقط محمد بن الحجاج أبو عمرو بن العلاء ، بواسطة الاصمعي الجاحظ اسحاق بن ابراهيم التمار البصرى

---

(٥١) البيان والتبيين (السندوبى) ١/٢٥ ـ ٢٦ .

(٥٢) يكنيه أبو الفرج بابي دلف بدلا من ابي خلف . انظر الاغاني ٣/١٣٥ و١٦٢ ، ٢٠٦ .

(٥٣) أبو الفضل العباس بن الفرج الرياشي وكان عالما باللغة والشعر وكثير الرواية عن الاصمعي . الفهرست ، ٩٢ .

(٥٤) هو عبدالرحمن بن عبدالله ويكنى بابي محمد وقيل بأبي الحسن وكان من الثقلاء الا انه ثقة فيما يرويه عن عمه . انظر الفهرست (الاستقامة) ٨٩ وبغية الوعاة للسيوطي ٢٩٩ .

(٥٥) تاريخ بغداد ١٤/٦٨ وطبقات الزبيدي ١٢٧ .

بمحمد بن عبدالملك بن صالح ، واختار من شعر كل واحد عيونه ، وقال في اوله : اني عملت كتابي في اخبار شعراء المولدين ، وذكرت ما اخترته من اشعارهم ، وتحريت في ذلك الاختيار إقصى ما بلغته معرفتي وانتهى اليه علمي ٠٠٠)(٤٤) وذكر ان هذا الكتاب مختصر من كتاب الفه قبله في هذا الفن ، وانه كان طويلا فحذف منه أشياء ، فاقتصر على هذا القدر(٤٥) ٠ ويعلق ابن خلكان بعد ذلك على الكتاب بقوله : وبالجملة فانه من الكتب النفيسة ، فانه يغنى عن دواوين الجماعة الذين ذكرهم ، فانه اختصر اشعارهم ، وأثبت فيها زبدتها وترك زبدها ٠ وهذا الكتاب هو الذى ذكرته في ترجمة العماد الاصبهاني وقلت : ان كتاب الخريدة وكتاب الحظيري والباخرزي والثعالبي فروع عليه وهو الاصل الذي نسجوا على منواله(٤٦) ٠ وقد توفى هارون سنة ٢٨٨هـ(٤٧) ٠

والظاهر ان أبا الفرج ينقل عن كتاب البارع الذى ضاع مع ما ضاع من مصادر الادب ولم يبق منه الا تلك الفقرات المنقولة عنه في الاغانى وهي كثيرة نجدها في اخبار عدد غير قليل من الشعراء المولدين ٠ وهارون يروى أكثر أخبار بشار بواسطة علي بن مهدى الكسروي وهو أديب من أصل فارسي كهارون « وكان مؤدبا أديبا حافظا وكان يؤدب ولد هارون بن علي النديم »(٤٨) ولعل أصله الفارسي يفسر اهتمامه برواية أخبار بشار مع البرامكة وخاصة مع خالد ابن برمك(٤٩) وما نظم له من مديح كما يفسر عنايته بذكر نسب بشار المزعوم وتجنبه نقل الروايات التي تنال من بشار أو تحط من قيمته أو تذم مسلكه وتطعن في عقيدتة أو تشير الى شعوبيته بأسلوب مباشر أو غير مباشر ٠

ان نشاط هؤلاء الادباء الثلاثة من ابناء آل المنجم يدل على اهتمام الاوساط ذات الاصول الفارسية والشعوبية بأخبار بشار بن برد ، وليس هذا غريبا فقد كان هذا الشاعر يفخر بفارسيته علانية ولا يتحرج من اظهار شعوبيته في كل مناسبة وبمختلف الاساليب ٠ لقد رددوا شجرة نسبه الحافلة بعدد كبير من أسماء ملوك الفرس دون ان يردعهم تعدد هذه الاسماء واضطرابها واستحالة الاطمئنان اليها ٠ والانكى من هذا أنهم لم يترددوا في ايصالها الى النبي ابراهيم الخليل (ع) دون ان يبدوا أي نوع من انواع الشك والتحرز أو يبينوا كيف أصبح ملوك الفرس وحفيدهم المدلل بشار من سلالة النبي ابراهيم(٥٠) ومما يؤيد هذا التعاطف الشعوبي اعتماد ابناء آل المنجم في اسانيدهم على شخصيات معروفة بميولها الشعوبية أو بتعصبها للفرس على العرب امثال علان الشعوبي وأبي عبيدة معمر بن المثنى وأبان بن عبدالحميد اللاحقي وأبي يعقوب اسحاق

---

(٤٤) معجم الادباء : ٢٦٢/١٩ ٠

(٤٥) وفيات الاعيان (القاهرة ١٩٤٩) ١٣٧/٥ والفهرست ٢١٢ وقد ذكر له كتابا آخر هو : اختيار الشعراء الكبير ولعله الذي اشار اليه ابن خلكان وياقوت ٠

(٤٦) المصدر نفسه ، وانظر : القفطي : انباه الرواة ٣٢٩/٣ حاشية المحقق ٠

(٤٧) الوفيات : نفسه ومعجم الادباء : نفسه ٠

(٤٨) الفهرست (الإستقامة) ٢٢٠ ٠

(٤٩) الاغاني ٣/ ٠

(٥٠) انظر اخبار بشار في الاغاني ١٣٩/٣ وما بعدها للإطلاع على تفاصيل ما اشرت اليه ٠

ويغلب الطابع القصصي على معطيات الحسن بن علي فقد نقل كثيرا من الاخبار المتعلقة بحياة بشار ، بدأها بذكر نسبه المزعوم الذى يدعى فيه انه من سلالة ملوك الفرس ، ثم تطرق الى عدد من اخبار بشار ونوادره • وقد روى ذلك كله باسلوب تبدو فيهالظرافة وخفة الروح •
لهذا لم يهتم بالجانب اللغوى او الادبي باستثناء خبرين كان احدهما اقرب الى النكتة او النادرة على الرغم من القصيدة الطويلة التى رواها • وهى قصيدة فكاهية طويلة يعاتب بها بشار فتى من بنى منقر لان وكيله اشترى له نعجة نحيلة وسرق باقى ثمنها • ويتحدث بشار عن ذلك واصفا النعجة العجفاء باسلوب ظريف وبما عرف عنه من خفة الروح ومضاء النكتة •

ويتردد في أسانيد الحسن بن علي اسم محمد بن القاسم بن مهرويه الذى يروي عنه مباشرة • وقد تردد اسم هذا الرجل في اسانيد يحيى بن على • كما يرد اسمه في اخبار كثير من شعراء القرن الثاني(٣٩) • ولم نوفق رغم الجهود التى بذلناها الى معرفة بعض التفاصيل اللازمة عن حياة ومؤلفات هذا الراوية ولكننا نستطيع ان نؤكد انه لعب دورا مهما في رواية جزء كبير من روايات الاغاني(٤٠) زد على هذا ان اسمه يتردد في كتب المرزباني الواصلة الينا كالموشح ومعجم الشعراء الذين الفا خلال الفترة نفسها اي في القرن الرابع كما يعتمد في رواياته على بعض مؤلفي النصف الثاني من القرن الثالث وخاصة ابن الجراح وعبدالله بن المعتز(٤١) •

ان كتب التراجم والطبقات لم تذكر شيئا عن محمد بن القاسم بن مهرويه ، وقد حاول الاستاذ ليون زولنديك الذى درس اخبار دعبل الخزاعي معرفة هذا الرجل فلم يوفق ايضا(٤٢) • ولو لم تتفق المصادر التي ذكرناها على اسمه لجاز ان نفترض ان في الامر تصحيفا أو خطأ لان شخصيات ادبية متعددة من ادباء القرن الثالث خاصة تحمل اسم محمد بن القاسم كأبي العيناء ومحمد ابن القاسم الانباري وغيرهما • والفهرست لابن النديم هو المصدر الوحيد الذي اشار في سطرين الى رجل بهذا الاسم فذكر كنيته (أبو عبدالله) ولقبه بالخولاني دون أن يضيف أمرا ذا قيمة(٤٣) • ولا ندري اذا كان هو المقصود أو غيره •

بقي من هؤلاء الاخوة الذين ذكرناهم من آل المنجم هارون بن علي بن يحيى الذي نقل عنه أبو الفرج أربعة عشر خبرا صدرها بقوله « نسخت من كتاب هارون بن علي » • وكان هارون حافظا راوية للاشعار ، حسن المنادمة ، لطيف المجالسة كما وصف • وقد صنف كتاب البارع في أخبار الشعراء المولدين وجمع فيه مائة وواحدا وستين شاعرا ، افتتحه بذكر بشار بن برد العقيلي وختمه

---

(٣٩) الاغاني ، ٣١ انظر فهرست الاعلام •

(٤٠) ليون زولندك (مصادر كتاب الاغاني) مجلة :
Arabica, Vol III No. 8 Septeinbre 1961.

(٤١) انظر ابن الجراح : الورقة وطبقات الشعراء لابن المعتز ، فهرس الاعلام •

(٤٢) ليون زولنديك ، نفسه •

(٤٣) الفهرست (الاستقامة) ١٢٥ •

والمجون كحماد عجرد[٦٢] ومطبع بن أياس[٦٣] وبعض أخبار أبي نواس مع جنان[٦٤] خاصة والمغني ابراهيم بن المهدى[٦٥] الذى أورد قسما كبيرا من أخباره ، وشعراء آخرين لا مجال لذكرهم كلهم .

أما عن بشار فقد روى عم ابي الفرج تسعة عشر خبرا من أخباره . وطبيعي ان يضعه نشاطه الكبير هذا في طليعة الذين نقلوا انباء هذا الشاعر وبملاحظة أسانيده نجد أخباره مستقاة عن المصادر التالية :

عم ابي الفرج الحسن بن محمد اسناد :

ابو حاتم السجستاني
ابو زيد الانصارى
ابن عائشة
محمد بن سلام
ابن عائشة
يزيد بن وهب
يحيى بن الجون العبدى راوية بشار
ابو عبيدة
صالح بن عطية بواسطة عبدالله بن ابي سعد
عبدالله بن ابي سعد
ابو الشبل عاصم بن وهب
أحمد بن ابي طاهر
رجل من باهله ؟
نصر بن عبدالرحمن العجلي
النضر بن طاهر ابو الحجاج
بعض ولد ابى عبدالله وزير المهدى

ويرد أسم عبدالله بن أبي سعد في بعض هذه الاسانيد مؤكدا ما ذكره الخطيب البغدادى والقفطى من ان عم ابى الفرج كان يروى عنه . كما ورد اسم أحمد بن ابي طاهر في ثلاث سلاسل هنا وفي أسانيد بعض الشعراء الذين مرت بنا اسماؤهم . ولعل عم ابى الفرج كان يعتمد على ما دونه ابن ابي طاهر في الكتاب الذى ألفه عن بشار وشعره . ويلاحظ ايضا كثرة تردد اسم الكراني في منقولاته عن شعراء القرن الثاني ولعل المقصود هنا ابو عبدالله محمد بن عبدالله بن محمد بن موسى الكرمانى (بالميم) لا الكراني . وقد وصفه ابن النديم بانه « مضطلع بعلم اللغة والنحو ، مليح الخط ، صحيح النقل ، وكان

(٦٢) الاغاني ٦٣/١٢ .
(٦٣) الاغاني ٢٧٨/١٨ روى له اكثر من عشرة اخبار .
(٦٤) الاغاني ٦/١٨ .
(٦٥) الاغاني (دار الكتب) ١٠٧/١٠ و ج ٢٩٠/٥ و ٣٣٦/٩ .

ويعاود هذه النغمة منددا بسياسة الخلافة الحميدية وولاتها ، الذين عاثوا في العراق فسادا يقول :

وما هي الا دولـــة مســـتبدة تسوس بما يقضي هواها وتعمـل
فترفع بالاعـــزاز من كان جاهلا وتخفض بالاذلال من كان يعقـــل
الا انما بغداد قد اصبحت بهـــم يهددها داء من الجهل معضل(٣)

ولم يقف عند القدح في السلطان ودولته ، بل انه تناول أعمال الولاة الشائنة ، وما اقترفوا من مظالم تئن منها رفات الموتى ، وتبكى عيون الحسان شاكية يقول :

لهف نفسي على رفـــات شباب طحنتهم صحن الرحى النائبات
لو سألت الرفات مـــاذا دهاه لاشتكى من ظلـــم الولاة الرفات
فوق وجه البيض الحسان سطور كتبت بالدموع فيهـــا شـــكاة
وهـــب الله للرعـــايا حقوقـــا غصبتها من الرعـــاة الـــولاة
ازهقوكم ذلا وأنتـــم ســـكوت أين أين الاحـــرار أين الاباة

وبمثل هذه الجرأة ، تدفق قلم الزهاوي ساخطا على السلطان وعلى ولاته ، داعيا الاحرار الاباة الى الانتقاض عليهم فاذا ما أعلن الدستور العثماني هلل له ، كما هلل لرجال حزب تركيا الفتاة ، ولكنه عندما تبين له انهم يسيرون سيرا معوجا ويعملون على محاولة تتريك العرب ، ومجاهدة العروبة واللغـة العربية ، ويطاردون احرارها ، حمل عليهم حملات شعواء ، ومن شواهد ذلك ما جاء في قصيدته البديعة المشجية ، قوله في رثاء أحرار سوريا الذين شنقهم الاتحاديون :

على كل عـــود صاحب وخليل وفي كل بيت رنـــة وعـــويل
وفي كل عـــين عبرة مهراقة وفي كل قلب حســـرة وغليـل
علاها وما غير الفتـــوة ســـلم شباب تسامى للعـــلا وكهول
كأن وجوه القوم فـــوق جذوعهم نجوم سماء في الصـــباح أفول(٤)

ويتفجر سخطا ومقتا ، على حزب الاتحاد في القصيدة نفسها يقول :

فاذمم بحزب جار وهو مهيمن واقبح بحزب ساد وهـــو يعول
وأرذل بحزب كان في كل مطلب يميل مع الايام حيث تميـل
ولن تسكت الايام من عصبة جنوا ولكن بما كالوا لهـــم ستكيل

★ ★ ★

واستمر الزهاوي يغذى الفكر والوجدان العربي بشعره القومي ، حتى قامت الثورة الوطنية في عام ١٩٢٠ ضد الانجليز ، فوصف الزهاوي ، فظائع

(٣) ديوان « الكلم المنظوم » ص ٨ .
(٤) ديوان الزهاوي ص ١٦٨ المطبعة العربية بمصر ١٩٢٤ لصاحبها خيرالدين الزركلي .

التيار القومي في الشعر العراقي الحديث وأشهر أعلامه

– ٦ –

مصطفى السحرتي
رئيس رابطة الادب الحديث في القاهرة

جميل صدقي الزهاوي

ويطالعنا من شعراء هذه الحقبة ، وجه اخر ، أشد ثورة وعصبية من الكاظمي ، هو الشاعر الثائر المفكر ، جميل صدقي الزهاوي وهو بمواهبه وروحه الجريئة يعد قمة شامخة في العراق ، وفي أقطار العربية ، ويدين له التراث القومي بشجاعته الادبية ، وفكره المتحرر ، وهيامه بالتجديد ، ودعوته الى العروبة ، من زمن بعيد في مثل قصيدته « العروبة » التي جاء فيها :

أصل العروبة قد رسا كالطود في البلد الحرام
والفرع منها في العراق ، ومصر يسمو والشآم
الناس مولعة بمن للناس يعمل بالتزام
تعنو لارواح جسام لا لاجساد جسام
ورجاؤها ان الحقوق تصان من كل اهتضام(١)

ويعد الزهاوي من أقوى من حمل على الحكم التركي ، وعلى خليفته ، وولاته الطغاة في طائفة من قصائده ، في وقت كان الهمس بالتنديد بالحكم التركي والحاكم يحتسب جريرة ، ومن ذلك قوله الموجه الى سلطان الاتراك :

خفف من الظلم ابقاء وتهوينا فالظلم يقتلنا والعدل يحيينا
يا مالك الامر ان الناس قد ضجروا عامل برفق رعاياك المساكينا
لهوت عنا بما أوتيت من دعة فابيض ليلك واسودت ليالينا
لقد ملكت فأسجح اننا فئة لا شيء غير جمال العدل يرضينا
ما ان تهضم سلطان رعيته فالملك قبلك قد ربى سلاطينا(٢)

---

(١) ديوان الزهاوي ص ٢٩٨ ، المطبعة العربية ١٩٢٤ .

(٢) ديوان الزهاوي ص ٢٨٥ سالف الذكر ويلاحظ ان في طبعة هذا الديوان الذي أخرجه الدكتور يوسف نجم بعض تعديلات في هذه القصيدة ص ٦٣ دار مصر للطباعة ١٩٥٥ .

جاء في الاغاني : حدثنى جحظة (البرمكى) قال : حدثني على بن يحيى قال : كان اسحاق الموصلى لا يعتد ببشار ويقول : هو كثير التخليط في شعره ، وأشعاره مختلفة لا يشبه بعضها بعضا ، أليس هو القائل :

انما عظم سليمى حبتى قصب السكر لاعظم الجمل
واذا أدنيت منها بصلا غلب المسك على ريح البصل

لو قال كل شيء جيد ثم أضيف الى هذا لزيّفه . قال : وكان يقدم عليه مروان ويقول هو أشد استواء شعر منه ، وكلامه ومذهبه أشبه بكلام العرب ومذاهبها . وكان (يعنى اسحاق) لا يعد أبا نواس البتة ولا يرى فيه خيرا(٦٩) . وكان جحظة قد أراد الرد على اسحاق وامثاله حين نقل عن المصدر نفسه خبرا اخر يقول ان أحسن الناس ابتداء في الجاهلية امرؤ القيس وفي الاسلام القطامى وان أحسن المحدثين ابتداء بشار بن برد(٧٠) . أما ابن الاعرابي الذى اسهم في رواية اخبار عدد كبير من اخبار الشعراء المحدثين فلم يكن له أى دور في نقل اخبار بشار فلماذا ؟ هل كان تعصبه للقديم سبب عدم اهتمامه به ؟ فاذا كان الامر كذلك فلماذا أبدى ابن الاعرابي نشاطا ملحوظا في نقل اخبار شعراء اكثر تخليطا في الاسلوب من بشار مثل ابي العتاهية ؟ أكان سبب اهتمامه بابى العتاهية كون هذا الاخير كوفيا مثله فكان من الطبيعي ان يروى اخباره كما كان من الطبيعي ان ينقل الرواة البصريون أخبار بشار ؟ صحيح ان من طبيعة الاشياء ان يشتغل البصريون بنقل اخبار شعراء البصرة وان يشتغل رواة الكوفة بأخبار شعراء الكوفة وان المنافسة بين علماء المدينتين ورواتها قد تنعكس في عمليات جمع الاخبار وروايتها ، ولكن الذى يمكن ان نؤكده ان صلة الرواة الكوفيين بالشعراء الكوفيين وصلة رواة البصرة بشعراء البصرة لم تؤلف مدرستين للرواية مثلما تألفت مدرستان في النحو لان طبيعة الرواية تختلف عن طبيعة النحو ولان هذا الاخير نشأ قبل نمو حركة تدوين اخبار الشعراء المولدين بزمن طويل ولان شعراء العصر العباسي الاول لم يرتبطوا بالمدن التي ولدوا ونشأوا فيها فقد آثروا التجوال والانتقال وتمركز أكثرهم في بغداد .

ـ للبحث صلة ـ

(٦٩) مقدمة ديوان ابى نواس (طبعة آصاف) ١٣ .
(٧٠) الاغاني ١٤٢/٣ .

يورق بالاجرة »(٦٦) ويورد عم ابى الفرج اخباره عن الكرماني بدون واسطة وعلى النحو الاتي :

عم ابى الفرج ← الكرمانى ← ابو حاتم السجستاني
عم ابى الفرج ← الكرماني ← ابن عائشة
عم ابى الفرج ← الكرمانى ← رواة آخرون

ان القاء نظرة فاحصة على منقولات هؤلاء الرواة الثلاثة أعني هاشم وحبيب بن نصر وعم ابى الفرج تدفعنا الى القول بان الاخبار ذات طابع لغوى أدبي عند هاشم الخزاعي وحبيب بن نصر وانها ذات صفة اخبارية ادبية عند عم ابي الفرج ٠ ان اسانيد هاشم تبين تلمذته أو روايته عن عباس الرياشي وتظهر علاقاته الوثيقة بتلك الطائفة من الرواة الذين نقلوا عن الاصمعي او تتلمذوا عليه او تأثروا به ٠ وكانت اكثر عنايتهم باللغة والغريب والاخبار والاحكام والنقدات التى تعنى بهذا الجانب ٠ لهذا نجد منقولاتهم كثيرا ما تفسر مختارات من اشعار بشار او تعقد مقابلات بينه وبين كبار معاصريه مثل مروان بن أبى حفصة وسلم الخاسر وعقبة بن رؤية بن العجاج ٠ خذ على سبيل المثال هذه الرواية :

أخبرنا هاشم بن محمد قال حدثنا الرياشى عن الاصمعى قال : ولد بشار أعمى فما نظر الى الدنيا قط ، وكان يشبه الاشياء بعضها ببعض في شعره فيأتي بما لا يقدر البصراء ان يأتوا بمثله ٠ قيل له يوما وقد أنشد قوله :

كأن مثار النقع فوق رؤوسنا   وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

ما قال أحد أحسن من هذا التشبيه فمن أين لك هذا ولم تر الدنيا قط ولا شيئا فيها ؟! فقال : ان عدم النظر يقوى ذكاء القلب ويقطع عنه الشغل بما ينظر ٠٠ الخ(٦٧) ٠ وقد انتقل هذا الخبر الى عدد كبير من كتب الادب والنقد عبر كتاب الاغاني حتى صار – بصرف النظر عن الصور المختلفة التى حرر بها – عنصرا لا غنى عنه في تقدير شاعرية بشار ومواهبه الفائقة(٦٨) وطبيعي انه لم يكن الوحيد من هذا النوع من الاخبار التي نقلتها هذه الطائفة من الرواة التى يمكن ان توصف بانها كونت شبه مدرسة وكان لاتجاه هذه المدرسة النقدى فضل كبير على تطور النقد الادبي فيما بعد ٠

ومن الجدير بالذكر ان هذه الطائفة أو المدرسة من الرواة لم تخل من بعض المتطرفين في تعصبهم للأدب القديم مثل اسحاق الموصلي وابن الاعرابي ٠

---

(٦٦) الفهرست (الاستقامة) ١٢٤ انظر أيضا انباه الرواة للقفطي ١٥٥/٣ الذي وصفه ببعض الصفات وذكر بعض كتبه ٠ وانظر السيوطي : بغية الوعاة ٦٠ والزبيدي : طبقات النحويين ٨٧ ومعجم الادباء ٢١٣/١٨ وكشف الظنون (الاوربية) ١٨٩٩ ٠

(٦٧) الاغاني (الثقافة) ١٣٥/٣ ٠

(٦٨) انظر على سبيل المثال كتاب الاختيار من شعر بشار والمصادر الاخرى التي ترجمت لشاعرنا ٠

الانجليز في قصيدته الشهيرة « بضاحية الرميثة » ، التي جاء فيها قوله :

ماذا بضاحية الرميثة ... من غطارفة جحاجح
ولمن أقيمت في البيوت ... على كرامتها المناوح
قوم الى دار البوار مشوا فمن غاد ورائح
طلبوا مساواة الحقوق فطوحت بهم الطوائح
فزكت دماء قد أريقت فوق هاتيك الاباطح(٥)

واذا أخذ على الزهاوي عدم مواكبته الثورة في بدايتها ، وعدم الاشتراك فيها ، ووضعه الماء على جذوة حماسته الوطنية اللاهبة في عهد الاحتلال ، الا انه عاد الى فطرته الوطنية الاصيلة في أيام الحكم الوطني ، كما يسمونه .

وعادت جذوة وطنية لاهبة مشتعلة بعد ان غطاها الرماد ، فتناول في شعره احداث العراق ومساوىء الحكم فيه في مثل قصيدته « ويل ثم ويل » التي جاء فيها :

ويل لمملكة قضى أهمالها ... من أهلها ان يفشل استقلالها
ولبلدة منكوسة قد أنكدت ... علماؤها ، وتنعمت جهالها
ولامة بعد الوفاق تخالفت ... فتقطعت لخلافها أوصالها
عاثت بها فتاكة أبناؤها ... فكأنما أبناؤها أغوالها
دخل الذئاب حمى العرين تدوسه ... لا الاسد تحميه ولا أشبالها

ولو رحنا نستشهد بقصائد اخرى في شعره القومي والوطني لما انتهينا ، وكل هذه القصائد نابعة من قيمتين عظيمتين هما الحرية والتقدم .

فلم يقتصر في شعره على المطالبة بالحرية القومية والوطنية ، بل اتسع نطاق الحرية فشمل مجالات كثيرة ، وأهمها المجال الاجتماعي ، والمجال الفكري الخالص ، فقد كان يرى ان التحرر القومي لا نفع كبير من ورائه اذا لم يشمل المجال هذين المجالين ، وفي ذلك يقول في قصيدته « حرية الفكر » :

عظيم على الافكار في عصرنا الحجر ... أما كل انسان بارائه حر
وهل فهم الشعب المريد انطلاقه ... من الاسر ، ان الحجر فيه هو الاسر
وهل نافع تحريره من اساره ... اذا لم يكن في رأسه حرر الفكر(٦)

وكان اخطر ما نادى به في ميدان التحرير الاجتماعي ، حرية المرأة ، والدفاع عن حقوقها ، دفاعا فدائيا ، لقى في سبيله الايذاء ، بل الازراء ، وهو بهذا يعد من الرواد الشجعان الذين جهروا بالتحرر النسوى ، فقد دعا المرأة الى تمزيق الحجاب ، مرة ، ومرة اخرى حمل على تعدد الزوجات ، ومرة ثالثة نادى بتعليمها بل اشتراكها في الحياة العامة ، وقد تحدث في هذه الناحية

(٥) ديوان الزهاوي سالف الذكر ص ١٧٦ .
(٦) ديوان اللباب ص ٣١٨ .

الدستور العثماني الذى هلل عند صدوره المهللون ، وظنوه فاتحة خـــير للعراق ، وللبلاد العربية التابعة للعمثانيين ، فاذا ظنهم يخيب ، وتأميلهم ينهدم ، وفي ذلك يقول في قصيدته في « العراق » :

الى م أجوب القطر سـال جهالة ... وماج تقاليـــدا وفـاض خرابا
تداعت رحابى أوبـــة وانصرافة ... وكلت ركابى جيئـــة وذهـــابا
سمعت به صوت الرقى وأوجست ... به النفس من أعلى « فروق » خطابا
أخذناه تغريدا فرد بـــه البكا ... على أثر ارزاء العراق نعابا
فيالك صـــوتا كان طائر يمنه ... يردد ورقـــاء فرد غرابا
هنـــاك تأملت الـــديار موائلا ... تغورن أنشـــازا وضقن رحابا
فأرسلت فيهن الامـــانى فأخفقت ... وسرحت فيهن الرجـــاء فخابا(١٣)

ونلمس نزعته العثمانية ، وعطفه عليهم ، ولومه لهم في قصيدته « ثورة على الاتراك » التى دبجها بمناسبة هزيمة الاتراك امام الانجليز بالعراق في عام ١٩١٥ – ففي مستهلها يسجل أسفه على تأنيب الاتراك ، لتنكرهم لبلاده ، فيقول :

يا من يعز علينـــا أن نؤنبهم ... في حيث لا ينفع التأنيب والعـذل
جفوتمونا وقلتم : نحن ساستكم ... مني مطيتها الاخفـــاق والفشل
كم تنبذون لنا ذنبـــا فنعذركم ... لقد تقطعت الاعـــذار والعلل(١٤)

ويأخذ بعد ذلك في تذكير الاتراك بما أتوا من جور ومنكرات ، يقول في ألم وحسرة :

نحن الالى عرض في جنب جوهركم ... فيه نصال المنايا الزرق تنتصـــل
قوم من العرب وخز النحل حظهم ... وحظ قوم سوانا الارى والعسل
عند المغـــانم لا ندعى ويفدحنا ... من المغارم ثقـــل ليس يحتمل
تأبى الحوادث إلا أن نملـــكم ... ولا – ودين التآخى ، ما بنا ملل
إين الرهين بأمـــوال لنا ذهبت ... ومن يفيد باخــــوان لنا قتلوا
اما شـــهيد معـــلى فوق مشنقة ... او موثق بحبال الاسر معتقل(١٥)

ويختم هذه القصيدة معتذرا عن قولها لان الاحداث دفعت اليها يقول :

دعوا المظـــالم حاولتم تفشيها ... ما للبـــلاد التي ناءت بها قبل
لم لا يجاب منـــادينا ؟ كأنهم ... ما استنجزوا عن يد حقا ولا سئلوا
قد اعتذرنا وقـــد صحت مقالتنا ... إخوكم مكره في الحرب لا بطل(١٦)

---

(١٣) ص ٦ من الديوان .

(١٤) ص ٢٧ من الديوان .

(١٥) ، (١٦) ص ٢٩ من الديوان .

ـ اننى قد ندمت غفرانك اللهم   من سوء مذهبي واعتقادى[10]

* * *

وبهذا عاد الزهاوي الى فطرته العربية المؤمنة ، بعد حياة طويلة سجل فيها بكفاحه القومي ، وفكره المتوقد ، صفحات باقيـــات في تراث القومية الخالد ٠

* * *

محمد رضا الشبيبي

ويصافحنا من شعراء الطليعة ، شاعر ثالث هو الاستاذ محمد رضا الشبيبي ابن الشاعر محمد جواد الشبيبي وهـو عربي الخلق والسمات ، وقـد أشاد بالعرب ومناقبهم في ثنايا قصائده ، ولكنه لم يفض حديثا فيهم كما أفاض الكاظمي ، والرصافي ، كما سيجيء ، ومما جاء في قصيدته « من الحرب الى الحرب » قوله يصف اباء العربي ، واعتزازه بكرامته ، وكراهيته للظلم ومجاهدته له :

عرب على قسمات وجــه وليدهم   متبين عنـــوان طيب المولــــد
لا يطرقون الماء شـــيب نميره   وغدا مخاضة رائـــح أو مغتدى
واذا الذئاب ورذن مـــاء حرمت   أسد الشرى غشـيان ذاك المورد
واذا اعتدى الباغى عـلى أوطانهم   بطشوا به وأروه عقبى المعتدى[11]

وقد أسهم الشبيبي ، كما أسهم شعراء الطليعة في معارضة الحكم التركي ، ولكنه كان في معارضته رفيقا لينا ، وذلك لانه ، كما يبدو يجمع الى العاطفة القومية ، الجنوح الى العثمانية ، لانها تدين بالاسلام من ناحية ، كما ان في تأييدها تأييدا للعنصر الشرقي على الغربي ، وهذا الوجدان الموزع اتسمت به طائفة من الادباء والمفكرين في الفترة الواقعة بين اعلان الدستور العثماني في عام ١٩٠٨ الى قيام ثورة الحسين بن علي في عام ١٩١٦ ، ونلمح هذا التوزع حتى لدى أشد المهاجمين للحكم التركي من أمثال الزهاوي او الرصافي ، او الكاظمي ، فاذا دخلت الدولة العثمانية في حرب مع البلقـــان او الطليـــان أيدوها ، وقد جلى هذه الحقيقة الاستاذ أنيس المقدسى في كتابـــه القيـــم « الاتجاهات الادبية في العالم الحديث »[12] ٠

وها نحن اولاء نجد الشبيبي ، يبدى أسفه وألمه ، لحالة بلاده بعد اعلان

---

(١٠) ديوان « النزغات » لم يطبع ، وقد تمكن الاستاذ هلال ناجي ، في كتابه « الزهاوي وديوانه المفقود » من استعارته من الآنسة صفية احمد زكي أبو شادي ، الذي تسلمه من الاستاذ سلامه موسى ، وقد أودعه الزهاوي لديه في عام ١٩٢٤ ٠

(١١) ص ١٩ من ديوان الشبيبي ـ مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر ـ القاهرة ١٩٤٠ ٠

(١٢) تراجع ص ١٣٦ ، ١٤١ وغيرها ٠

العلم قد دك الجبـــال فهدها   وأضاء جنح الليل فهو نهار[8]

وفي قصيدة اخرى يقول :

ليس الحيـــاة ســوى وغى   والنـــاس مغلـــوب وغالب
والعـلم في هـــذا الجهـــاد   هو الســـلاح لمن يحـارب

* * *

وقد بلغت به حرية الفكر الى تناول الغيبيات بالانكار ، غير آبه بما تثيره اراؤه في الرأي العام من تنكير بل تحقير ، وآية ذلك ما جاء في ملحمته الجهيرة « ثورة في الجحيم » وفيها يسخر من « الصراط » وينكر خلق الجن ، ويثير حربا بين أهل الجحيم ، والزبانية الذين يعاقبونهم ، وتنتصر الشياطين لاهل الجحيم ، وتنتصر الملائكة للزبانية ، ويعقـد النصر لاهـل الجحيم ويتمكنون من دخول الجنة على ظهور الشياطين وفي ذلك المعنى يقول :

– ثم طاروا على ظهور الشياطين خفافا كما تطير النســور
– يطلبون الجنان حتى اذا ما بلغوها جرى نضـــال قصير
– ثم فازوا بها وقاموا بما يوجبه النصـر والنهى والضمير
– طردوا منبها منالبله واحتلوا القصور العليا ونعمالقصور
– غير من كانوا مصلحين فهذا القسم منهم بالاحترام جدير
– وأقاموا لفتحهم حفلة أعقبها منهـم الهتـــاف الكثير
– انه انقلاب به جادت على كرهها الطويل الدهور

وهكذا رأينا هذا المجنون بحب الحرية ، والعلم الذي ارتآه يضرم ثورة خرافية ألبت عليه معظم الناس فرموه بالمروق والالحاد[9] .

وهذه الثورة ، هى أثر من اثار ايمانه بعلم الماديين ، من امثال شبلى شميل ، وغيره في مراحل حياته الباكرة .

وقد خفت هذه الثورة في ابان الكهولة ، وعاد اليه الاشراق الروحي وندم على ما دبج من آراء حرة جامحة في ديوانه « النزغات » واية ذلك ما جاء في هذه المقطوعة :

– أنا فيما أبديتـــه من مقال   مخطىء ليس لي أقـل استناد
– شهد الله والملائكة الابرار   أني ركبت غــير الســداد
– أنني قد أسأت ظني وربى   واقف للمســـىء بالمرصـاد

(8) ديوان الزهاوي ص ٢٢٩ – ٢٣٠ .

(9) يراجع في هذا كتاب « من الادب العربي المعاصر » ، للاستاذ وحيدالدين بهاءالدين ص ١١٠ – مطابع دار الزمان ١٩٦٦ .

حديثا طويلا ، الاستاذ ناصر الحاني في كتابه عن « جميل الزهاوي »[٧] فذكر ان الزهاوي يتميز على معاصريه في انقطاعه الى تحرير المرأة وتعلقه بها تعلقا طغى على شعره .

« وكان للضجة التي أقامها ومعاصروه اثر كبير في زحزحة كثير من التقاليد والعادات التي اضرت بالمرأة وضيقت خناقها ، ونرى من نافلة البيان ، تكرير ما قاله هذا الباحث في كتابه .

ولكن هذا لا يمنعنا من القول بان شعره في المرأة كان أجود ما قال من شعر على الاطلاق ، وأصالته فيه صادرة عن شجاعته الفائقة في المناداة بهذه الدعوة الخطيرة في ذلك الحين .

وآية ذلك قصيدته القوية الحارة « الشيخ في عين الفتاة » التي يقص فيها قصة عجوز غني قاسي ، زف الى فتاة حسناء ، فلم تجد مناصا من الخلاص منه والفرار من وجهه الا الانتحار في ماء دجلة وفيها يقول :

- قد غاضني شيخ تزوج كاعباً مثل المهاة
- شرس ، على كبر أهانتــه السنون به وعاتي
- هي كالحمامة في الوداعة وهو فظ كالبزاة
- احتازها بالمال قد أعمى أباها والهبات

وقبيل اخرها يقول على لسان الفتاة وهي ذاهبة الى النهر :

- يا دجل آويني فعندك ملجأ للمحصنات
- ولقد قصدتك بعــد ان أخفقت في كل الجهات
- اني سأدفن فيك بعد هنيهــة ذاتي بذاتي

وينهي هذه القصة بآرائه الجريئة العاطفة على المرأة يقول :

- قد كنت أعرف جيدا هذي النهاية في البداة
- اني رأيت المسلمين يخاشنون المسلمات
- وأرى النساء من الرجال يعشن غير مكرمات
- وأرى الاماء سوافرا والسيدات محجبات
- يا شرق انت اليوم في نظري كما بالامس عاتي

أما دعوته الثانية ، فهي دعوته الى الحرية الفكرية ، واعتناق العلم قيمة من القيم المهمة للتقدم والرقي ، وله في العلم قصائد كثيرة ، تشهد بانه جعله حجر الزاوية في بناء التقدم والاصلاح ومن ذلك قوله في قصيدته « حول العلم » :

لعلم ثروة أمة ويسار   والجهل حرمان لها وبوار

(٧) محاضرات عن جميل الزهاوي للاستاذ ناصر الحاني القيت بمعهد الدراسات العالية بالقاهرة صفحات ٥٢ ـ ٥٥ .

البيروني في الفلك والرياضيات التي دفعت هذين العلمين الى مراحل متطورة ، او جهود جابر بن حيان الذى ثبت دعائم علم الكيمياء الحديث ؟ وهل عرف علم الجبر في العالم قبل جهود الخوارزمي ؟ ومن سبق الخازن في الاشارة الى ان للهواء وزنا وقوة رافعة ؟ • وليس قصدي ان اعدد انجازات الحضارة العربية الاسلامية وعلمائها في العصر الوسيط فان ذلك الامر اعترف به اعداؤنا قبل اصدقائنا ، رغم محاولات الاوربيين في عصر النهضة طمس تلك الانجازات وذلك بطمس أسماء العلماء والكتب العربية والاقتباس منها أو ترجمتها دون ذكر عناوينها او اسماء مؤلفيها ، ولكنني ارى ان المؤلف كان قاسيا في تصويره لمدارك العصر • ولعلني اذكره بأن كتابة التاريخ عند العرب بدأت بصورة جدية ومنظمة في عهد الاهتمام المتزايد بالعلوم والمعارف ، وان المؤرخين عالجوا موضوعاتهم تحت ضغط نفس الدوافع التي املت على زملائهم في بقية فروع المعرفة ممارسة نشاطاتهم العلمية •• وبأمكان اي باحث ان يجد الروح العلمي ماثلا في الكثير من مصادرنا التي كتبها مؤرخون حقا •

هل كان للعوامل الاخرى دورا في الحركة البابكية ؟

اننا نعتقد بان الظاهرة او الحدث التاريخي حدث معقد تعتوره عوامل عديدة فتؤثر في سيره وتطوره ، منها العوامل السياسية والاقتصادية والاجتماعية والقومية والدينية وحتى النفسية •• وبمعنى اخر ان منهج البحث العلمي المعاصر يعتمد الاحتمال والتعدد في التفسير •

وقد يلعب عامل واحد دورا بارزاً في ظاهرة ما ولكن ليس معنى ذلك ان نتزمت ونلتزم هذا العامل دون النظر في اثر العوامل الثانوية الاخرى • وقد حاول الكتاب الذي بين أيدينا ان يظهر الحركة البابكية كأنها نتيجة صراع طبقي عنيف ليس الا •• ولكن ملاحظات واشارات افلتت من قلم المؤلف كانت بمثابة مؤشرات على ان عوامل اخرى منها سياسية وقومية وشخصية لعبت دورها في تحريك بابك ومن حام حوله نود ان نشير الى اهمها :

١ ـ يصور المؤلف الصراع بين السلطة العربية وامراء القفقاس كصراع سياسى[٥٤] وليس طبقيا !!

٢ ـ يرى المؤلف بان مساهمة الارستقراطية الارمنية كانت بسبب تضايقها من سيطرة السادة العرب ومن اجل توسيع نفوذها فالصراع ارمني ـ عربي ذا صبغة سياسية[٥٥] !

٣ ـ يرى المؤلف بان اصبهبذ طبرستان بشر بتعاليم الخرمية[٥٦] ومعنى ذلك ان اميرا ايرانيا محليا يعارض السلطة العربية فينشر تعاليم مغايرة لعقيدتها (الاسلام) في محاولة للتخلص من سيطرتها !! وهذا صراع سياسى عنصرى ديني •

٤ ـ يرى ان الارستقراطية الايرانية اشتركت في حركة بابك رغبة في

---

(٥٤) العزيز ، البابكية ، ص ٦٠ •
(٥٥) المصدر السابق ، ص ١٠٢ ، ١٤١ •
(٥٦) المصدر السابق ، ص ١٥٤ •

جيدا بان ما قاله لا يستند الى مصدر ولذلك يتبرع لصياغة المفاهيم والتعاليم بلغته الخاصة مبررا ذلك تبريرا طريفا فهو يقول ان بساطة التعاليم البابكيه انما تعود الى سذاجة مدارك العصر[51] وبساطة الناس في تلك العهود !! وهذا تخريج جديد وطريف يدافع به المؤلف عن افتقار البابكية للمبادىء ٠

وحين يقول المؤلف بان المزدكيين استحوذوا علـى اراضي الارستقراطية واستغلوها مشاعا يصطدم بعقبة كأداء في طريق تطبيق مذهبه ذلك ان المجتمع كان مجتمع العبودية وهو مجتمع تطور عن المشاعية ويجب ان يسير نحو الاقطاع – حسب مراحل التفسير المادي للتاريخ – فكيف يبرره المؤلف ؟ انه يستعمل اصطلاحا أخر هو « العود الخاطىء » الى مرحلة قديمة (المشاعية) وهذا شيء طبيعي – في مفهوم المؤلف – بالنسبة لمدارك ذلك العصر !! وكأن « مدارك العصر » اصبحت (قميص عثمان) يلوح به المؤلف كلمـــا احس بحرج في موقفه !!

بهذا المنطق اللاموضوعي يريد المؤلف ان يفرض تفسيره عـــلى الحركة البابكية[53] ولعل في ذلك دليل اخر على هذا التفسير لا ينطبق على البابكية ومنطلقاتها ٠

ثم ماذا عن مدارك العصر ٠٠٠؟

قلنا بان الاستنتاجات والفرضيات التي يريد المؤلف ان يقنعنا بها تشكو من عدة نقاط ضعف ٠٠ وان تحليله كثير الثغرات ولذلك كله يعمد المؤلف الى التهجم على مدارك الناس ومستواهم في ذلك العصر كلما اعوزته الحجة والدليل والبرهان ٠

ان العصر الذى يتكلم عنه المؤلف يعتبر ذروة الحضارة العربية الاسلامية ، وان ذلك العصر انجب علماء مخضرمين ابدعوا في مجـــالات مختلفة انسانية وعلمية تعتبر حجر الاساس في بناء صرح حضارتنا العالمية المعاصرة وان نسينا فهل ننسى اراء ابن حزم والجاحظ وابن المقفع وابن خلدون في الاصلاح السياسى والاجتماعي ٠ فالجاحظ لا يرى في العنصر او النسب الاساس في تقرير قومية الفرد بل ان لغته وثقافته وفكره واتجاهاته هى المحك في ذلك !! وضرب ابن خلدون على نفس هذا الوتر في (مقدمته) فقال ان الصريح من النسب انما يوجد للمتوحشين في القفر اما العرب الذين كانوا في معادن الخصب فاختلطت انسابهم وتداخلت شعوبهم ٠ ويقول ابن حزم في (الاحكام) ان الحد الادنى من المعرفة لابد ان يكون اجباريا ٠ فهل هناك اراء « تراثية » اكثر « معاصرة » من هذه الافكار ؟ وكيف يستسيغ المؤلف ان يتهجم على هذه المدارك وامثالها ؟

ومن سبق ابن الهيثم البصري في اخذه بالأستقراء واعتماده على المشاهدة وفيما اورده من نظريات في الابصار وانعكاس الضوء ؟ وهل ننكر اسهامات

---

(٥١) المصدر السابق ، ص ١١٩ ، ١٠٦ ٠

(٥٢) العزيز ، البابكية ، ص ١١٩ ٠

(٥٣) ولعل احسن تعبير للعلاقة بين التفسير المادي والحركة البابكية هو الاصطلاح المعروف باسم Misfits ٠



وفكر القرن العشرين

- تتمة -

الدكتور فاروق عمر فوزي
عضو اتحاد المؤلفين والكتاب العراقيين

وقد اوردنا فيما سبق بان المؤلف يقتبس رأيا استشراقيا حول مركز المرأة عند الاسماعيلية ليطبقه على البابكية ويرى بان البابكية اعادوا للمرأة حريتها وحقوقها ولكن اعداء البابكية صوروا هذه الحرية وهذا التقدير وكأنه مشاعية ودعارة !! فاقتبس تفسيرا عن الاسماعيلية ، ان صح هذا التفسير ، ليطبقه بطريقة « الاستعارة » على البابكية دون ان يبحث عن روايات يستند اليها . ان تعاليم البابكية التي تذكرها مصادرنا التاريخية تقول بان المالك لا يستطيع ان ينفرد بما يقتني(٤٨) وتعتبر هذه التعاليم النساء من جملة المقتنيات ٠ وبودنا ان نسأل المؤلف اذا طبق هذا المبدأ على النساء فماذا نسميه ؟ الا يسمى مشاعية ؟ أو على أقل تقدير فان الخرميين متساهلون في حياتهم الجنسية !!

وماذا عن الاقطاع ٠٠ ؟ يرى المؤلف ان الحكم العربي الاسلامي لم يجر تبدلات اساسية في الوضع الاقتصادى وان الضائقة الاقتصادية استمرت ٠ ويستخدم تفاسير تخص الاقطاع الاوربى ليطبقها على « الاقطاع » العربي الاسلامي ٠٠ ولا نريد ان ندخل في تفاصيل الاختلافات الجوهرية بين الاقطاع الاوربى والنظام الاقتصادى في الشرق الإسلامي ولكن أحيله الى ما ذكره احد الماركسيين من ان الفتوحات العربية ادت الى تحطيم الاقطاع وليس الى بدئه(٤٩) ٠ اما اذا كان مؤلف البابكية يقصد الاقطاعات التي ظهرت في العصور العباسية المتأخرة فهذا لا يدخل في نطاق بحثه لانه لم يظهر في زمن حدوث البابكية وانما بعدها ٠

ويستطرد المؤلف في ذكر الحلول التى طرحتها البابكية للتخلص من الاقطاع !! موضحا منهاجها على شكل مبرمج وشعارات متبلورة كأنه يتكلم عن حركة معاصرة ودون ان يذكر مصدرا واحدا يدعم اراءه(٥٠) ٠ والمؤلف يدرك

(٤٨) العزيز ، البابكية ، ص ١١٨ ٠
(٤٩) اميل توما ، العرب والتطور التاريخي ، (مترجم) ، حيفا ، ١٩٦٢ ٠
(٥٠) العزيز ، المصدر السابق ، ص ١٠٦ ٠

وهذا الهيام بنسج المعاني الكبيرة في ألفاظ موجزة ، قد أثر تأثيرا خطيرا في تجاربه الشعرية ، وعاقت تدفقه الشعوري ، ومالت بـه الى الرصانة بل الصلابة التعبيرية ، وقارىء اليوم شعره يشعر بالسأم والملل ، لانعــدام الوحدة الشعرية لديه ، واختناق أفكاره في هضـــبة صخرية من الالفاظ الوعرة ، والقوافي الصلبة ٠

واذا كانت فكرات الشبيبي طغت على أشراق ديباجته ، وانتهاجه تقليد القدامى في وحدة البيت ، دون الوحـدة الشعورية في القصيد ، قلل من جمـال شعره ، فان الانصاف يقـــول بان آراء الشبيبي الاصلاحية ، وتوجيهــاته الثقافية ، وبحوثه الادبية واللغوية ، واحيائه طائفـــة من الكتب العربيـــة النفيسة ، ستبقى فخرا له في سجل الادب القومي العراقي ٠



وليس في شعر الاستاذ الشبيبي ما يدل على انه اشترك في الاعراب عن احداث الوطن الكبرى ولا انتفاضاته ، كما فعل الزهاوي والرصافي ويبدو انه آثر ارتداء رداء الباحث والمصلح الاجتماعي ، فدار شعره في المجال الاجتماعي والاخلاقي فجاهد الجمود والفوضى والخرافات التي كانت تفري قلب الوطن ، واشاد بالفضيلة ومكارم الاخلاق ، ودعا الى وحدة الصفوف ، وهي دعوة من أنبل الدعوات فأيّان قلبت ديوانه رأيته زاخرا بهذه الروح الاصلاحية ، يعبر عنها ناصحا أو قادحا قدح المحب الذى يبغى التقدم والرقى لبنى وطنه ، ومن اكثر ما تجد كلمات الرقى ، والمنى والامانى دائرة في شعره .

فهو في شبابه يهيب في قصيدته « اوطار واوطان » التي دبجها في عام ١٩١٣ الى اليقظة ، وفيها يقول :

سل القوم : ما هذا الشقاء الذى أرى	ومن ذا الذى ينجي من الخطر الدانى
كأنك تدعو حين تدعو حجارة	وتقرع صما من صياخيد صفوان
فلم تلق منهم غير غفلة أنفس	وغضة أبصار ونبوة آذان(١٧)

وفي قصيدته « الفوز في الحياة » التى دبجها في كهولته وذلك في عام ١٩٣٤ ، يدعو بنى وطنه دعوة أيجابية ، الى البناء والى نبذ الخوف والى الاقدام والثبات ، والمعرفة ، وفيها يقول :

هدم الزمان فجددوا	ما رث وابنوا ما هدم
والفوز في الدنيا لمن	نبذ المخاوف واقتحم
ولمن يشق طريقه	ملحوبة في المزدحم
ولمن شأى بثباته	ورسوخه الطود الاشم
ولمدرك ما استودعت	شتى العوالم من حكم(١٨)

* * *

وهذه الدعوات الاصلاحية كان لها أثرها وخطرها في زمانه ، وكان يعرب عنها بكلمات مركزة جامعة ، أو أبيات موجزة متناثرة ، ولذا زخر ديوانه بالحكم ، والسوانح والخواطر ، وهو منهج هام به القدامى ، وسار الشبيبي على أثارهم ، وقد جلى هذا المنهج في ثلاثة أبيات وردت في صلب قصيدته « الشعر بين الحق والباطل » قال :

وأجمع أقوال الرجال أسدها	معان كبار في حروف قلائل
وقد يفضل البيت البليغ قصيدة	مطولة ، لكن على غير طائل
وقد يبلغ اللفظ القصير رسالة	اذا عدت الالفاظ روح الرسائل(١٩)

(١٧) ص ٥ من الديوان .
(١٨) ص ٩٤ ، ٩٥ من الديوان .
(١٩) ص ٦١ من الديوان .

٦ ـ وحين سلم سهل بن سنباط الارمني بابكا الخرمي الى السلطة العباسية التفت اليه بابك وقاله له « انما بعتني لليهود بالشىء اليسير »(٧٣) وهنا وصف بابك العرب المسلمين باليهود !!

٧ ـ وحين علم بابك ان الذي يتولى امره في السجن شخص فارسي من الدهاقين قال : « الحمد لله الذى وفق لي رجلا من الدهاقين يتولى قتلي »(٧٤) .

الا يعتقد معي مؤلف البابكية بان هذه الروايات وامثالها تحتاج الى تأمل ومناقشة وتحقيق لكي نتبين حقيقة البابكية عن كثب ؟؟

حول علاقة الخرمية بالدعوة العباسية :

يرى كتاب البابكية بان الخرمية كانت المحرك للدعوة العباسية مستندا الى ان خداش كان احد دعاة العباسيين وقد قتل متهما بالخرمية(٧٥) . والواقع فان هذا التفسير يشوه طبيعة الدعوة العباسية ذلك لان دور خداش في الدعوة كان متقدما وان الامام محمد العباسي تبرأ منه بعد مقتله وافتضاح ارائه ونبه الشيعة العباسية الى انحرافه . ثم ان الدعوة العباسية لم تكن ذات واجهة واحدة بل ظهرت بواجهات مختلفة ولذلك لا يمكن اعطائها لونا واحدا متطرفا !!

ويظهر ان المؤلف قد تجاهل التفسير الحديث للدعوة العباسية وهو تفسير اكثر شمولا وتكاملا فقد اثبتت مصادر(٧٦) حققت حديثا ان القوة الضاربة في هذه الدعوة كانت تتكون من عرب خراسان وقد اسهم فيها الموالي ، وخاصة اولئك المرتبطين بالقبائل العربية في خراسان ، ايضا ولكن دورهم لم يكن يمائل دور العرب . وأود ان اوءكد على ان غالبية الموالي الذين اشتركوا في الدعوة العباسية كانوا من المرتبطين بالقبائل العربية وهؤلاء ذوو وضع خاص ليس كبقية الموالي . فالمولى المرتبط بقبيلة عربية يعتبر جزءاً من القبيلة « فالولاء لحمة كلحمة النسب » وقد قرر عمر بن الخطاب اجراءا مهما في هذا الباب حين كتب الى العمال والولاة أثناء حروب التحرير والفتح الاسلامي : « ومن اعتقتم من الحمراء (الموالي) فأسلموا فالحقوهم بمواليهم لهم ما لهم وعليهم ما عليهم وان احبوا ان يكونوا قبيلة وحدهم فاجعلوهم اسوة في العطاء »(٧٧) وهذا الاجراء ادى الى تلاحم كبير بين عرب القبيلة ومواليها ناهيك عما ينتج عنه من مشاركة في الامال والالام .

ان المؤلف يتبنى منذ البداية تفسيرا يتماشى تماما مع وجهة نظر ولهاوزن العنصرية فيسرد معلومات عن التمييز الحاد بين العرب والموالي معتمدا على مصادر ثانوية مثل كتب جرجي زيدان وبعض المستشرقين ويرى ان « للاوضاع

---

(٧٣) الطبري ، القسم الثالث ص ١٢٣١ .

(٧٤) المصدر السابق ، ص ١٢٣١ .

(٧٥) العزيز ، البابكية ، ص ١٤٢ .

(٧٦) راجع على سبيل المثال لا الحصر : المؤلف المجهول ، اخبار العباس وولده ، بيروت ١٩٧٣ . ابو زكريا الازدي ، تاريخ الموصل ، القاهرة ١٩٦٧ .

(٧٧) البلاذري ، فتوح البلدان ، مصر ، ١٩٠١ ص ٤٦٢ ، ٢٧٤ .

وهــم ينضمون الى والى عباسي متمرد على السلطة ؟ وما هي نقــاط الاتفاق بينهم وبينه ؟ ولعله في مستقبل الايام يظهر لنــا من يصف حركة منكجور الفرغاني بانها « انتفاضة اذربيجانية » جديدة !!

١٢ ـ في معرض كلامه عن اشتراك بعض العــرب في الحــركة البابكيــة يحمل النصوص أكثر من طاقتها ، ويحشر تعميمات عن اشتراك العـــرب لم يذكرها الرواة . بل انه يضع الكلمات في افواه الرواة ويستعمل جملا مثل « ان المؤرخين وان لم يشيروا الى انضمام هؤلاء للحركة فانهم (اي الامراء) حسب رأينا لم يكن امامهم وقد انتفضوا عـــلى الســلطة الا الانضــمام لجيش الانتفاضة !!...(٦٧) » ان منهج البحث التاريخي لم يشهد ، على ما اعتقد ، تفسيرا يتسم بعدم الترابط والسذاجة مثل هذا التفسير !!

انه تفسير ليس له مكان في منهج البحث التاريخي !! بل هو محض خيال . وعلى المؤلف ان يفرق بين عصيان بعض الولاة أو تمرد بعض شيوخ القبائل وبين اشتراكهم في الحركة البابكية .

وليسمح لي المؤلف ان أسوق لـه عـددا من الروايات التي ترى بان البابكية كانت مضادة للعروبة والاسلام . وكان عـــلى المؤلف ان يتعمق في مناقشتها او دحضها لا ان يمر عليها مر السحاب .

١ ـ يشير بابك في رسالته الى تيوفيل امبراطور الروم قائلا « ان ملك العرب (المعتصم) قد وجه عساكره ومقاتلته ... »(٦٨) فهو حين يتكلم عن المعتصم يسميه ملك العرب .

٢ ـ تشير روايته الى ملاحقة السلطة العباسية للخرمية في عهد الرشيد حتى ان زعيمهم جاويدان كان لا يستطيع جمعهم « خشية شر العرب »(٦٩) .

٣ ـ اعترف المازيار بعد اسره باتفاق المتآمرين على « اخذ الامبراطورية من العرب واعادتها لاكاسرة الفرس »(٧٠) . هذا مع العلم ان صاحب هذه الرواية كان مؤرخا محليا لا يميل الى العرب ولكنه مع ذلك يوضح نوايا البابكية بأمانة .

٤ ـ يؤكد المسعودى في رواية له ان الافشين والمازيار اتفقا عـــلى احيــاء « مذاهب الثنوية والمجوس »(٧١) .

٥ ـ يروي الطبري رسالة تبودلت بين زعماء الحركة تقول :
« انه لم ينصر هذا الدين **الابيض** (الخرمية) غيري وغيرك وغير بابك » فالخرمية هي الدين الابيض المعارض للاسلام دين المسودة العباسيين !!. وتستمر الرسالة لتجعل هدف المتآمرين « ان يعود الدين الى ما لم يزل عليه ايام العجم »(٧٢) .

---

(٦٧) المصدر السابق ، ص ١٦٨ .

(٦٨) الطبري ، القسم الثالث ، ص ١٢٣٤ .

(٦٩) ابن النديم ، الفهرست ، ص ٤٩٦ .

(٧٠) تاريخي طبرستان (الترجمة الانكليزية) ص ١٥٥ .

(٧١) المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٤ ص ٦١ .

(٧٢) الطبري ، القسم الثالث ، ص ١٣١١ فما بعد .

من اخي الافشين الى اخي المازيار والتي يقول فيها « يعود الدين الى ما لم يزل عليه ايام العجم »(٦٠) دون نقدها او ذكر سبب لرفضها ٠

ويفعل المؤلف الشيء نفسه فيما يخص القول المنسوب الى زوجة جاويدان « ان بابك سوف يرد المزدكية »(٦١) ٠ والغريب ان المؤلف يقتبس بعضا او جزءا من الروايات التي يرفضها حين يريد ان يعزز آراءه أو تفسيراته ٠

٩ – لا يمكننا انتوقع من المؤلف ان يعترف بان بابكا تحالف مع امبراطور الروم لان ذلك يتعارض مع تفسيره بان « البابكية حركة فلاحية طبقية » ولذلك نراه يزوغ ويلف ويدور ويبرر دون جدوى(٦٢) ٠ فالمؤلف يقول ان الروم ساعدوا بابك ويبرر ذلك تبريرا ساذجا حين يرى بان الروم ما كانوا ليساعدوا بابك لولا ان المأمون ساعد توما الصقلي !! اما تبريره لقبول الامبراطور للخرميين الفارين كلاجئين في الاراضى البيزنطية فهو متهافت حيث يقول ان الامبراطور اراد ان يستخدمهم في حروبه مع المسلمين !!

اما مساعدات الامبراطور لبابك في مهاجمة المسلمين « فهي نكاية بالمسلمين » وليس كواجب تجاه الحليف !! ولعلنا نذكر المؤلف بان مصادرنا تشير بان ثيوفيل امبراطور بيزنطة عقد اتفاقا مكتوبا مع بابك ولم يكن الامر اعتباطا او بالسذاجة التي يتصورها(٦٣) !!

ولكن المؤلف لا يستطيع ان يصمد طويلا امام الوثائق ولذلك يعترف في النهائية بان التحالف بين بابك والامبراطور كان بسبب « اتفاق مصالح الطرفين في القضاء على الجيوش العباسية وتحطيم السيادة العربية تدعو الى قيام تحالف بينهما »(٦٤) ٠ هذا ما قاله المؤلف بالحرف الواحد متناسيا الصراع الطبقي والتفسير المادي ٠

١٠ – يشير المؤلف الى ان المازيارية في طبرستان تحالفت مع البابكية ، ويرى المؤلف نفسه ان المازيار امير اقطاعي ارستقراطي ٠ فكيف تسنى لبابك صاحب البرامج الاجتماعية الاقتصادية المعادية للاقطاع والارستقراطية ان يتحالف معه(٦٥) ؟

واذا كان هدف المازيار سياسيا وهو التخلص من السلطة العربية الاجنبية كما يرى المؤلف ؟ فهل اتفقت أهدافهما ؟ وبمعنى اخر هل ان عوامل سياسية دفعت الحركة اضافة الى عوامل اخرى ؟ ولماذا لا يبرزها المؤلف ؟

١١ – لقد انضمت فلول البابكية بعد اندحارها الى الامبراطور البيزنطى والى منكجور الفرغاني(٦٦) والى العباسيين على اذربيجان الذي تمرد سنة ٢٣٢هـ – ٨٢٩م ٠٠٠ والسؤال الذي يطرح نفسه هو اين بقيت عقيدة البابكيين وبرامجهم

---

(٦٦) المصدر السابق ص ٢٥٦ ، ص ٢٦٥ ٠
(٦٠) المصدر السابق ، ص ١٥٢ ٠
(٦١) المصدر السابق ، ص ١٥٤ – ١٥٥ ٠ – راجع الطبري القسم الثالث ص ١٢٦٩ ٠
(٦٢) المصدر السابق ، ص ٢٠٤ ، ٢٠٥ ٠
(٦٣) راجع فازيليف ، بيزنطة والعرب ص ١١٣ – ١١٤ ٠
(٦٤) العزيز ، البابكية ، ص ٢٠٤ ٠
(٦٥) المصدر السابق ، ص ٢٥١ ٠

التخلص من الحكم الاجنبي(٥٧) الذي حدد نفوذها ، فالسبب سياسي والصراع فارسي – عربي وليس طبقيا • وهنا يسير المؤلف على خطين فكريين متناقضين فأين التحالف والتعاون بين الارستقراطيتين العربية والايرانية الذى يكرره مرات في كتابه ؟ ثم ان ما يخفق المؤلف في ايضاحه هنـــا هو كيف تثور الارستقراطية الايرانية وقد قربها العباسيون ؟

٥ – يعترف المؤلف بان العروبة والاسلام صنوان لا ينفصلان في تلك الفترة التي يبحثها حين يقول « ان الاسلام كان بالنسبة للثائرين دين الطبقة السائدة فكان اعتناق الثائرين للخرمية في سبيل المعارضة الثورية »(٥٨) • ولكن المؤلف سرعان ما يستدرك ويقول بان الثائرين كانوا ضـــد السلطة الاسلامية وليس ضد الاسلام كدين • ويحق لنا ان نسأله لماذا لم يعتنق الخرمية مذهبا اسلاميا مناهضا لمذهب الدولة كالمذهب الشيعي العلوي او الخارجي اذا كان هؤلاء غير مناهضين للاسلام كدين ؟ ولعلنا نعلم بان هناك الكثير من الفرس والترك والبربر اعتنقوا مذاهب اسلامية معارضة ليعلنوا عدم ولائهم للعباسيين•

ألم يكن اعتناق بابك واتباعه للخرمية المتطورة عن المزدكية دليلا على انهم لم يكونوا فقط ضد العباسيين بل ضد سلطة العرب وضـد الدين الذى يعتنقونه ؟

ان الظاهرة التي غابت عن ذهن المؤلف هي ان مفهوم « الثورة من أجل انتصار العدالة » في المجتمع الاسلامي الوسيط كان يعني انتصـار الاسلام على الانحراف وكذلك فان كل حركات المعارضة أو الثورات ضمن الدولة الاسلامية كانت دائما تظهر الحكام بمظهر غير الملتزمين بالشريعة ، المنحرفين عن الدين • وانطلاقا من هذه الحقيقة التاريخية فاننا نسأل المؤلف •• هل كانت البابكية من هذا النوع من الثورات ؟ هل كانت ثورة تدعو الى تطبيق الاسلام الصحيح وتظهر العباسيين بمظهر المنحرفين ؟ والجواب هو النفي طبعا والنتيجة هي ان للبابكية اهدافا وغايات لا تلتقي مع الدين الاسلامي والعروبة بشيء • اننا ندعو المؤلف ان يفكر مليا في هذه المعادلة التي لا تقبل اللف والدوران !!

٦ – يقرن الكتاب الاسلام بالعروبة والسلطة حين يقول :

« وما كان الاسلام الا علامة امتيـاز للارستقراطية المنتصرة (العربية) والمذهب الرسمي للدولة التي تمثله »(٥٩) •

٧ – في معرض كلامه عن الحرب يشير صراحة انها ضد العرب فيقول « خيانة الحلفاء الموقتين اضعفت الخرميين وساعدت العرب بلوغ نقطة التحول في كفاحهم ضد حركة الشعب التحررية » •

٨ – ان منهج البحث التاريخي يشترط نقد الرواية نقدا داخليا وخارجيا ثم قبولها او رفضها • اما الكتاب الذى بين ايدينا فيشك في الرسالة المرسلة

(٥٧) المصدر السابق ، ص ١٧١ •

(٥٨) المصدر السابق ، ص ١٣٨ •

(٥٩) المصدر السابق ، ص ١٦٣ •

المزرية والانتهاكات الصريحة لحقوق الفلاحين الدور البارز في تحريكهم » ومن اجل ذلك ساهموا في الدعوة وكانوا عماد جيشها · ويعتبر فلاحي ايران اشد أنصار العباسيين دون ان يشير الى مصادره ودون ان يطلع عن المصادر الجديدة التي اظهرت حقائق جديدة ·

وقد يكون هناك محرومون من الموالي ولكن كان هناك الى جانبهم محرومون من العرب الذين تسميهم مصادرنا « الضعفاء » · وهذا سر ادركته الدعـوة العباسية(٧٨) وركزت على كسب الضعفاء من العرب والموالي معا ولعل شعارانها القرانية واضحة ·

« ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين » ·

والشعار الاخر :

« اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير » ·

وهكذا لم تكن غالبية اتباع العباسيين ، كما يدعي المؤلف ، من الايرانيين بل كانوا في الغالب من عرب خراسان المستقرين هناك منذ اجيال عديدة · اما فلاحو ايران فغالبيتهم لم تحرك ساكنا حين فجرت الثورة العباسية ، بل ان مدن ايران وجماهيرها لم تستغل فرصة الثورة العباسية لتهب مساندة لها ·

والمؤلف يشارك الدينـوري وحمـزة الاصفهاني في تمجيدهما لابي مسلم الخراساني تمجيدا مقصودا فقد اعتبر ابا مسلم الرجل الاول في الدعوة والعامل الحاسم في الانتصار · بل ان المؤلف يتجاوز ذلك ليقرر بان مقتل ابي مسلم كان احد الادلة على تنكر العباسيين للشعب(٧٩) · اي شعب ؟ الشعب الايراني ام الاذربيجاني ام العربي ؟! ومتى كانت مصالح الشعوب مطابقة لمصلحة ابي مسلم ؟!

والواقع ان ابا مسلم لم يلتحق بالدعوة في خراسان الا بعـد ربع قرن من بدئها وبعد وصوله الى خراسان كان في معية الرجل الاول سليمان بن كثير الخزاعي العربي (نقيب النقباء) · ولماذا هذا التركيز على فرد بعينه ومصادرنا تشير بان قيادة الحركة كانت جماعية يرأسها مجلس النقباء الاثني عشر ؟؟

وعلينا ان نفرق بين اتخاذ اسم ابي مسلم رمزا لحركة معارضة ايرانية وبين ارتباطه بها · فأبو مسلم لم ترتفع اسهمه وتزداد شعبيته الا بعد مصرعه على يد المنصور وعندئذ فقط اصبـح رمـــزا للمعارضة الايرانية ومنقذا منتظرا للايرانيين !! أما قبل ذلك فقد حارب ابو مسلم في خراسان جيوب الراوندية كممثل ووالي للعباسيين هناك ·

ولا يصح لنا اعتبار مقتل ابي مسلم ، كما يرى المؤلف ، منعطفا مهما اثار الحركات في ايران بل ان ذلك يرجع الى الوعي والتحسس الجديد الـذى اوجدته الثورة العباسية ذاتها ·

---

(٧٨) راجع ، فاروق عمر ، طبيعة الدعوة العباسية ، بيروت ، ١٩٧٠ ·
(٧٩) العزيز ، البابكية ، ص ١٣٦ ، ١٤٣ ·

مهديون لدى الكثير من الجماعات فهناك السفياني المنتظر الذي تترقبه الجماعات الموالية للامويين وهناك المهدي المنتظر للشيعة العلوية والمنصور الذى تنتظره القبائل اليمانية والتميمي الذى تترقبه بنو تميم وهكذا(٩٠) ٠٠

ويبالغ المؤلف في تصوير خطورة البابكية على السلطة المركزية وان القبض على بابك كان مبعث ارتياح بالغ لدى الناس ٠ وحين يتكلم عن الاراضي التي استولى عليها بابك يستعمل اصطلاحا حديثا وغريبا هو « الاراضى التي **حررتها** الانتفاضة » او الجزء **المحرر**(٩١) !! انطلاقا من فهمه للحركة بانها حركة تحررية جماهيرية !! والواقع ان الحركة لم تكن بالخطورة التي يصورها بها المؤلف ولقد كان في استطاعة السلطة العباسية تحريك المتمردين داخل حدود الامبراطورية البيزنطية وامدادهم بالمساعدات كما وان الخلافة استطاعت قمـــع حركات متعددة واضطرابات في اماكن اخرى خلال فترة الحركة البابكية ٠

ومع ان الدينوري قليل التحامل على البابكية باعتراف المؤلف نفسه ، فان روايته عما قام به بابك من سفك للدماء ينكرها المؤلف ٠ يقول الدينوري عن بابك « استفتح امره بقتل من حوله بالبذ »(٩٢) ٠ واذا سلمنا جدلا بان هذه الرواية موضوعة فماذا يقول المؤلف عن رواية ابن العبري(٩٣) خاصة وانـه مؤرخ لا تتصف كتاباته بالولاء للسلطة العباسية بل على العكس ، ولذلك فان تأكيد ابن العبري باتباع الخرمية لسياسة القتل والتمثيل شيء له مغـزاه بالنسبة للحركة !!

ولكن مؤلف البابكية ينفي هذه التهمة اصلا مشيرا الى ان الخرمية كالمزدكية تكره سفك الدماء ، ونحن نترك المؤرخين يردون عليه ، يقول ابن النديم : صحيح ان الخرمية لا تعرف سفك الدماء ولكن بابك احدث في مذاهبها القتل والغصب والحروب والمثلة !! ويؤيده في ذلك المقدسي مشيرا الى ان الخرمية لا تتورع من سفك الدماء عند عقد راية الخلاف(٩٤) ٠

وتجاه هذه الادلة الدامغة لا يستطيع المؤلف الا ان يعترف بالقتول وسفك الدماء الذى احدثته البابكية فيعزوه الى « قطاع الطرق واللصوص الذين اندسوا في صفوف الحركة »(٩٥) !! وهل انضم هؤلاء بدون علم بابك ؟ ام انه كان لا يعلم بجرائمهم ؟ ومن هو اذن المدبر والمنظم لفعاليات البابكية ؟ ان التاريخ لا يقبل من المؤلف مثل هذه المحاباة وهي لا تنطبق مع الشعار الذى اقتبسه من طه حسين ٠ ان الامانة العلمية التي انكرها مؤلف البابكية على غالبية المؤرخين لا تستسيغ مثل هذا الموقف

وبعد فان الروايات التي تسمي بابك « ملكا » والروايات التي تقول بانه

---

(٩٠) راجع فاروق عمر ، القاب الخلفاء العباسيين ، مجلة كلية الآداب عدد ١٣ ، ١٩٧٠ ٠

(٩١) العزيز ، البابكية ، ص ٢٤٩ ٠

(٩٢) الدينوري ، الاخبار الطوال ، ص ٣٣٨ ٠

(٩٣) ابن العبري ، مختصر تاريخ الدول ص ٢٤٠ ٠

(٩٤) ابن النديم ، الفهرست ، ص ٤٩٤ ٠ ــ المقدسي ، البدء والتاريخ ، ج ٤ ص ٣٠ ٠

(٩٥) العزيز ، البابكية ، ص ١٩٠ ٠

استعمال المؤلف لكلمة (لابد)(٨٦) اكثر من مرة حين لا يجد سندا تاريخيا ، فهي بدعة جديدة تضاف الى ما ابتدعه سابقا من مقاييس فهو يقول مثلا عن الاكراد انهم « يقاسون من شظف العيش » **ولابد** وانهم قد ساهموا في الحركة البابكية · ويقول عن الزط في العراق « **لابد** ان الجور قد لحقهم **ولا شك** مما حدا بهم الى التذمر والاحتجاج ثم الانتفاض » ولابد هنا تأتي محل السبب حين لا يجد المؤلف اسبابا او سندا تاريخيا لما يريد ان يقوله !!

ولكن لماذا كل هذه المبالغة والتكرار الممل ؟ ان التفسير رأي وهو بهـذا فرضية تعرض احتمالا من جملة احتمالات ولذلك لا ينبغي لنا ان يأخذنا حماس المذهب فننسى المنهج واصول البحث ·

ثم اذا كانت الاقاليم كلها تعاني هذه المعاناة التي يصورها المؤلف فمن اين جاء ذلك المجتمع الذى انجب العلماء والادباء والمفكرين ؟ وكيف انتعشت التجارة ؟ وما هى الظروف التى اغوت العرب بالاستقرار واحتراف الزراعة والتجارة والحرف وخاصة في العصر الذى يتكلم عنه المؤلف (العصر العباسى) ؟

حول المحاباة لبابك :

يكرر الكتاب اكثر من مرة دعوة الدكتور طه حسين « وايسر ما يجب على المؤرخ المحقق ان يسمع او يقرأ ما تحدث به او كتبه المنهزمون والمنتصرون جميعا » وهذه دعوة الى اتباع المنهج العلمي في الكتابة التاريخية ولكن بدلا من ان يطبقها المؤلف نراه يقع في العادة السيئة وهي الاعجاب برجل العصابات المتمرد على السلطة المركزية ، ضاربا عرض الحائط محاولة تقييمه او اعطائه حق قدره استنادا الى الوثائق المتوفرة لديه ·

فمنذ الصفحات الاولى يواجه القارىء المحاباة لبابك فنقرأ(٨٧) « قامت ·· انتفاضة واسعة ضد الخلافة العباسية واستمرت حوالى ٢٠ عاما ناضلت الشعوب فيها تحت قيادة الشاب الباسل بابك نضالا مستميتا من أجل الحرية » · وفي مناسبة اخرى يسمى المؤلف بابكا بطلا ويصور لنا اسره تصويرا رومانتيكيا فيه الكثير من الخيال الذى لا يستند على روايات تاريخية فيقول :

« وتجول **البطل** في قلعته الخاوية المهدمة وسرت بخاطره سني **النضال** المريرة الطويلة وكيف كانت لبذ على طرف كل لسان »(٨٨) ·

ولكن البطل في التاريخ هو الرجل الصانع للاحداث(٨٩) · رجل افعاله هي نتائج طاقات وملكات متميزة وارادة قوية وشخصية بارزة والذى تستطيع ان تنسب اليه نفوذا طاغيا مؤثرا في تقرير مفصل أو حدث ما · فهل تنطبق هذه الصفات على بابك الخرمي وافعاله ؟؟

ولم يكن بابك الخرمي وحده ممن اصبح مهديا منتظرا بعد مقتله فقد عد أبو مسلم الخراساني قبله منقذا منتظرا للايرانيين · وكان هناك منقذون

---

(٨٦) العزيز ، البابكية ، ص ١٦٩ ، ص ١٨١ ·
(٨٧) المصدر السابق ، ص ٣٩ ·
(٨٨) العزيز ، البابكية ، ص ٢٤٧ ·
(٨٩) سدني هوك ، البطل في التاريخ ، (مترجم) بيروت ١٩٥٩ ، ص ١٥٥ ·

حول الحرب الاهلية :

وعلى نفس الاساس فنحن لا نقبل التفسير الذى يصور النزاع بين الامين والمأمون والحرب الاهلية التي اعقبته على انه صدام بين الارستقراطية الايرانيه والارستقراطيه العربية كما يحاول المؤلف ان يصوره ٠ وهنا يناقض المؤلف نفسه في نقطتين رئيسيتين :

الاولى ـ انه وقع في شراك التفسير العنصرى (عرب ضد فرس) فكيف يقول هذا وهو المؤيد للرأي القائل « الشريف من كل قوم نسيب الشريف من كل قوم » ٠

الثانية ـ انه تناسى مقولته السابقة وهى ان الارستقراطية الايرانية اختارت الطريق السلمي للتنكيل بالارستقراطية العربية عن طريق الشعوبية ٠ فهو يظهر هنا ان الارستقراطية الايرانية تستعمل السلاح لا الفكر والقلم ضد العرب وسلطتهم ٠ فاي التفسيرين يريدنا أن نصدق ؟؟

ان تصوير الحرب الاهلية وكأنها نزاع عنصري يجانب الواقع التاريخي ويردد تفاسير تقليدية أكل الدهر عليها وشرب ، فكيف يقبلها المؤلف وهو المبشر بالتفسير المادي ؟ فمن الممكن ان يفسر النزع على انه نزاع بين كتلتين متضاربتى المصالح يتمثل في كل منهما العرب وغير العرب ٠ ولابد لنا ان نقول بان اصطلاح « الارستقراطية العربية البغدادية » اصطلاح غريب لم يرد في كتب المؤرخين الرواد ولا المحدثين وهو يظهر لاول مرة في هذا الكتاب اما الاصطلاح المألوف فهو « اهل بغداد » وهو اصطلاح تاريخي له دلالته وهو لا يمثل الارستقراطية فحسب بل جماهير بغداد بالدرجة الاولى ٠ فكيف يسوغ للمؤلف استبداله باصطلاح من بنات افكاره ؟؟

حول الاوضاع في الاقاليم :

ومن اجل ان يبرر المؤلف اشتراك بعض سكان الاقاليم التي وقعت فيها الحركة البابكية(٨٥) في هذه الحركة يبالغ في تصوير تردى الاوضاع في هذه الاقاليم بل وفي الاقاليم الاخرى البعيدة عن موقع الحركة ، فالايرانيون « كانوا يقاسون من ثقل الضرائب والجور الاقطاعي والتعسف الحكومي » والديالمة كانوا « يقاسون شظف العيش نتيجة الارهاق الاقطاعي واستغلاله وجور السلطة » اما الشعب الارمني فكان « يئن من ارهاق وتعسف الاقطاع والسلطة » واهل مصر عانوا من « تفاقم الجور الاقطاعي والتبسلط الحكومي » ٠ وللقارىء ان يلاحظ التشابه في الصفات والنعوت التي يستخدمها المؤلف وهي لا تظهر في كتابه بهذا الشكل الطريف لانها تستخدم في صفحات متباعدة اما وقد جمعت هنا فهي لا تعدو ان تكون تكراراً مملا والفاظا دون دلالات !!

وشيء اخر اكثر مللا الا انه طريف في نفس الوقت لكونه جديد وهو

(٨٤) المصدر السابق ، ص ١٧٩ ٠

(٨٥) راجع على التوالي في المصدر السابق ص ١٦٦ ، ١٦٩ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٨٠ ٠

حول الحركة الشعوبية :

ينطلق المؤلف من الفرضية القائلة بان الحركة الشعوبية لم تكن واحدة في كل عصور التاريخ الاسلامي ، ويفرق بين مرحلتين : الاولى العصر الامـوي وصدر الدولة العباسية وهي هنا ذات طابع « تقدمي » تمثل نضال الشعـوب ضد التسلط وضد « التعصب الشوفيني » الذى مارسته الارستقراطية القبلية العربية • اما المرحلة الثانية فبعد العصر العباسى الاول حين تحولت الشعوبية فجأة فاصبحت « رجعية » تعكس ذهنية « الارستقراطية الايرانية » الملتصقة بالبلاط العباسى والتى استخدمت امكانياتها المادية لشراء اقلام المثقفين والكتاب واغرتهم ليكتبوا في مثالب العرب ويشككوا في دورهم الحضارى في التاريخ[٨٠] •

ومعنى ذلك ان الشعوبي في العصر الاموي وصدر العصر العباسى ليس كالشعوبي في بقية فترات العصر العباسى !! والشعوبي من العوام ليس مثل الشعوبي الارستقراطي فالاول شخص غير متعصب ضد العرب وانما يطالب بالمساواة !! اما الثاني فهو شوفيني متعصب !!

على ان المؤلف سرعان ما يقع في التناقض قبل ان يفسح لنا المجال للرد عليه • فقد كرر مرارا مقولة ان العباسيين قربوا الارستقراطية الايرانية فكيف **يفسر لنا الان تآمر هذه الارستقراطية ضدهم وقد قربوها وتعاونوا معها** ؟ هل ان هذا من باب « اتق شر من احسنت اليه » أو كما يقول المؤلف حين يدرك وقوعه في التناقض بان السبب نفسي محض ، فالارستقراطية الايرانية كانت تعاني من « حساسية تجاه الاصل (العنصر) نتيجة نظرة الازدراء والتحقير التي كانت تمارسها الارستقراطية العربية على كل ما هو غير عربي »[٨١] وهكذا يتناسى المؤلف تفسيره الطبقي ليعمد الى تفسير نفساني ثم لا يلبث ان يعرج الى تفسير عنصري (عرب ضد فرس) لا يختلف عن التفاسير العنصرية لفان فلوتن وولهاوزن •

اننا لا نتفق مع المؤلف على اعتبار الشعوبية « نضالا ضد التسلّط »[٨٢] لانها تحمل في بذورها عناصر عنصرية وشوفينية معادية للعرب سواء اعتنقها العوام ام الكتاب ام الارستقراطية • وهي في حقيقتها تمثل جهود فئة معينة من الاعاجم لفرض سيطرة التقاليد غير العربية (خاصة الفارسية) وبعث البنـاء الاجتماعي الفارسي القديم بكل ما يحويه من مراتب طبقية متمايزة واحلال روح الثقافة الفارسية محل روح الحضارة العربية الاسلامية • ولعل النتائج التى ترتبت على النشاط الشعوبي اكبر دليل على اهدافه ومراميه فقد انبعثت المانويه من جديد في العراق وانتشرت روح الاستخفاف بالدين ووجهت انتقادات لاذعة للتقاليد والامجاد وحتى الانساب العربية • فماذا نسمي كل ذلـك واكثـر منه ؟!!

---

(٨٠) العزيز ، البابكية ، ص ٩٣ ـ ص ٩٤ •
(٨١) المصدر السابق ، ص ٩٤ ص ١٧٨ •
(٨٢) المصدر السابق ، ص ٢٧٣ •
(٨٣) العزيز ، البابكية ، ص ١٧٨ ـ ١٨٠ •

سمى دهقانا[٩٦] تشير الى طموحات دنيوية واسعة لديه تثير اكثر من تساؤل حول الصورة التي ظهر بها بابك (**صورة القائد المثالي والبطل المحرر**) في كتاب البابكية موضوع المراجعة هذه !!

حول نتائج البابكية :

يرى المؤلف ان البابكية كانت منعطفا مهما وحدثا ادى الى « زعزعة الخلافة وتخريبها » وانها افقدت الخليفة منزلته وسلطت عليه القادة الاتراك وشجعت امراء الاطراف على « الاستقلال »[٩٧] .

والواقع ان لتدهور الخلافة العباسية اسبابا ابعد من الحركة البابكية واعمق منها . وان التدهور السياسي والاداري بدأ قبل حركة بابك وفي خلافة الرشيد بالذات . وليس هنا مجال البحث في ذلك ولكننا نقول بان الخليفة العباسى لم يفقد منزلته ونفوذه في هذه الفترة وان المأمون والمعتصم كانا من الخلفاء الاقوياء ولا نعلم عن تسلط قادة اتراك عليهما .

اما نزعة الانفصال التي يسميها المؤلف « الاستقلال » !! فهذه بادرة بدأت كذلك قبل عهد **البابكية كما هو معروف تاريخيا ، ولكل ظاهرة انفصال** في الولايات الشرقية والغربية أسباب وظروف خاصة بها وبالوضع العام للسلطة المركزية ولا يمكننا ان نقبل هذا التفسير الاحادي النظرة والذى يقول بان انفصال الولايات جاء نتيجة للبابكية !!

استدراكات اخرى :

– وجهة نظر عربية ! يشير المؤلف في مقدمته بانه في كتابه البابكية ينطلق من وجهة نظر عربية . **ولكن استعراض الكتاب لا يؤيد ذلك .**

فوجهة النظر العربية لا تسمى الفتوحات الاسلامية عملية « **احتلال** »[٩٨] فلم تكن فتوحات العراق والشام ومصر الا عملية تحرير لاراضى تسكنها قبائل عربية اغتصبها الساسانيون والروم وعمليات تحرير لقبائل وقعت تحت نفوذ ساساني وبيزنطي . ان من الباحثين ومنهم مؤلف الكتاب يربط صلة العرب بالعراق والشام بالثلاثة عشر قرنا الماضية أي منذ الفتوحات العربية فحسب والواقع ان صلة العرب بهذه الاقطار اقدم من ذلك بكثير فهناك شعوب نزحت الى العراق والشام من الجزيرة منذ فجر التاريخ وهناك امارات عربية تكونت في اطراف العراق والشام وهناك قبائل استوطنت انحاء مختلفة منهما قبل عهد الفتوحات . وقد وجد العرب المسلمون عند تحريرهم العراق ان سكانه المقيمين فيه **يمتون اليهم بصلة الدم وانهم عربيو الاصل والجذور .**

ووجهة النظر العربية لا تنظر الى الفتوحات العربية على انها كانت اولا

(٩٦) انظر الطبري القسم الثالث ، ص ١٢٢١ ، ص ١٢٣١ .

(٩٧) العزيز ، البابكية ، ص ٣ ، ٢٦١ ، ٢٦٤ .

(٩٨) المصدر السابق ، ص ٥١ .

مؤلفات أبي حاتم السجستاني

الدكتور خليل ابراهيم العطية
عضو اتحاد المؤلفين والكتاب العراقيين

اختلفت المظان القديمة ـ وهي تورد مؤلفات أبي حاتم السجستاني[1] في عددها ، فهي لدى ابن النديم (٣٨٥هـ) في فهرسته اثنان وثلاثون كتابا ، وعند ياقوت الحموي (٦٢٦ هـ) في معجم الادباء احد عشر كتابا ، ولدى القفطي (انباه الرواة) ثلاثة وثلاثون أما ابن خلكان (٦٨١ هـ) فقد أكتفى بذكر تسعة وعشرين مصنفا ٠

واذا جاوزنا المتقدمين الى المحدثين طالعنا أوغست هفنر في مقدمة الاضداد لابي حاتم المنشور ضمن « ثلاثة كتب في الاضداد » ببيروت ١٩١٢م بفهرس ذكر فيه لابي حاتم ثمانية وثلاثين مؤلفا ، وتتبين أهمية عمل هفنر حين نعلم ان كارل بروكلمان[2] اكتفى بذكر اثني عشر كتابا منها ٠

أما محاولتنا هذه فانها جهدت ان تحصي مؤلفات السجستاني بعد مراجعة العديد من المصادر المطبوعة والمخطوطة ، وأشارت الى المظان التي صرحت بالنقل من اثار ابي حاتم ، وقد تم ايراد هذه المصنفات وفق الترتيب الهجائي :

١ ـ الابل : ورد ذكره في الفهرست : ٩٣ ووفيات الاعيان ٢/١٥٢ وكشف الظنون ١٣٨٣ ومنه اقتباس في الاقتضاب ١٤٦ وهمع الهوامع ١/٢٦ ٠

٢ ـ الاتباع : ذكره الفهرست ٩٣ وانباه الرواة ٢/٦٢ وايضاح المكنون ٢/٢٦٢ ٠

٣ ـ اختلاف المصاحف : ذكره الفهرست ٩٣ وانباه الرواة ٢/٦٢ ووفيات الاعيان ٢/١٥٢ وطبقات ابن شهبة ٣٠١ وطبقات المفسرين ٩٠ وتلخيص ابن مكتوم ٨٠ وكشف الظنون ١/٣٣ وروضات الجنات ٤٢٤ ٠

٤ ـ الادغام : جاء ذكره في الفهرست ٩٣ وانباه الرواة ٢/٦٢ ووفيات الاعيان ٢/١٥٢ ٠

٥ ـ الازمنة : تفرد بذكره المخصص ١/١١ ٠

٦ ـ اصلاح المزال والمفسد :
ورد ذكره في انباه الرواة ٢/٦٣ وتهذيب اللغة ١/٢٢ وقال عنه الازهري

---

(١) هو ابو حاتم سهل بن محمد بن عثمان السجستاني العالم البصري اللغوي الراوية المقرئ، تلمذ للاصمعي وابي زيد الانصاري وابي عبيدة توفى سنة ٢٥٥هـ ٠
انظر الفهرست (ط٠ مصر) ٩٢ وما بعدها ومعجم الادباء (ط٠ الرفاعي) ١١/١٦٣ وانباه الرواة ٢/٥٨ ٠

(٢) تاريخ الادب العربي (ترجمة د٠ عبدالحليم النجار) ٢/١٦٠ وما بعدها ٠

والتراثية من خلال منظار مستقبلي لا يطغى فيه الجانب المذهبي على الجانب المنهجي وتتحكم فيه روح البحث العلمي الصحيح ··· وهذا امر لم نجده في كتاب البابكية ·

ثم ان النظرة العربية تغني القيم القومية ··· وتوليها اهتماما بارزا وتكتبها « بما ينسجم مع (روح التاريخ العربي الاسلامي) لا ان تحرفها وتكتبها حسب الهوى الشخصي ··· وان تبرز تلك القيم التي تنسجم مع طور البناء الذي نريده للمجتمع الجديد »[١٠٦] · فهل يجد القارىء العربي ما يقوى اعتزازه بقيمه الايجابية في كتاب البابكية ؟؟ لقد كان كتاب البابكية قاسيا على تاريخنا العربي ولكنني لا اتفق مع الرأي القائل بان امثال هذه الكتب يجب « ان تختم بالشمع »[١٠٧] ، بل على العكس فان هذه الكتب يجب ان تكون موضع اهتمام من قبل مؤرخينا ومفكرينا للتصدى لها والرد عليها ، ان شعوبية العصور الاسلامية الوسيطة فشلت في تحقيق غاياتها في التشكيك بدور العرب وانجازاتهم واستبدالها بقيم غريبة عن المجتمع العربي حين تصدى لها مفكرونا الرواد ، ولا شك فان شعوبية القرن العشرين ستخسر الجولة اذا تصدى لها مفكرونا المحدثون ·

واخيرا فان الامانة العلمية والاكاديمية تقضى بان يعاد النظر في الصياغات والاراء والاستنتاجات التي اوردها كتاب البابكية ، حسب مستلزمات المنهج التاريخي الشمولي في التحليل لتقديمها الى القارىء العربي ·

---

(١٠٦) راجع محضر اجتماع لجان دراسة شؤون التعليم ، بغداد ، ١٩٧٣ ·
(١٠٧) راجع جريدة الثورة ، العدد ، ١٩٧٤ ·



خطط المعتصم ومظاهر اهتمامه وجديته وحسن تدبيره للحرب وحسن اختياره للقادة والولاة ٠

الخاتمة :

عزم مؤلف كتاب البابكية منذ البدء على ان يطبق المذهب المادي في التفسير التاريخي على حركة بابك الخرمي ، ولما لم يجد استجابة لفكرته المسبقة هذه في مصادرنا التاريخية العربية وغير العربية تهجم على مؤرخينا الرواد متهما اياهم بما يحلو له من تهم ٠٠ ثم تهجم على العصر الذى عاشوا فيه ووصف مدارك ذلك العصر بالسذاجة لانها لم تستوعب برامج البابكية الاجتماعية والاقتصادية ولم تفهمها !! وعرج المؤلف على المؤرخين المحدثين الذين استندوا على روايات المؤرخين الرواد فصب عليهم غضبه ولعناته ٠

ثم قرر ان يستعمل خياله في الاستنتاج والتفسير فحمل الروايات اكثر من طاقتها ، ووضع في افواه الرواة تعابير لم يحلموا ان تنسب اليهم في يوم من الايام ٠٠٠ كل ذلك من اجل ان يطبق تفسيره ٠٠٠ ومع ذلك ، وبعد كل ذلك ، فشل المؤلف في محاولته هذه ووقع في تناقضات اخفق في ايضاحها او تبريرها ٠

يعلن الكتاب منذ البدء عن التزامه باستخدام **المنهج العلمي والنظرة العربية** باعتباره نموذجا من نماذج الدراسات الجامعية لانه اطروحة لنيل درجة الكانديدات ٠٠٠ الا ان ما يخرج به القارىء هو : رغم ان الدراسة هي نتاج جهد صبور وقراءة مستفيضة وربما استغرقت كتابتها سنين كما هو الحال في الاطروحات الجامعية ٠ فانها (أي الدراسة) تتميز بغياب المنهج الذي ينظم التحليل ويشد الوقائع والمواد التي اعتمدها المؤلف في وحدة تحليلية متماسكة تمكن من تكوين النظرة الشمولية في ربط وتفسير ما توصل اليه من حقائق ومؤشرات ٠

ان الموقف الذى نرتضيه فيما يخص المنهج العلمي هو ان يقود المؤلف قارءه الى التفسير الذي يريده ٠ اما مؤلفنا فقد بدأ من حيث كان يجب ان ينتهي ٠٠!! بدأ من الفرضية وليس من المادة ، بينما المنهج العلمي يقول بان التفسير يأتي تاليا لثبوت الواقعة التاريخية باسانيد مقبولة ٠

لقد كان من الممكن ان تكون هذه الدراسة مساهمة حقيقية في ايضاح طبيعة الحركة البابكية لولا الفكرة المسبقة التي تسيطر على ذهنية المؤلف ، ولولا الاندفاعات والتشنجات الذاتية التي يحس بها القارىء في كل فصل من فصول الكتاب ٠ كل ذلك جعل الكتاب نموذجا من نماذج « الانتهازية الفكرية » التي يمكن ان تكون قادرة ــ الى حين ــ على اقناع الكثير من القراء بان الحركة البابكية حركة ذات برامج اجتماعية واقتصادية متبلورة وعادلة اراد لها بابك ان تكون بديلا لسلطة العباسيين وعقيدتهم ٠ وان البابكيين حققوا مكاسب سياسية واجتماعية واقتصادية لا يستهان بها ولكنهم اخفقوا على الصعيد العسكري !! ولكن هيهات ان يصمد طويلا فهو لا يلبث ان يفتضح امره وتستبان هويته امام النقد المنهجي ٠ اما الموقف الذى نرتضيه فيما يتعلق بالنظرة العربية ٠٠ فنقول بان النظرة العربية نظرة متفتحة غير متزمتة تعالج الجوانب المختلفة للظاهرة التاريخية

وقبل كل شيء « للحصول على خيرات البلدان المفتوحة »(٩٩) فمع ادراكنا لاهمية العامل الاقتصادي نرى ان هناك عوامل عديدة حركت هذه الفتوحات ٠

والسؤال الذى يطرح نفسه هنا ؟ لماذا يعتقد المؤلف ان غالبية الذين التفوا حول بابك كانوا من المؤمنين بارائه ولم تبهرهم المنافع المادية التي يمكن ان يجنوها من حروب بابك ، ولا يعتقد ذلك بالنسبة للفتوحات العربية بل على العكس فهو يدعي بان غالبية الذين اشتركوا فيها جاءوا للحصول على خيرات البلدان المفتوحة ؟ لماذا لا نقول بان هناك من العرب ممن اشترك في الفتوحات من يركض وراء المطامع المادية ولكن حتما ليس كل العرب ؟

ووجهة النظر العربية لا تصف النشاطات التي قام بها بابك بانها نضالات وعمليات تحرير قام بها « بطل باسل قاد نضالا مستميتا من اجل الحرية » ولا ترى في الاراضى التى استولى عليها « اراضى محررة »(١٠٠) ٠

ووجهة النظر العربية لا تصف سياسة العرب بانها « اساليب الاستغلال بوحشية ٠٠٠ »(١٠١) وان حكمهم كان يتسم « بالتسلط » و « التعصب الشوفيني ٠ بل انه كان حكما تعسفيا جائرا مبنيا على احتكار الشعوب ونهب خيراتها ٠ ويرى في الامويين « انهم تسلطوا على الشعوب واذاقوها مر العذاب ونهبوا خيرات البلدان واغرقوا القارات بسيول من الدماء »(١٠٢) ويتهم كل الخلفاء تقريبا « بتطبيق سياسة البطش والغدر والنهب ٠٠ » ٠

والمؤلف بذلك يخالف مؤرخين من امثال بندلي جوزى فيما كتبوه ولذلك فان رأيه في جوزي رأي قاس حين يقول : « ان كتابات جوزي لا تخلو مع الاسف من امثال هذه الاخطاء والتناقضات !! »(١٠٣) ٠

– يشكك المؤلف بالارقام حين تذكر عدد القتلى الذين قتلهم بابك(١٠٤) ٠

ولا يشككك بالارقام حين تذكر عدد اتباع بابك !!

– يرى المؤلف ان بابك استطاع ان يقاوم عشرين سنة لدقة تنظيمه وحسن سياسته ولكنه يعود فيعزو طول المدة الى المراوغة والمماطلة لا للدقة والتنظيم ، بل انه ينتقص من الضبط والتنظيم في الانتفاضة ليبرر فشلها(١٠٥) ٠

– ان تحليل المؤلف لاخفاق البابكية عسكريا ناقص والواقع فان التركيز يجب ان يكون على استخدام العنصر التركي وهو العنصر المحارب في جيش المعتصم وعلى قابليات المعتصم العسكرية فقد كان المعتصم منذ بدايات نشوئه رجل حرب وهذه الصفات مكنته من القضاء على البابكية ٠ ان المؤلف لم يستوعب

(٩٩) العزيز ، البابكية ، ص ٥٢ ٠
(١٠٠) المصدر السابق ، ص ٢٤٧ ، ٢٤٩ ٠
(١٠١) المصدر السابق ، ص ٥١ ٠
(١٠٢) المصدر السابق ص ٨٦ ٠
(١٠٣) ibid
(١٠٤) المصدر السابق ص ١٧٧ ٠
(١٠٥) المصدر السابق ص ١٩٤ ، ص ٢٦١ ٠

« ولابي حاتم كتاب كبير في اصلاح المزال والمفسد وقد قرأته فرأيته مشتملا على الفوائد ، وما رأيت كتابا في هذا الباب منه أنبل ولا أكمل »

وسماه الصغاني في مقدمة العباب « المفسد من كلام العرب والمزال عن جهته » وفي خزانة الادب للبغدادى ٤/١١٨ « اصلاح المفسد » وفي كشف الظنون ٢/١٤٥٨ « كتاب المزال والمفسد » ٠

ويعتقد استاذنا الدكتور رمضان عبدالتواب ان هذا الكتاب أحد أبواب كتاب اخر لابي حاتم هو « ما تلحن فيه العامة »(٣) ٠

٧ ـ الاضداد : ذكره الفهرست ٩٣ وانباه الرواة ٢/٦٢ ووفيات الاعيان ٢/١٥١ وطبقات المفسرين ٩٠ وكشف الظنون ١/١١٥ وروضات الجنات ٤٢٤ والبلغة في أصول اللغة ١٠٨ ٠

وقد نشره الدكتور أوغست هفنر ببيروت ١٩١٢ بالمطبعة الكاثوليكية في مجموعة « ثلاثة كتب في الاضداد : للاصمعي والسجستاني وابن السكيت » وألحق بها اضداد الصغاني ، وقد اعتمد هفنر على نسخة مؤرخة ٦٣٩ هـ ٠

٨ ـ اعراب القرآن : ذكر في طبقات المفسرين ٩٣ وطبقات ابن شهبة ٣٠٠ ٠

٩ ـ تفسير أبنية الكتاب : أورد البغدادى منه نصا بهذا الاسم في الخزانة ١/١٧٩ ومنه نسخة في المدينة المنورة تحت عنوان : شرح غريب الابنية ٠

١٠ـ الجراد : ذكر في الفهرست ٩٣ وايضاح المكنون ٢/٣٥٠ ٠

١١ـ جماهير العرب : تفرد بذكره ابو عبيد البكرى في فصل المقال ٣٣ ٠

١٢ـ الحر والبرد والشمس والقمر والليل والنهار :

بهذا الاسم ورد في الفهرست ٩٣ وانباه الرواة ٢/٢٨٩ وفي ايضاح المكنون ٢/٢٨٩ « كتاب الحر والبرد والشمس » ٠

والظاهر انها اسماء لكتب ثلاثة فقد عثرت على نص منقول في المزهر(٤) من كتاب لابي حاتم عنوانه « الليل والنهار » وأورد صاحب اللسان(٥) نصا من كتاب لابي حاتم اسمه : « كتاب الشمس والقمر » ٠

١٣ـ الحشرات :

جاء ذكره في الفهرست ٩٣ وفهرست ابن الاشبيلي ٣٦١ وانباه الرواة ٢/٦٢ والمخصص ١/١١ ووفيات الاعيان ٢/١٥٢ وابن شهبة ٣٠١ وايضاح المكنون ٢/٢٩٠ ٠

١٤ـ الخصب والقحط :

ذكر في الفهرست ٩٣ وانباه الرواة ٢/٦٢ ووفيات الاعيان ٢/١٥٢ وابن شهبة ٣٠١ وايضاح المكنون ٢/٢٩٢ ٠

١٥ـ خلق الانسان :

مذكور في الفهرست ٩٣ وانباه الرواة ٢/٦٢ ووفيات الاعيان ٢/١٥٢

(٣) لحن العامة والتطور اللغوي ١٤٠ ٠

(٤) المزهر ٢/٢٤٨ ، ٣٣٠ ٠

(٥) اللسان (يوح ٢/٦٤٠)٠

رسالة الاسلام كما نشرته الدكتورة ابتسام مرهون الصفار في مجلة البلاغ البغدادية ٠
وأعلمني الدكتور رمضان عبدالتواب ان « من المذكر والمؤنث » نسخة كاملة بمكتبة (قونية) في تركية ٠

٣٧ـ المعمرون والوصايا :
لم يشر اليه القدماء بلفظه غير الصغاني في مقدمة العباب[١٣] وذكره من المتأخرين عبدالقادر البغدادي (١٠٩٣ هـ) في خزانة الادب ونقل منه جملة من الاقتباسات[١٤] وكان سبقه الى النقل منه الشريف المرتضى في اماليه[١٥] ٠
والكتاب برواية أحد تلامذة ابي حاتم يدعى : أبا روق أحمد بن محمد بن بكر الهزاني (٣٣٢ هـ)[١٦] وقد غلّط استاذه في مواضع منه ، ومن هنا انتاب الكتاب الشك فنسب الى أبي روق نفسه[١٧] ٠
وقد نشر الكتاب المستشرق الالماني جولد زهير في ليدن ١٨٩٦ وترجمه الى الالمانية ، كما نشر في القاهرة ١٩٦١ بتحقيق عبدالمنعم عامر ٠

٣٨ـ المقاطع والمبادي :
ذكر في الفهرست ٩٣ وانباه الرواة ٦٢/٢ ووفيات الاعيان ١٥١/٢ وابن شهبة ٣٠١ وروضات الجنات ٤٢٤ وفي كشف الظنون ١٧٨١/٢ : « المقاطيع »

٣٩ـ المقصور والممدود :
الفهرست ٩٣ وانباه الرواة ٦٢/٢ ومعجم الادباء ٢٦٥/١١ ووفيات الاعيان ١٥١/٢ وابن شهبة ٣٠١ وطبقات المفسرين ٩٠ ٠

٤٠ـ النحل والعسل :
الفهرست ٩٣ وانباه الرواة ٦٢/٢ وابن شهبة ٣٠٠ ٠

٤١ـ النخلة :
ورد ذكره في الفهرست ٩٣ وانباه الرواة ٦٢/٢ ومعجم الادباء ٢٦٥/١١ ووفيات الاعيان ١٥١/٢ وطبقات المفسرين ٩٠ والعباب ٤ وروضات الجنات ٤٢٤ وايضاح المكنون ٣٤٢/٢ وسمي في طبقات ابن شهبة ٣٠١ باسم (كتاب النخل) ٠
ومنه نقول في شرح ديوان المفضليات ١٢٦ والمصباح المنير ٦/١ ، ٣٩٥ ، ٤٠٣ ، ٧٨٩/٢ ٠
والكتاب مطبوع باعتناء لاغومينا بايطالية ١٨٧٣م مع مقدمة وملاحظات

---

(١٣) العباب ٤ ٠

(١٤) انظر على سبيل المثال في الجزء الاول ١١ ، ٢٥ ، ٢٦٨ والجزء الثاني ١٥٥ ، ١٦٩ والثالث ٣٠٧ ، ٣٠٨ والرابع ٣٦٣ ، ٤٤٦ ٠

(١٥) أمالي المرتضى ٢٣٦/١ ، ٢٣٨ ، ٢٦٣ ٠

(١٦) لسان الميزان (ترجمة ٨٠٢) ٠

(١٧) مقدمة المعمرون والوصايا (ط٠ مصر) ٠

والمعنون بـ « وكتاب النخل والكرم ايضا ليس للاصمعي » ٠

٣٣ـ اللبأ واللبن والحليب :

كذلك ورد في الفهرست ٩٣ وانباه الرواة ٢/٦٢ ووفيات الاعيان ٢/١٥٢ وباسم « اللبأ واللبن الحليب » في طبقات ابن شهبة ٣٠١ وطبقات المفسرين ٩٠ وباسم (اللبن الحليب) في كشف الظنون ٢/١٤٥٤ ٠

٣٤ـ الليل والنهار :

ذكره السيوطي في المزهر ٢/٢٤٨ ، ٣٣٠ ونقل منه نصين ٠ وانظر (١٢) ٠

٣٥ـ ما تلحن فيه العامة :

ورد ذكره في الفهرست ٩٣ وانباه الرواة ٢/٦٢ ووفيات الاعيان ٢/١٥٢ ومعجم الادباء ١١/٢٦٥ وابن مكتوم ٨٠ وطبقات الزبيدي ٢٠١ والمصباح المنير ١/٥١١ ، ٢/٦٦٦ وشرح ادب الكاتب ٢٩١ وروضات الجنات ٤٢٤ وكشف الظنون ٢/١٥٧٧ ٠ وكان في مصادر الزبيدي في لحن العوام[٨] وابن الجوزي في تقويم اللسان[٩] ٠

ويستفاد مما أورد ابن خير الاشبيلي في فهرسته[١٠] انه كان غير مبوب ثم بوبه ابو علي القالى (٣٥٦ هـ) قال : « كتاب لحن العامة » ، لابي حاتم السجستاني تبويب أبي علي البغدادي ٠٠٠ قرأته غير مبوب على أبي بكر بن دريد عن أبي حاتم السجستاني مؤلفه رحمه الله »

ومنه تقول مختلفات استقصى جانبا منها الدكتور رمضان عبدالتواب[١١] والدكتور عبدالعزيز مطر[١٢] ٠

٣٦ـ المذكر والمؤنث :

ذكر في الفهرست ٩٣ وابن خير ٣٤٧ والجمهرة ٣/٤٠٩ والخصائص ٣/٣٠٨ و نور القبس ٩٨ وانباه الرواة ٢/٦٢ ووفيات الاعيان ٢/١٥١ وطبقات المفسرين ٩٠ والمصباح المنير ١/١٠٦ وروضات الجنات ٤٢٤ وكشف الظنون ٢/١٤٥٧

ومن هذا الكتاب مختصر في دار الكتب المصرية تحت رقم ٢٦٤ لغة تيمور ، وعنه مصورة في معهد المخطوطات العربية المصورة ، وعنى بنشر هذا المختصر الدكتور ابراهيم السامرائي ببغداد ١٩٧٠ في مجلة

---

(٧) مجلة المكتبة ٥٧ (١٩٦٧) ص ١٤ ـ ١٦ وانظر أيضا كتابه : « فصول في فقه اللغة » القاهرة ١٩٧٣ ص ٢١٤ وما بعدها ٠

(٨) لحن العوام (تحقيق د٠ رمضان عبدالتواب) ص ٥ ٠

(٩) تقديم اللسان (تحقيق د٠ عبدالعزيز مطر) ص ٧ ٠

(١٠) فهرست ابن الاشبيلي ٣٤٨ ٠

(١١) لحن العامة والتطور اللغوي ١٤١ ـ ١٥٢ ٠

٢٥ـ العشب والبقل :
ذكره الفهرست ٩٣ وانباه الرواة ٦٢/٢ ووفيات الاعيان ١٥٢/٢ وفي ابن شهبة ٣٠١ وروضات الجنات ٤٢٤ وكشف الظنون ١٤٩٢ : « البقل »

٢٦ـ العَظَمة : تفرد بذكره النويري في نهاية الارب ٣٢/١ ونقل منه نصين ٣٢/١ ، ٢١٨ .

٢٧ـ الفرق بين الادميين وبين كل ذي روح :
ورد بهذا الاسم في الفهرست ٩٣ وانباه الرواة ٦٢/٢ وابن مكتوم ٨٠ . وباسم « الفرق » في الجمهرة ١٨٠/٢ والاشبيلي ٣٦١ ووفيات الاعيان ١٥١/٢ وروضات الجنات ٤٢٤ وكشف الظنون ١٤٤٦/٢ . وقد عدهما ابن النديم كتابين مستقلين وجاراه في ذلك هفنر .

٢٨ـ الفصاحة :
انباه الرواة ٦٢/٢ ووفيات الاعيان ١٥١/٢ ومعجم الادباء ٢٦٥/١١ وطبقات المفسرين ٩٠ وروضات الجنات ٤٢٤ .

٢٩ـ فعلت وافعلت :
ذكره ابن خير في فهرسة ما رواه عن شيوخه ٣٦١ والبغدادى في الخزانة ١٤٧/١ وهو معد للطبع بتحقيقنا (٦)

٣٠ـ القراءات :
جاء ذكره في الفهرست ٥٩ ، ٩٣ ونور القبس ٢٢٦ والمحتسب لابن جني ٣٥/١ ووفيات الاعيان ١٥١/٢ ومعجم الادباء ٢٦٥/١١ واشارة التعيين ٢١ وابن مكتوم ٨٠ وابن شهبة ٣٠١ وطبقات المفسرين ٩٠ وطبقات القراء ٣٢٠/١ وروضات الجنات ٤٢٤ وكشف الظنون ١٤٤٩/٢ .
وقد حاز هذا الكتاب ثناء القدماء واعجابهم فدعاه الازهري في تهذيب اللغة ٢٢/١ « بالجامع » وأطراه ابن جني في المحتسب ٣٥/١ فقال عنه : « كان مقصورا على ذكر القراءات عاريا من الاسهاب في التعليل والاستشهادات التى انحط قطرب منها وتناهى الى متباعد غاياتها » وعنه قال القفطى في الانباه ٦٢/٢ « مما يفخر به أهل البصرة بانه أجل كتاب صنف في هذا النوع في زمانه » ونقل منه نصا في ٣٨/٢ من الانباه .

٣١ـ القسي والنبال والسهام :
ذكر في مراتب النحويين ٩١ والفهرست ٩٣ وانباه الرواة ٦٢/٢ ووفيات الاعيان ١٥١/٢ وابن شهبة ٣٠١ وطبقات المفسرين ٩٠ وروضات الجنات ٤٢٤ وايضاح المكنون ٣٣٢/٢ .

٣٢ـ الكرم :
ذكر في الفهرست ٩٣ وانباه الرواة ٦٢/٢ ووفيات الاعيان ١٥٢/٢ وابن شهبة ٣٠١ وكشف الظنون ١٤٥٢/٢ .
وقد نشره الدكتور أوغست هفنر في طي « البلغة في شذور اللغة » ببيروت ١٩٠٨ ونسبه على جهة التغليب الى الاصمعي ، وقد استوفى الدكتور رمضان عبدالتواب نسبة هذا الكتاب في بحثه المنشور في مجلة المكتبة(٧)

ومعجم الادباء ٢٦٥/١١ وطبقات المفسرين ٩٠ والبلغة في اصول اللغة ١٢٠ ٠

١٦ـ الدرع والترس :

بهذا الاسم في انباه الرواة ١٥٢/٢ وورد في وفيات الاعيان ١٥٢/٢ وطبقات المفسرين ٩٠ وروضات الجنات ٤٢٤ باسم « الدرع والفرس » وهو لدى ابن شهبة ٣٠١ : « الدرع »٠

١٧ـ الزرع :

الفهرست ٩٣ وانباه الرواة ٦٢/٢ ووفيات الاعيان ١٥٢/٢ وروضات الجنات ٤٢٤ ٠

١٨ـ الزينة :

ذكره العينى في المقاصد النحوية ٥٩٨/٤ لابي حاتم من غير تقييد ، وعده الصغاني (٦٥٠ هـ) في مقدمة العباب من مؤلفات ابي حاتم السجستاني ولابي حاتم الرازي (٣٢٢ هـ) كتاب الزينة في الكلمات الاسلامية العربية ، طبع منه جزءان بالقاهرة ١٩٥٧م ، فلعله عزي اليه خطأ ٠

١٩ـ السيوف والرماح :

انباه الرواة ٦٢/٢ ووفيات الاعيان ١٥٢/٢ وابن شهبة ٣٠١ وطبقات المفسرين ٩٠ وروضات الجنات ٤٢٤ وسماه حاجي خليفة « السيف » ٠

٢٠ـ الشتاء والصيف :

الفهرست ٩٣ وانباه الرواة ٦٢/٢ ووفيات الاعيان ١٥٢/٢ وابن شهبة ٣٠١ وروضات الجنات ٤٢٤ وكشف الظنون ١٤٢٩ ٠

٢١ ـ الشجر والنبات :

كذا في الفهرست ٩٣ وفي الجمهرة ٣٦٥/٢ وانباه الرواة ٦٢/٢ ووفيات الاعيان ١٥١/٢ وروضات الجنات ٤٢٤ « النبات » ومنه اقتباس في الجمهرة ٣٦٥/٢ ٠

٢٢ـ الشوق الى الوطن :

بهذا الاسم في الفهرست ٩٣ وايضاح المكنون ٣٠٧/٢ وفي انباه الرواة ٦٢/٢ : الشوق الى الاوطان ٠

٢٣ـ الشمس والقمر :

انظر (١٢)

٢٤ـ الطير :

فهرست ابن الاشبيلي ٣٦١ وانباه الرواة ٦٢/٢ ومعجم الادباء ٢٦٥/١١ والمخصص ١١/١ وطبقات المفسرين ٩٠ وابن شهبة ٣٠١ وكشف الظنون ٣٢٧/٢ وروضات الجنات ٤٢٤ وسماه البغدادى في الخزانة ٣٢٧/٢ : « الطير الكبير » ويبدو ان الصفة الحقت به بعدئذ ٠

ومنه نقول في الاقتضاب : ١١٠ ، ١٣١ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٥٥ ، ٣٥٢ وخزانة الادب : ٨٣/٣ ، ٣٠٦ ، ٣٠٠/٤ ٠

(٦) انظر بحثنا في تحقيق نسبة هذا الكتاب مجلة المورد مج ١ (١٩٧١) ص ٥١ – ٥٤ ٠

تذكر بأمور انت تعلم ان الناس قد نسيتها » . وكلام النبي هذا ـ كما يقول الكلبي ـ كان أشد وقعا على الاقرع من أبيات حسان .

ليس من الغريب ان هذا البيت الرابع عشر لحسان كان قد حذف من المصادر المتأخرة . وان واجب تميم قد نسى ايضا ، وما كان يذكر الا من قبل شعراء تميم فقط في صدر الاسلام . ان الاسواق القديمة كان قد انهى وجودها ، وان البيت لا يمكن ان ينتفع به في مجال المفاخرة او الهجاء . ويقدم الشرح الحديث للبرقوقي التفسير الاتى ، يقول حسان : « خير لكم ان تسلموا اذ لو انتم اسلمتم لكان لكم الشرف الاعلى لانكم ستكونون معنا في جميع المحافل وهذا خير ما تسعون اليه »(٥) . ان من الصعوبة ان يقبل هذا الشرح ، فان « وأفضل ما نلتم » لا يشير الى المستقبل ، بل الى الماضى ، لقد كان البيت هجاء في زمن حسان سنة ٩ هـ : ما أنتم الا أرداف لنا (لقريش) في الاسواق .

البيتان ١١ـ١٢ من القصيدة (البيت الثالث من القسم الثاني) يصف موقفا حقيقيا : « اذا جئتم لتحفظوا انفسكم فلا تقتلوا ، وأموالكم فلا تغنم وتقسم على المجاهدين ، فلا تجعلوا لله شريكا وأسلموا ولا تلبسوا زيا كزى الاعاجم .. »(٦) .

وبيان الحال في هذه الابيات ذكر بوضوح في أبيات للفرزدق . ان قول حسان بان الاسرى التميميين يمكن ان يباعوا في الاسواق ـ لا يمكن ان يعتبر خاليا من التهديد .

يفاخر الفرزدق بدارم قائلا :

وعند رسول الله اذ شد قبضه ... وملء من أسرى تميم أداعمه
فرجنا عن الاسرى الاداهم بعدما ... تخمط واشتدت عليهم شكائمه(٧)

وفي قصيدة أخرى يؤكد الفرزدق ان سراح الاسرى كان ناتجا عن شفاعة الاقرع لهم عند النبي :

وعند رسول الله قام ابن حابس ... بخطة سوار الى المجد حازم
له أطلق الاسرى التي في حباله ... مغلقة أعناقها في الاداهم
كفى أمهات الخائفين عليهم ... علاء المفادى أو سهام المساهم(٨)

وفي رواية عن الكلبي (تصلح شرحا لهذه الابيات) ، تفيد أن الاقرع تشفع في أسرى بنى عمرو بن جندب بن العنبر بن عمرو بن تميم ، ووعد بدفع الفدية نيابة عن قومه(٩) ، ويبدو ان أشعار حسان في تميم صحيحة .

(٥) حسان : الديوان ص ٣٨٥ .
(٦) عرفات : المرجع السابق ص ٤٢٣ .
(٧) الفرزدق : الديوان ص ٧٦٧ ، النقائض ٧٤٨ .
(٨) الفرزدق : السابق ص ٨٢٦ ، النقائض ص ٧٤٧ : « مغللة أعناقها » .
(٩) نقائض ص ٧٤٧ هناك روايات أخرى : « أو سهام المقاسم » تشبه كثيرا تعبير بيت حسان .



« مظاهر من علاقاتهم »

ـ تتمـة ـ

بروفيسور م.ج. كستر
ترجمة الدكتور يحيى الجبوري
عضو اتحـاد المؤلفين والكتاب العراقيين

يبدو ان البيت يشير الى الواجب الذى تؤديه تميم في الاسواق . ان جواب حسان ـ دفاعا عن النبي ـ صريح : ما أنتم الا « ارداف » لنا في الاسواق ، وذلك اقصى فضل استطعتم بلوغه . لقد كان من الافضل ان يوضع هذا البيت بعد البيت العاشر من القصيدة ، وبذلك تجتمع ثلاثة أبيات يدحض فيها حسان مزاعم تميم بالفضل . وتكون الابيات الثلاثة الاخرى (١١ـ١٣) وحـدة في التهديد على اعتناق الاسلام .

ان الهجاء القاسى في أبيات حسان ليس غريبا ، لقد كان حسان معروفا بذكر سقطات مناوئيه وفشلهم في الحروب وضعة الانساب ، يذكر ذلك في شعره دفاعا عن النبي[١] .

يفند عرفات صحة أبيات حسان ويلاحظ : « الا انه على أية حـال من المشكوك فيه ان تتفق هذه الابيات مع أخلاق النبي وهو ذلك السياسى العظيم بان يسمح بمثل هذا الهجاء والتهديد ليكون موجها في مثل هذا الموقف ضد وفد مشهور لقبيلة عظيمة»[٢] . قد تكون حجة عرفات مقبولة ، ولكن هناك رواية ربما تعطى جوابا معقولا للسؤال الذى طرحه عرفات ، فطبقا لرواية جاءت في السيرة الحلبية[٣] كانت هناك مفاخرة بين الاقرع التميمي[٤] وبين حسان ، حيث كان الرسول حاضرا . أنشد الاقرع قصـيدته وأجاب حسان بنقيضته . وحين سمع النبي قصيدة حسان قال للاقرع : « لقد كنت غنيا ان

(١) الذهبي : سير أعلام النبلاء ٢/٣٧٦ ، الزرقاني : شرح المواهب ٣/٣٧٦ .
(٢) عرفات : المرجع السابق ص ٤٢٣ .
(٣) الحلبي : انسان العيون ٣/٢٢٨ ـ ٢٢٩ .
(٤) ان الاكثر قبولا أن تكون أبيات الشاعر التميمي منسوبة الى الاقرع أو عطارد بن حاجب ومن المقبول جدا ان الزبرقان السعدي كان قد مدح دارما : « وان ليس في أرض الحجاز كدارم » وقد وجهت ابيات حسان أيضا الى دارم : « بني دارم لا تفخروا » .

(٣٦٨ هـ) قال في اخبار النحويين(٢٤) : « وله كتاب النحو » ودعـاه الزبيدي (٣٧٩ هـ) (٢٥) : « كتابه المختصر في النحو » ٠

د٠ خليل ابراهيم العطية
كلية الاداب ـ جامعة البصرة

اهم مصادر البحث :

الاقتضاب في شرح أدب الكتاب ـ البطليوسي ـ بيروت ١٩٠١ ٠
انباه الرواة على انباه النحاة ـ القفطي ـ تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، دار الكتب المصرية ٠
بغية لوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ـ السيوطي ـ مط السعادة ١٣٢٩ هـ ٠
تلخيص اخبار النحويين ـ ابن مكتوم ـ مخطوطة ، دار الكتب ، ١٢٤٦ ، تاريخ تيمور ٠
تهذيب اللغة ـ الازهري ـ القاهرة ٠
جمهرة اللغة ـ ابن دريد ـ حيدرآباد الدكن ـ الهند ٠
خزانة الادب ولب لباب لسان العرب ـ عبدالقادر البغدادى ـ ط ٠ بولاق ١٢٩٩ هـ ٠
طبقات النحاة واللغويين ـ ابن قاضى شهبة ـ مخطوطة دار الكتب ، ٢١٤٦ ، تاريخ تيمور
طبقات المفسرين ـ الداودي ـ مخطوطة دار الكتب ، ١٦٨
العباب ـ الصغاني ـ مخطوطة دار الكتب ، ١٤١ ، لغة ٠
لحن العامة والتطور اللغوي ـ الدكتور رمضان عبدالتواب ، ١٩٦٧ دار المعارف٠
لحن العوام ـ لابي بكر الزبيدي تحقيق الدكتور رمضان عبدالتواب ، القاهرة ١٩٦٤ ٠
المحكم في نقط المصاحف ـ الداني ـ تحقيق الدكتور عزة حسن ، دمشق ١٩٦٠
المخصص ـ ابن سيده ـ القاهرة ٠
المزهر في علوم اللغة وانواعها ـ السيوطى ـ تحقيق محمد جاد المولى واخرين ، القاهرة ١٩٥٨ م ٠



٤٢ـ النقط والشكل :

ذكره ابن النديم في الفهرست ٥٩ ولاشك انه في نقط المصاحف فقد أورد ابو عمر عثمان الداني (٤٢٤ هـ) ابا حاتم من المؤلفين في نقط المصاحف[١٨] وذكر السجستاني في المصاحف[١٩] : في فصل (في كيف تنقط المصاحف) : « قال ابو حاتم السجستاني ونقطه بيده هذا كتاب يستدل به على علم النقط ومواضعه ٠ اذا كان الحرف مرفوعا غير مسنون نفطت قدامه واحدة »

٤٣ـ النوادر :

سمى ابو عبيد البكري (٤٨٧ هـ) كتابا لابي حاتم في النوادر ونقل منه نصا في (التنبيه على اوهام ابي علي في أماليه)[٢٠] ومنه نقول في خزانة الادب[٢١] والاصابة[٢٢] ٠

٤٤ـ الهجاء :

الفهرست : ٩٣ وانباه الرواة ٢/٦٢ ومعجم الادباء ١١/٢٦٥ ووفيات الاعيان ٢/١٥٢ وروضات الجنات ٤٢٤ والفلاكة والمفلوكون ١١٤ وايضاح المكنون ٢/٣٥٠ ٠

٤٥ـ الهمزة :

تفرد بذكره اسماعيل البغدادي في ايضاح المكنون ٢/٣٥١ ، ولابي زيد الانصاري (٢١٥ هـ) استاذ أبي حاتم كتاب في الهمز ، فلعل البغدادى اطلع على رواية له رواها ابو حاتم فالتبس عليه ذلك ٠

٤٦ـ الوحوش :

الفهرست ٩٣ وابن خير ٣٦١ وانباه الرواة ٢/٦٢ ومعجم الادباء ١١/٢٦٥ ووفيات الاعيان ٢/١٥٢ وكشف الظنون ١٤٦٩ ٠

٤٧ـ الوقف والابتداء :

تفرد بذكره ابن هشام الانصارى (٧٦١ هـ) وصرح بالنقل عنه في نص اورده في مغني اللبيب[٢٣] وفي كتاب ابي بكر الانباري في « الوقف والابتداء » نصوص واقتباسات عدة معزوة لابي حاتم ، ولكنه لم يصرح بانه اقتبسها من كتابه الملمع اليه ٠

٤٨ـ وذكر الاقدمون لابي حاتم كتابا في النحو لم يسموه فأبو سعيد السيرافي

(١٨) المحكم في نقط المصاحف ٩ ٠

(١٩) المصاحف ١٤٤ ٠

(٢٠) التنبيه ٦١ ٠

(٢١) الخزانة ٣/١٩٩ ، ٣٣٧ ، ٤/٧٤ ، ٣٣٦ ٠

(٢٢) الاصابة (ترجمة ٨٣٧٤) ٣/٤٦٣ وقد دلني على هذا الاقتباس الاستاذ محمد جبار المعيبد مشكورا ٠

(٢٣) مغنى اللبيب : (ط٠ دمشق) : ٢/٥٩٨ ٠

وربما يتفق المرء مع عرفات حول ركة أبيات حسان هذه ، ولكن هذا لا يقوم برهانا كافيا بان هذه الابيات ليست من نظم حسان · ان أمثال هذه الابيات ليست غريبة على الهجاء السياسى :

ان مشكلة وفد تميم تستحق ان تعالج على انفراد · فان الواجبات المتوارثة لتميم في السوق ، والتى نوقشت فيما سبق ، كانت قد أكملت بالواجبات المهمة التى أديت من قبل أقرباء تميم خلال مواسم الحج · تقدم سيرة ابن هشام الرواية التالية حول وظائف زعماء تميم في مواسم الحج :

« كان الغوث بن مر بن أد بن الياس بن مضر يلي الاجازة بالناس في الحج من عرفة ، وولده من بعده ، وكان يقال له ولولده من بعده صوفة ، وانما ولى ذلك الغوث بن مر لان أمه كانت امرأة من جرهم ، وكانت لا تلد ، فنذرت ان هي ولدت ولدا ان تصدق به على الكعبة عبدا لها ، يخدمها ويقوم عليها ، فولدت الغوث ، فكان يقوم على الكعبة في الدهر الاول مع أخواله من جرهم · فولى الاجازة بالناس من عرفة لمكانه الذي كان به من الكعبة وولده من بعده حتى انقرضوا · فقال مر بن أد مشيرا الى وفاء نذر أمه :

اني جعلت رب من بنيه
ربيطة بمكة العليه
فباركن لي بها أليه
واجعله لي من صالح البريه

وكان الغوث بن مر – فيما زعموا – اذا دفع بالناس قال :

لا هم اني تابع تباعه
ان كان اثم فعلى قضاعه

روى يحيى بن عباد بن الزبير عن أبيه قائلا : كانت صوفة تدفع بالناس من عرفة وتجيز بهم اذا نفروا من منى ، فاذا كان يوم النفر اتوا لرمي الجمار ، ورجل من صوفة يرمي للناس ، لا يرمون حتى يرمى ، فكان ذوو الحاجات المتعجلون يأتونه فيقولون له : قم فارم حتى نرمي معك ، فيقول : لا والله حتى تميل الشمس ، فيظل ذوو الحاجات الذين يحبون التعجل يرمونه بالحجارة ويستعجلونه بذلك ، ويقولون له : « ويلك قم فارم » فيأبى عليهم ، حتى اذا مالت الشمس قام فرمى ورمى الناس معه · فاذا فرغوا من رمي الجمار وأرادوا النفر من منى ، أخذت صوفة بجانبي العقبة ، فحبسوا الناس وقالوا : أجيزي صوفة ، فلم يجز أحد من الناس حتى يمروا ، فاذا نفرت صوفة ومضت خلى سبيل الناس فانطلقوا بعدهم ، فكانوا كذلك حتى انقرضوا · فورثهم ذلك من بعدهم بالقعدد بنو سعد بن زيد مناة بن تميم ، وكانت من بني سعد في آل صفوان بن الحارث بن شجنة ، وكان صفوان هو الذي يجيز للناس بالحج من عرفة ثم بنوه من بعده ، حتى كان آخرهم الذى قام عليه الاسلام ، كرب بن صفوان ·

دارم ، العشيرة التي لها نفوذ في بلاط الحيرة(٢٦) . والرواية التي نوقشت في هذا البحث تعطينا فكرة تقريبية عن كيفية ارتباط عشائر تميم بمكة : لقد ارتبط بعضها بنظام الحمس ، وبعضها بعهود الايلاف ، وبعضها بالحصول على امتيازات في الاسواق وتأدية فروض الحج ، وبعضها بالاشتراك بالجيش القبلي لحراسة مكـــة .

ومن المقبول ان نجد في مكة رجالا من تميم حلفاء لقريش ، وان يزوج زعماء تميم بناتهم لرؤساء الأسر المكية ، هذه الحقيقة ربما تستوجب التأكيد . فطبقا لبعض الروايات أن قريشا كانت تمتنع من التزوج ببنات القبائل الاخرى . فكانت تماضر بنت الاصبغ الكلبي ، زوجة عبدالرحمن بن عوف ، أول امرأة كلبية تزوجت من قرشي . فلم تكن قريش تتزوج من كلب(٢٧) . أما حول أسرة تميم ، فتؤكد الرواية أن قريشا ارتبطت بالزواج مع هذه الأسر(٢٨) .

فقد كانت زوجة هشام بن المغيرة الشريف المخزومي هي أسماء بنت مخربة ابن جندل بن أبير بن نهشل بن دارم أم أبي جهل المشهور ، وكانت كذلك أم عبدالله بن أبي ربيعة وعياش بن أبي ربيعـــة(٢٩) . وتزوج عيـــاش بن أبي ربيعة(٣٠) أسماء بنت سلامة بن مخربة بن جندل(٣٢) . وتزوج عبدالله بن أبي ربيعة ليلى ابنة الزعيم التميمي عطارد بن حاجب بن زرارة(٣٣) . وتزوج أبو جهل ابنة عمير بن معبد بن زرارة(٣٤) . وتزوج عبيدالله بن عمر بن الخطاب أسماء بنت عطارد بن حاجب بن زرارة(٣٥) . وتزوجت خولة بنت القعقاع بن

---

(٢٦) انظر :

Oppenheim — Caskel: Die Beduinen III, 166.

(٢٧) المصعب الزبيري : نسب قريش ص ٢٦٧ ، الزبير بن بكار : نسب قريش مخطوط الورقة ٩٥ ب .

(٢٨) البلاذرى : انساب مخطوط الورقة ٩٨٩ ب : «... كان شـــريفا وقد نكحت اليـــه قريش ... » .

(٢٩) ابن الكلبي : جمهرة مخطوط الورقة ٣٦ أ . ، الجمحى : طبقات فحول الشعراء ص ١٢٣ ، الزبير بن بكار : نسب قريش مخطوط الورقة ١٣٥ أ ، ١٤٠ ب ، المصعب الزبيرى : نسب قريش ص ٣٠١ ، ٣١٧ ، الواقدي : مغازى ص ٨٣ – ٨٤ ، أبو الفرج : الاغاني ٢٩/١ وما بعدها ، نقائض ص ٢٠٧ ، البلاذري : انساب مخطوط الورقة ٩٨٦ ب ، ٨٠٤ أ ، ابن عبد البر : الاستيعاب ص ٤٩٥ ، البلاذري : انساب ٢٩٨/١ ، ٢٠٩ ، ٢٣٥ ، ابن حجر : الاصابة ١٠/٨ (رقم ٥٥ نساء) .

(٣٠) انظر حوله ابن حجر : الاصابة رقم ٦١١٨ .

(٣١) ابن هشام : سيرة ٢٧٣/١ ، ابن عبد البر : الاستيعاب ص ٧٠٥ ، المصعب الزبيري : نسب قريش ص ٢٦٧ ، ٣١٩ ، الزبير بن بكار : نسب قريش مخطوط الورقة ٩٦ أ .

(٣٢) المصعب الزبيري : نسب قريش ص ٣١٩ ، ابن سعد : طبقات ٢٧/٥ .

(٣٣) المصعب الزبيري : نسب قريش ص ٣١٨ ، الزبير بن بكار : نسب قريش مخطوط الورقة ١٤١ أ ، ابن حجر : الاصابة ١٨٢/٨ ، البلاذري : انساب مخطوط الورقة ٨٠٤ ب .

(٣٤) المصعب الزبيري : المصدر السابق ص ٣١٢ ، الزبير بن بكار : السابق مخطوط الورقة ١٣٥ ب .

(٣٥) الجمحي : طبقات فحول الشعراء ص ٤٨٨ رقم ٣ .

الجندل وفي هجر وفي صحار وفي دبا وفي الاسواق الاخرى التي كانت تحت سيطرة حكام موالين للمماليك حيث تجبى فيها الضرائب (الاعشار) ، وبالطريقة نفسها قلدت قريش تميما وجعلت لها أمر القيادة في سوق عكاظ ٠ ولكن ما كان هذا قائما على المكافأة الزهيدة ، فقد كانت عكاظ سوقا حرة لا تدفع فيها الضرائب ، وليس لدينا اشارة الى هذه المكافأة كيف كانت ٠

ان تعبير « أئمة العرب » يشير الى مبدأ التعاون المشترك ، وكأساس فكري فانه يخدم مبدأ احترام حرمة مكة والاشهر الحرم ، ومن الواضح ان رضا القبائل كان ضروريا لتأدية هذا الواجب ٠

ان السيطرة على الاسواق والاجازة كانت مهمة وضرورية ليست للقبائل وحسب ، بل كانت في مصلحة بعض الحكام أيضا ٠ يمكن أن يستنتج هذا من رواية هامة رواها السهيلي : « وقال بعض نقلة الاخبار ان ولاية الغوث كانت من قبل ملوك كندة »[٢٢] وقيل ان بني الغوث هؤلاء رحلوا الى اليمن[٢٣] ٠ ان الروايات التي تذكر هجرة الغوث بن مر الى اليمن تشير بوضوح الى صلاتهم بجنوب الجزيرة العربية ، وطبقا لرواية ، انه بعد هلاك الصوفة آلت الولاية الى صفوان بن الحارث بن شجنة من سعد حيث ورثها اقاربه من بعده : « فورثهم ذلك من بعدهم بالقعدد » ٠

وربما يتذكر أحد أن هذه الأسرة كان لها علاقة وثيقة بآل كندة ٠ كان عوير بن شجنة الذي آوى بعض الافراد المنهزمين من آل كندة ، وكان قد مدح من قبل امرىء القيس ٠ وكان كرب بن صفوان الذي رفض ان ينضم الى العشائر الاخرى من تميم في حربهم ضد عامر بن صعصعة التي تدين بالحمس ، في معركة جبلة ، وقد يجازف أحد فيفترض أن هنالك شيئا من الصدق في هذه الرواية ٠ لقد تعاونت كندة مع قريش في حماية القوافل[٢٤] ، ومن الراجح أنه كان لهم تأثير على الاقل في تعيين الرجل أو القبيلة التي تلي الاجازة ٠

ان شاعرا وزعيما من بني سعد هو الزبرقان بن بدر قال يلوم رجلا كان قد هجا أبا جهل :

أتدري من هجوت أبا حبيب ... سليل خضارم سكنوا البطاحا
أزاد الركب تذكر أم هشاما ... وبيت الله والبلد اللقاحا[٢٥]

يعبر هذان البيتان عن الصدق والاحترام للارستقراطي القرشي أبى جهل والولاء لمكة ٠

ان فرع تميم الذي عهدت اليه ولاية القضاء في عكاظ كان في بني مجاشع من

---

(٢٢) السهيلي : الروض الانف ٨٤/١ وما بعدها ٠
(٢٣) انظر ما سبق بحثه حول الغوث بن مر ٠
(٢٤) قارن محمد بن حبيب : المحبر ص ٢٦٧ حول سوق الرابية في حضرموت : « فكانت قريش تتخفر فيها ببنى آكل المرار من كندة ، وساد بنو آكل المرار بفضل قريش على سائر الناس » ٠
(٢٥) ياقوت : بلدان (مكة) ٠

اذا هبط الناس المحصب من منى عشية يوم النحر من حيث عرفوا
ترى الناس ما سرنا يسيرون خلفنا وان نحن أومأنا الى الناس وقفوا[15]

ويقول جرير :

وجواز الحجيج لنا عليكم وعادى المكارم والمنار[16]

ويقول العجاج واصفا جمع الحجيج :

حتى اذا ما حان فطر الصوم أجاز منا جائز لم يوقم[17]

تعين أشعار الشعراء التميميين السابقة بوضوح التعاون بين قريش وتميم ، وفي الحقيقة ان قريشا قلدت تميما وظيفتين كبيرتي الاهمية في دينهم وحياتهم الاقتصادية : « الحكومة » و « الاجازة »[18] • ويدل هذا على ان تميما كانت في الحقيقة قوية وذات نفوذ ، وقد قدمت لمكة خدمات عظيمة الاهمية •

ان اشارة ولهاوزن بان منح الاجازة الى صوفة (واخيرا الى تميم — ك) يرى بأن مكة لم تكن مركزا للحج[19] ، يبدو ان هذا الرأى غير مناسب • فقد تخلت قريش عن حقها او وظفت عشائر ببعض الواجبات في منطقتها أو في المناطق التي تجد قريش ان نفوذها فيها مهما (الاسواق) لانهم استطاعوا عن هذا الطريق ان تكون سيطرتهم اكثر حيوية ونفوذا في القبائل ، ويحصلوا على الامن في أراضيهم • وقد كان هناك سابقة لهذا الاسلوب ، فكان هذا المبدأ مطبقا سابقا من قبل حكام الممالك التي على الحدود[20] • وحول اسناد الواجبات في السوق ، نستطيع ان نقيس ذلك من فقرة ذات دلالة جاءت في كتاب الامكنة للمرزوقي[21] : « وكان أشراف العرب يتوافون بتلك الاسواق مع التجار من أجل ان الملوك كانت ترضخ للاشراف لكل شريف بسهم من الارباح • فكان شريف كل بلد يحضر سوق بلده ، الا عكاظ ، فانهم كانوا يتوافون بها من كل أوب » •

تقدم هذه الفقرة فكرة عن العلاقات بين الحكام ورؤساء الاعراب • فقد كانوا يعطون بعض الحصص من الارباح ، وكان هذا الموقف واضحا في دومة

---

(١٥) ابن رشيق : العمدة ١٣٧/٢ ، العسكري : ديوان المعاني ٧٨/١ ، الفرزدق : ديوان ص ٥٦٦ (ط الصاوي ، هناك خطأ مطبعي : أومأنا الى النار ، بدلا من : الى الناس)ولكن القالى : الامالى (ذيل ١١٩ وما بعدها) وابن رشيق : العمدة ٢٦٩/٢ •

(١٦) جرير : ديوان ص ٢٩٨ •

(١٧) العجاج : ديوان ص ٦٠ ط اهلوارد •

(١٨) انظر في الاجازة :

Von Grunebaum: Muhammadan p. 32-33; Wellhausen: Reste, pp. 57, 75-80.

وانظر حول « أشرق ثبير » أبا مسحل : نوادر ص ٤٥٢ ، وانظر لسان العرب (ثبر ، شرق) •

(١٩) ولهاوزن : Wellhausen: Reste, p. 77.

(٢٠) قارن ابن حبيب : اسماء المغتالين (نوادر المخطوطات ٢٢١/٦هـ هارون) ولكن ربما يقرأ « مليك » وليس « ملك » (أي ليس بالملك التام) •

(٢١) المرزوقي : الامكنة ١٦٦/٢ •

وقال أوس بن تميم بن مغراء السعدى :

ولا يريمون في التعريف موقفهم حتى يقال أجيزوا آل صفوانا(١٠)

ان أبيات ابن مغراء كثيرا ما يستشهد بها ، وأهمية واجب كرب بن صفوان تتواتر(١١) ، وهذا البيت لاوس بن مغراء ذو دلالة وأهمية أيضا :

ترى ثنايا اذا ما جاء بداهم وبدؤهم أن أتانا كان ثنيانا(١٢)

وقد ذكرت اجازة الصوفة في أبيات مرة بن خليف :

اذا ما أجازت صوفة النقب من منى ولها قتار فوقه سفع الدم
رأيت الاياب عاجلا وتبعثت علينا دواع للرباب وكلثم(١٣)

ويفتخر شاعرا تميم جرير والفرزدق باجازة قبيلتيهما(١٤) من مكة ، ويعد بيت الفرزدق حول اجازة تميم أفخر بيت :

---

(١٠) ابن هشام : السيرة ١/١٢٥ وما بعدها ، ترجمة هذه الفقرة المستشهد بها كلها أخذت من:
Guillaume: The Life of Muhammad p. 49-50.
قارن ابن كثير : البداية ٢/٢٠٦ .

(١١) المبرد : نسب عدنان وقحطان ص ٩ ، محمد بن حبيب : المحبر ص ١٨٣ ، البلاذري : انساب مخطوط الورقة ١٠٤٤ ، القالى : أمالى ٢/١٧٦ ، البكري : سمط ص ٧٩٥ — ٧٩٦ ، ابن قتيبة : الشعر ص ٢٦٤ ، ابن عبد ربه : العقد الفريد ٢/٢٢٢ ، ابن أبى الحديد : شرح نهج البلاغة ٣/٤٢٦ ، ابن ولاد : المقصور والممدود ص ٢٤ .

(١٢) لسان العرب (ثنى) .

(١٣) المرزباني : معجم الشعراء ص ٣٨٢ .

(١٤) تقرر الرواية أن صوفة كان سليل الغوث بن مر (يدعى الربيط ، أو صوفة) نقل الرواية ابن الكلبي : جمهرة مخطوط الورقة ٦٠ أ ، وقد بادوا ، محمد بن حبيب : مختلف القبائل ص ٩ ، البلاذري : انساب مخطوط الورقة ٩٥٦ ب ، ابن قتيبة : المعارف ص ٣٤ (الغوث بن مر صاروا باليمن ويقال لها صوفة) ، الكلاعي : الاكتفاء ١/١٣٢ وما بعدها ، وانظر ولهاوزن Reste p. 77. ، كايتاني : حوليات ١/١٠٥ ، هناك روايات مختلفة حول صوفة ، ينقل الازرقي : أخبار مكة ١/١٢٨ : كانت الافاضة في الجاهلية الى صوفة ، وصوفة رجل يقال له أخزم بن العاص من بني مازن بن الاسد . وكانت للغوث بن صوفة وأمه امرأة من جرهم الافاضة بالناس على الموقف ، جعلها اليه حبشية بن سلول من خزاعة ، وكان حبشية يومئذ يلي حجابة الكعبة وأمر مكة . ثم صارت الافاضة في عدوان بن عمرو بن قيس عيلان الى زيد بن عدوان في زمن قريش ، حتى كان الذي قام عليه الاسلام أبو سيارة .

يسجل المقدسي (كتاب البدء ٤/١٢٧) ان صوفة كانوا جماعة من جرهم أعطوا حق الاجازة ، وقد دحروا في معركة مع قصى . يذكر ياقوت أن الاجازة كانت أولا في عهدة ناس من خزاعة ثم انتقلت الى عدوان ، ثم صارت الى أبى سيارة ، وأخيرا صارت الاجازة الى الغوث بن مر بن أد (البلدان « ثبير ») . ويذكر ياقوت في فقرة أخرى أن قبيلة من جرهم اسمها صوفة بقيت بمكة تلى الاجازة بالناس من عرفة مدة ، وفيهم يقول الشاعر :

ولا يريمون في التعريف موقفهم حتى يقال أجيزوا آل صفوانا

(ياقوت : البلدان « مكة ») . وقد انتقل هذا الامتياز الى خزاعة ، ثم تحول أخيرا الى عدوان (ابى سيارة) ، ثم عزل قصى أبا سيارة وقومه . وطبقا لرواية السجستاني (المعمرون ص ٥١) ان صوفة يقوم بالاجازة يوما ، وفي اليوم الآخر تؤدى من قبل عدوان (انظر المصدر السابق ص ٣٤) .

معبد بن زرارة بن عدس ، طلحة بن عبيدالله ، كان زواجها الثاني من أبى جهم بن حذيفة[٣٦] ٠ وتزوجت ليلى بنت مسعود بن خالد بن مالك بن ربعى بن سلمى ابن جندل بن نهشل ، علي بن أبي طالب ، وكان زواجها الثاني من عبدالله بن جعفر بن أبي طالب[٣٧] ٠ وتزوج عقيل بن أبي طالب ابنة سنان بن الحوتكية من بني سعد بن زيد مناة[٣٨] ٠

أما بنات الزبرقان بن بدر فقد تزوجن من : سعد بن أبي وقاص ، المسور ابن مخرمة الزهري ، عامر بن أمية الضمرى ، الحارث بن الحكم بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس ، عثمان بن أبى العاص ، الحكم بن أبى العاص ، أمية بن أبى العاص[٣٩] ٠

وكان أمية الاصغر ، وعبد أمية ، ونوفل ، وأمامة أولاد عبد شمس بن عبد مناف ، ولدوا من زوجته عبلة بنت عبيد بن جاذل بن قيس بن حنظلة بن مالك ابن زيد مناة ، وكان أحفادهم يدعون (العبلات)[٤٠] ٠ وتزوج نوفل بن عبد مناف بن قصي فكيهة بنت جندل بن أبير بن نهشل بن دارم[٤١] ٠ وكانت احدى زوجات المطلب بن عبد مناف بن قصى أم الحارث بنت الحارث بن سليط بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة[٤٢] ٠ وتزوج أمية بن خلف امرأة تميمية هي سلمى بنت عوف ، ولدت له علي بن أمية الذي قتل في بدر[٤٣] ٠ وتزوج وهب بن عثمان بن أبي طلحة من بني عبدالدار بن قصي سعدة بنت زيد بن لقيط من مازن بن عمرو بن تميم[٤٤] ٠ وتزوج حرب بن أمية امرأة تميمية[٤٥] ٠ وتزوج نافع بن طارق بن عمرو بن نوفل بن عبد مناف غنية بنت أبى اهاب بن عزيز بن قيس بن سويد من ربيعة بن زيد بن عبد بن دارم[٤٦] ٠ وكان أبو أهاب حفيد

---

(٣٦) الزبير بن بكار : نسب قريش مخطوط الورقة ١١٨ أ ، ١٧١ أ ، البلاذري : انساب مخطوط الورقة ٨٧١ أ ، المصعب الزبيري : نسب قريش ص ٣٧٢ ، ٢٨١ ، ابن حجر : الاصابة ٧١/٨ (رقم ٣٧١) ، ابن سعد : طبقات ١٥٢/٣ ، ١٢٠/٥ ، ١٤٧/٦ ٠

(٣٧) ابن الكلبى : جمهرة مخطوط الورقة ٩ أ ، البلاذري : انساب مخطوط الورقة ١٥٣ أ ، المصعب الزبيري : المصدر السابق ص ٤٤ ، ٨٣ ، ابن حجر : الاصابة رقم ٨٤٠٤ ، ابن سعد : طبقات ١٩/٣ ٠

(٣٨) البلاذري : أنساب مخطوط الورقة ١٥٤ أ ، ١٥٠ أ ٠

(٣٩) البلاذري : أنساب الورقة ١٠٤٤ أ ، المصعب الزبيري : السابق ص ١٦٩ ٠

(٤٠) ابن الكلبي : جمهرة مخطوط الورقة ١١٦ ، المصعب الزبيري : السابق ص ٩٨ ، مؤرج السدوسي : حذف ص ٣٠ ، البلاذري : أنساب مخطوط الورقة ٣٤٥ ، ٨٠٦ ، أبو الفرج : اغاني ٨٢/١ ٠

(٤١) المصعب الزبيري : السابق ص ١٩٨ ، البلاذري : أنساب مخطوط الورقة ٨٠٨ أ (كهيفة بنت جندل ــ وليس فكيهة) ، ابن الكلبي : جمهرة مخطوط الورقة ٢١ أ ٠

(٤٢) ابن الكلبي : جمهرة مخطوط الورقة ٢٠ ، المصعب الزبيري : السابق ص ٤٤ ، ٨٣ ، ابن حجر : الاصابة رقم ٨٤٠٤ ، ابن سعد : طبقات ١٩/٣ ٠

(٤٣) الزبير بن بكار : السابق الورقة ١٧٦ ب ، المصعب الزبيري : السابق ص ٣٨٧ وما بعدها ٠

(٤٤) الزبير بن بكار : السابق الورقة ١٨٨ ٠

(٤٥) المصعب الزبيري : نسب قريش ص ١٢٣ ٠

(٤٦) المصعب الزبيري : السابق ص ٢٠٤ ٠

سويد بن ربيعة الذي قتل ابن ملك الحيرة وهرب الى مكة ، فأصبح حليفا لنوفل ابن عبد مناف . وكان جد غنية عزيز بن قيس قد تزوج فاختة بنت عامر بن نوفل بن عبد مناف[٤٧] . وتزوج ابو اهاب بن عزيز والد غنية درة بنت أبي لهب عم النبي[٤٨] . وتزوجت ابنة أبي اهاب عبدالرحمن بن عتاب بن أسيد بن أبى العيص بن أمية بن عبد شمس[٤٩] وتزوجت حفيدة أبى لهب ، درة بنت عتبة بن أبى لهب ، تميميا هو أبو هالة هند بن هند بن أبى هالة حفيد خديجة من زوجها الاول (أو الثاني)[٥٠] . وتزوجت ابنة نوفل بن الحارث بن عبدالمطلب[٥١] تميميا هو حنظلة بن الربيع كاتب النبي[٥٢] ، وهو ابن أخت أكثم بن صيفي[٥٣] .

ان جريدة النساء التميميات اللواتي تزوجن رجالا من أسر قرشية شريفة لا يمكن ادراكها جميعا ، فيظهر أن هناك عددا كبيرا من النساء التميميات تزوجن من أبناء الأسر المتميزة في مكة . وهذا يشير الى العلاقات الوثيقة بين قريش وتميم ، وربما كان المراد من هذه الزيجات تقوية الروابط مع زعماء تميم الذين أسهموا كثيرا في دعم مكانة مكة في المجتمع القبلي .

مصادر ومراجع البحث

أ ـ باللغة العربية :

ابن الاثير : أسد الغابة في معرفة الصحابة .
ط مصر ١٢٨٦هـ .

: المرصع . ط سيبولد . ويمر ١٨٩٦م .

الازرقي : أخبار مكة . ط وستنفيلد . ليبزك ١٨٥٨م .

الاصبهاني ـ أبو نعيم : حلية الاولياء . ج ١ ـ ١٠ ط القاهرة ٣٢ ـ ١٩٣٨م .

الاصفهاني ـ أبو الفرج : الاغاني . ط دار الثقافة بيروت .

الاصمعي ـ عبدالملك بن قريب : الاصمعيات . ط اهلوارد . ليبزك ١٩٠٢م .

الاعشى : ديوان . ط جاير . وين ١٩٢٨ (سلسلة ذكرى جب ٦) .

الالوسى : بلوغ الارب . ط القاهرة ١٩٤٠م .

أبو البقاء ـ هبة الله : المناقب المزيدية في أخبار الملوك الأسدية .
مخطوط ، المتحف البريطاني ٢٣ ، ٢٩٦ .Add .

البكرى ـ أبو عبيد عبدالله بن عبدالعزيز : سمط اللآلى . ط عبدالعزيز الميمنى .
القاهرة ١٩٣٦م .

---

(٤٧) المصدر السابق والصفحة ، و ص ٤٢٠ ، الزبير بن بكار : نسب قريش مخطوط الورقة ١٨٦ أ ، ابو البقاء : مناقب مخطوط الورقة ١٥٠ ب .

(٤٨) ابن الكلبي : جمهرة مخطوط الورقة ١١٦ ب .

(٤٩) المصعب الزبيري : السابق ص ١٩٣ .

(٥٠) ابن الكلبي : جمهرة مخطوط الورقة ١١٨ب .

(٥١) انظر حوله ابن حجر : الاصابة رقم ٨٨٢٧ .

(٥٢) ابن الكلبي : السابق الورقة ١١٨أ .

(٥٣) انظر حوله ابن حجر : الاصابة رقم ١٨٥٥ .

الكلاعى ــ أبو الربيع سليمان بن سالم : كتاب الاكتفاء · ط ماس · الجزائر ١٩٣١م ·
ابن الكلبي ــ هشام بن محمد : جمهرة النسب · مخطوط المتحف البريطاني Add. ٢٣٢٩٧ ·
لبيد بن ربيعة العامري : ديوان · ط احسان عباس · الكويت ١٩٦٢م ·
المبرد ــ محمد بن يزيد : نسب عدنان وقحطان · ط عبدالعزيز الميمني · القاهرة ١٩٣٦م ·
المجلسي : بحار الانوار · ط ١٣٠٢هـ · و ط طهران طبعة جديدة ·
مجهول المؤلف : سير الملوك · مخطوط المتحف البريطاني رقم ٢٣٢٩٨ .Add
المرزباني ــ محمد بن عمران : معجم الشعراء · ط كرنكو · القاهرة ١٣٥٤هـ ·
: نور القبس · ط زلهيم · فسبادن ١٩٦٤م ·
المرزوقي ــ أحمد بن محمد بن الحسن : الازمنة والامكنة · ج ١ ــ ٢ ط حيدراباد ١٣٣٢هـ ·
: شرح ديوان الحماسة · ط أحمد أمين وهارون · القاهرة ١٩٥٣م ·
أبو مسحل ــ عبدالوهاب بن حريش : النوادر · ط عزة حسن · دمشق ١٩٦١م ·
المسعودي ــ علي بن الحسين : مروج الذهب · ط محي‌الدين عبدالحميد · القاهرة ١٣٥٧هـ ·
المغربي ــ الوزير الحسين بن علي : الايناس بعلم الانساب · مخطوط المتحف البريطاني ٣٦٢٠ OR ·
مقاتل : تفسير الخمسمائة آية · مخطوط المتحف البريطاني ٦٣٣٣ ·
المقدسي ــ مطهر بن طاهر : البدء والتاريخ · ط هوارت · باريس ١٨٩٩ ــ ١٩١٩م ·
ابن منظور ــ محمد بن المكرم : لسان العرب · ط بولاق ١٣٠٠هـ ·
الموصلي : غاية الوسائل الى معرفة الاوائل · مخطوط كمبرج رقم ٣٣ Qq
النجيرمي : ايمان العرب · ط محب‌الدين الخطيب · القاهرة ١٩٢٨م ·
ابن هشام ــ أبو محمد عبدالملك : السير النبوية ج ١ ــ ٤ · ط السقا والابياري وشلبي · القاهرة ١٩٥٥ ·
الهمداني ــ الحسن بن أحمد : الاكليل · مخطوط فاكسيمل برلين ١٩٤٣م ·
: الاكليل · ط برلين ١٩٤٣م ·
الواقدي ــ محمد بن عمر : المغازي · ط فون كريمر · كلكتا ١٨٥٦م ·
ابن ولاد ــ أحمد بن محمد : المقصور والممدود · ط برونله · لندن ١٩٠٠م ·
ياقوت ــ ابن عبدالله الرومي الحموي : معجم البلدان · ج ١ ــ ٨ · القاهرة ١٩٠٦م ·
اليعقوبي ــ أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر : تاريخ · ج ١ ــ ٣ ط النجف ١٣٥٨هـ ·

الصقلي ـ ابن ظفر : انباء نجباء الابناء • ط مصطفى القباني • القاهرة بلا تاريخ •
الضبى ـ المفضل بن محمد : أمثال العرب • ط القسطنطينية ١٣٠٠هـ •
: المفضليات • ط لايل • اوكسفورد ١٨ ـ ١٩٢١م • و ط شاكر وهارون القاهرة ١٩٥٢م •
العباسي ـ عبدالرحيم بن أحمد : معاهد التنصيص • ط القاهرة ١٣١٦هـ •
ابن عبدالبر ـ يوسف بن عبدالله النمري : الانباه على قبائل الرواة • ط القاهرة ١٣٥٠هـ •
: الاستيعاب في معرفة الاصحاب • ط حيدراباد ١٣٣٦هـ •
ابن عبد ربه : العقد الفريد : ج ١ ـ ٤ ط القاهرة ١٩٣٥م •
أبو عبيد : كتاب الاموال • ١٣٥٣هـ •
أبو عبيدة ـ معمر بن المثنى : نقائض جرير والفرزدق • ط بيفان • ليدن ١٩٠٥ ـ ١٩١٢م •
العجاج ـ عبدالله بن رؤبة : ديوان • ط اهلوارد • برلين ١٩٠٣م •
ابن العربي : محاضرات الابرار • ج ١ ـ ٢ ط القاهرة ١٩٠٦م •
العسكري ـ أبو هلال الحسن بن عبدالله : ديوان المعاني • ج ١ ـ ٢ ط القاهرة ١٣٥٢هـ •
العصامي : سمط النجوم العوالي • ط القاهرة ١٣٨٠هـ •
الفاسي ـ محمد بن عبدالله بن علي : شفاء الغرام • ط وستنفيلد • ليبزك ١٨٥٩ • و ط القاهرة ١٩٥٦م •
الفاكهي : تاريخ مكة • مخطوط ليدن ٤٦٣ OR •
الفرزدق ـ أبو فراس همام بن غالب : ديوان • ط الصاوي • القاهرة ١٩٣٦م •
ابن الفقيه ـ احمد بن محمد الهمذاني : كتاب البلدان • ط دي غويه • ليدن ١٨٥٨م •
الفيروزابادى ـ محمد بن يعقوب : القاموس المحيط • ط الحلبي مصر ١٩١٣ •
القاسمي ـ ظافر : الايلاف والمعونة غير المشروطة • مجلة المجمع العلمي العربي ـ دمشق العدد ٣٤ •
القالي ـ اسماعيل بن القاسم : ذيل الامالي والنوادر • ط عبدالعزيز الميمني • القاهرة ١٩٢٦م •
ابن قتيبة ـ عبدالله بن مسلم : الشعر والشعراء • ط السقا • القاهرة ١٩٣٢م •
: المعارف • ط القاهرة ١٩٣٥م •
: المعاني الكبير ج ١ ـ ٣ ط حيدراباد ١٩٤٩م •
القرطبي : الجامع لاحكام القرآن • ط القاهرة ٣٥ ـ ١٩٤٠م •
القزويني ـ محمد حسين : شرح شواهد مجمع البيان • ط طهران ١٣٣٨هـ ش •
القسطلاني : ارشاد الساري لشرح صحيح البخاري • ط القاهرة •
القمي : غرائب القرآن (على هامش تفسير الطبري) • ط بولاق ٣٣ ـ ١٣٢٩هـ •
ابن كثير ـ اسماعيل بن عمر : البداية والنهاية • ج ١ ـ ١٤ ط القاهرة ٥١ ـ ١٣٥٨هـ •

دحلان : السيرة النبوية · على هامش سيرة الحلبي (انسان العيون) ·
ج ١ ـ ٣ ط القاهرة ٣٢ ـ ١٩٣٥م ·
ابن دريد ـ محمد بن الحسن الازدي : الاشتقاق · ط هارون · القاهرة ١٩٥٨م ·
الديار بكرى ـ حسين بن محمد : تاريخ الخميس · ج ١ ـ ٢ ط القاهرة ١٢٨٣هـ ·
أبو ذر الخشنى : شرح السيرة · ط برونله · القاهرة ١٩١١م ·
الذهبي ـ محمد بن أحمد بن عثمان : تاريخ الاسلام · ج ١ ـ ٥ · ط القاهرة ٦٧ ـ ١٣٦٩هـ ·
: سير أعلام النبلاء ج ١ ـ ٢ · ط المنجد والابياري · القاهرة ٥٦ ـ ١٩٧٥م ·
ابن رشيق ـ الحسن بن رشيق القيرواني : العمدة · ج ١ ـ ٢ ط محيىالدين عبدالحميد · القاهرة ١٩٣٤م ·
الزبير بن بكار : جمهرة نسب قريش وأخبارها · مخطوط بودلى مارش ٣٨٤ ·
: جمهرة نسب قريش وأخبارها ج ١ ط محمود شاكر · القاهرة ١٣٨١هـ ·
الزبيري ـ المصعب بن عبدالله : نسب قريش · ط ليفى بروفنسال · القاهرة ١٩٥٣ ·
الزرقاني : شرح المواهب اللدنية · القاهرة ٢٥ ـ ١٣٢٨هـ ·
الزمخشري ـ محمود بن عمر : ربيع الابرار · مخطوط المتحف البريطاني Or. ٦٥١١ ·
السجستاني ـ أبو حاتم سهل بن محمد : كتاب المعمرين · ط كولد زيهر · ليدن ١٨٩٩م ·
السدوسي ـ مؤرج بن عمرو بن الحارث : حذف من نسب قريش · ط صلاح الدين المنجد · القاهرة ١٩٦٠م ·
ابن سعد ـ محمد بن سعد بن منيع الزهري : الطبقات الكبرى ج ١ ـ ٨ ط بيروت ١٩٦٠م ·
ابن سعيد : نشوة الطرب · مخطوط توبنجن ·
السهيلي ـ عبدالرحمن بن عبدالله الخثعمي : الروض الأنف · ج ١ ـ ٢ ط القاهرة ١٩١٤م ·
السيوطي ـ عبدالرحمن بن أبي بكر : الدر المنثور في التفسير بالمأثور · ج ١ ـ ٦ · ط طهران ١٣٧٧هـ ·
ابن الشجري ـ هبة الله بن علي : الحماسة · ط حيدراباد ١٣٤٥هـ ·
ابن شرف : رسائل الانتقاد (ضمن رسائل البلغاء) · ط محمد كرد علي · القاهرة ١٩٤٦م ·
الشهرستاني ـ محمد بن عبدالكريم : الملل والنحل · ط كرتون· لندن ١٨٤٦م ·
الطبراني ـ سليمان بن أحمد : المعجم الصغير · ط دلهى ١٣١١هـ ·
الطبرسي ـ الفضل بن الحسن : مجمع البيان ج ١ ـ ٣٠ ط بيروت ١٩٥٧م ·
الطبري ـ محمد بن جرير : تاريخ الامم والملوك ج ١ ـ ٨ ط القاهرة ١٩٣٩م ·

: معجم ما استعجم • ط مصطفى السقا • القاهرة ٤٥_١٩٥١م •
البلاذري ـ أحمد بن يحيى : أنساب الاشراف • مخطوط عاشر أفندي ٥٩٧/٨ استانبول •
الجزء الاول ط محمد حميدالله • القاهرة ١٩٥٩م •
الجزء الرابع • ط جلوسينجر • القدس ١٩٣٨م •
الجزء الخامس • ط كويتين • القدس ١٩٣٦م •
الثعالبي ـ عبدالملك بن محمد بن اسماعيل : ثمار القلوب في المضاف والمنسوب • ط القاهرة ١٩٠٨م •
: لطائف المعارف • ط دي جونج • ليدن ١٨٦٧م •
الجاحظ ـ أبو عثمان عمرو بن بحر : رسائل الجاحظ • ط السندوبى • القاهرة ١٩٣٣م •
: الحيوان • ج ١ ـ ٧ ـ ط هارون • القاهرة ٣٨ ـ ١٩٤٥م •
: مختارات فصول الجاحظ • مخطوط المتحف البريطاني ٣١٨٣ .Or
ابن الجارود : المنتقى • ط حيدرآباد ١٣٠٩هـ •
جرير ـ ابن عطية الخطفى : ديوان • ط الصاوى • القاهرة ١٣٥٣هـ •
الجمحي ـ محمد بن سلام : طبقات فحول الشعراء • ط محمود شاكر • القاهرة ١٩٥٢م •
ابن الجوزي : صفة الصفوة • حيدرآباد ٥٥ ـ ١٣٥٧هـ •
ابن حبيب ـ محمد : أسما المغتالين من الاشراف • ط هارون (نوادر المخطوطات ٦) • القاهرة ١٩٥٤م •
: المحبر • ط الزلجتنستدتر • حيدرآباد ١٩٤٢م •
: مختلف القبائل • ط وستنفيلد • جوتنجن ١٨٥٠م •
: المنمق • ط خورشيد أحمد فارق • حيدرآباد ١٩٦٤م •
ابن حجر : الاصابة في تمييز الصحابة ج ١ ـ ٨ • ط القاهرة ٢٣ ـ ١٣٢٧هـ •
ابن أبى الحديد : شرح نهج البلاغة • ج ١ ـ ٤ ط القاهرة ١٣٢٩هـ •
ابن حزم : جمهرة أنساب العرب • ط ليفى بروفنسال • القاهرة ١٩٤٨م •
: جوامع السيرة • ط احسان عباس وناصرالدين الاسد • ط القاهرة د•ت •
حسان بن ثابت : ديوان • ط البرقوقي • القاهرة ١٩٢٩م •
الحطيئة ـ جرول بن أوس : ديوان • ط البرقوقي • القاهرة ١٩٢٩م •
: ديوان • ط نعمان أمين طه • القاهرة ١٩٥٨م •
الحلبي ـ علي بن برهان الدين : انسان العيون ج ١ ـ ٣ ط القاهرة ٣٢ ـ ١٩٣٥م •
حمد الجاسر : نظرة في كتاب جمهرة انساب العرب • مجلة المجمع العربي بدمشق ١٩٥٠ •
أبو حيان ـ محمد بن يوسف الجبانى الاندلسي : التفسير الكبير المسمى بالبحر المحيط • ج ١ ـ ٨ ط القاهرة ١٣٢٨هـ •
الخالديان ـ سعيد ومحمد ابنا هاشم : الاشباه والنظائر • ط محمد يوسف • القاهرة ١٩٥٨م •

به أرضه العربية الى الشام وسيناء حتى أرض الكنانة ٠ ان أية ظاهرة اجتماعية أو اقتصادية وحتى الظواهر العلمية ، يمكن أن تدرس في ضوء التحديات الطبيعية والمناخية ، بل لا يمكن أن تدرس في معزل عن ذلك ، الا الشعر ، فليس لأنواء الطبيعة ولا ضغوطها المتباينة ولا شمسها المحرقة ولا غناها ولا فقرها ، أية فاعلية في القدرة الالهامية أو نمط الشعر ومقداره وقوة أسره[٧] ٠ ان امرا واحدا يظل عاملا في فاعليته وزخمه ، يغني الشعر ، ويثري عطاءه المادي ٠٠ انه الانسان العربي عبر تاريخه البعيد وحاضره ومستقبله ، هو الصانع الوحيد ، يمتزج بأرضه ومناخه ، وبالطبيعة المتلونة الممتدة من صحارى قلب الجزيرة وسيناء ذات المزاج الثقيل الى أطراف اليمن السعيد وحتى البساط الاخضر الممتد من أرض السواد وأشجار الارز ودلتا النيل ٠

أما الجبل والنهر والبادية والمدن والحيوان من ناقة وجمل وفرس ، فانها تتحول الى اشارات ورموز ذات دلالات ، يستنشق منها الشاعر ملء رئتيه ثم يتمثله في دمه ، ويمرره عبر قنوات حسه المرهف ووجدانه النابض وخياله الواسع ٠ وان النظر في العوالم الشعرية يكون في درجة من البعد واختراق السجف بحيث يتجاوز الباحث حدود العالم الواقعي الملتصق بالشاعر ، والذي يتناول الشاعر منه خاماته واوليات عمله ليذهب الى العــالم الثاني المنشود ، كما يفعل علماء الفضاء اليوم ، وهم يجمعون من باطن الارض مواد مركبتهم الفضائية لتنطلق عبر الاثير الى عوالم جديدة ٠ فالشاعر القديم صانع قدير ، فمن هذه المواد الاولية التي يعمل على تجميعها وتصنيعها ، تخرج من بين يديه صورة وفكرة وثقافة وحياة ٠٠ وها هنا موضع الاعجاز في الشعر الجاهلي ٠٠ أن تصبح الناقة والجمل والفرس وحجارة الطل وخيمة القبيلة ودرعها وسيفها ورمحها وكل جرم صغير أو كبير من أجرام السماء والارض ، تتحول الى حياة وثقافة وفكرة ٠ فلو لم تكن هذه الخامات هي الحيثيات التي منهــا يشيد الشاعر قصوره وقلاعه واسوار مدنه الكبيرة ، فمن أين يأتي بالمواد الاولية المطلوبة ، وهذا هو عين الالتزام الذي ننادي به اليوم ، وهو أيضا الاعجاز الذي نفتخر به ، ألم نقل عن القرآن الكريم بان من وجوه اعجازه أنه نزل بلغة العرب ومن نفس معانيهم وأخيلتهم ومكونات ثقافتهم وتاريخهم وما يحيط بهم ، ثم تحداهم أن يأتوا بمثله ، فوقفوا مندهشين ، وهم من هم لغة وبلاغة ، تتوزعهم عوامل الضعف والهوان تجاه هذا الكــلام الجليل المعجز ، ولو فتشت في أوليات مواده لوجدتها حديثا عن حياتهم وحياة حيوانهم : بقرة أو نــاقــة أو فرس ، ونباتهم وأرضهم وسمائهم وقصصهم وأساطيرهم ، وكانوا يعرفونها ويسمعون عنهــا من آبائهم ، ثم في الشرائع الاسلامية الجديدة التي هي قلب الدين الجديد وسر عظمته وسيرورته ٠ والشعر الجاهلي يتناول بلغته وموسيقاه هذه الخامات ، وكذلك شرائعه الوثنية وشعائره الرمزية في المروءة والكرم والشجاعة والخمرة ٠ ومن هنا ظهرت نظرية الكتاب والباحثين الاسلاميين في الاساليب والافكار السهلة الممتنعة ، فجميع ما في العالم الخارجي من مظاهر الكون والطبيعة والجماد والحيوان والبشر في امتزاج غريب

---

(٧) لذلك نحن لا نؤيد ما ذهب اليه الدكتور جواد علي في مفصله ١/٢٩٠ طبع بيروت ١٩٧ حول هذه التحديات والضغوط وأثرها في حضارة العرب الفكرية ٠ تراجع استنتاجاته ٠

ولم أجد ضرورة منهجية في وقفة شمولية تاريخية لهذا العصر ، فذلك من صميم عمل المؤرخ ، وليس وراء استطراده كبير نفع ، وان كنت أعتقد جازما بأن هذا العمق هو الظهير الذي يتزود منه الشاعر بمقومات أصالته ، ومنه يستمد أثرى معطيات مهنته ، وأمضى أسلحته · وخير لمن يبحث في ثقافة الشاعر الجاهلي ، أن يجمع عينات من هذا التاريخ ، وهي عينات تكون بمثابة نقاط مضيئة في مسيرة الامة ، نلتقطها في صورة الهام مشرق من الثروة الشعرية نفسها ، لا من كتب المؤرخين والاثريين لنقابلها بنظيراتها في الشعر ، بل ما فعلناه هو العكس تماما ·

ولقد سبق لي أن بينت في بحث سابق بعنوان : الشعر والتاريخ[٤] ، بأن الشاعر لا يأخذ من التاريخ الا بمقدار ما يمده بزخم المعاصرة والرؤية المستقبلية ، بل ان الشاعر المعاصر يتعامل مع أحداث عصره بنفس هذا المنطلق ، لان الشعر استبطان لمستقبل مضى أو تطلع نحو ماض يأتي ·· يوم كان الماضي حاضرا ، ويوم يكون المستقبل ماضيا ·

وأما التاريخ فهو محض وثائق ومدونات ترتبط بزمن وواقع ، فاذا انتهت هذه الوثائق انتهى التاريخ المدون ، وبدأ ما هو اسمى ·· انه الشعر · وان عمل الشعر يبدأ حيث ينتهي عمل الوثيقة ، فهو عمل الامة ··· والشاعر وجدان غامض في أعماق الامة ، يكتب سيرتها الذاتية ، ويمزجها في عالمية متفتحة مع الانسانية ·· وعندما يتوقف التاريخ عن الكتابة تبدأ الامة الكلام بلسان الشعر ·

ولست واجدا في حديث الباحثين من مختلف الكتاب أو المؤرخين أي صدى في الدراسات الادبية المسؤولة ، ذات الاهتمامات العلمية ، نقدية أو تحليلية ، ولا يمكن أن يجد هذا الصدى أي موضع لنفسه فيها ، وبالاخص صيغهم حول البداوة والحضارة[٥] · وما يترتب عليهـا من الفـروق الفردية أو الجماعية في الخلقة والخلق أو النشاط أو الذكاء ، فحجم العملية الشعرية لا يتأثر ببيئة ولا يتفاوت في حدود الجودة والاتقان يوحي من زمان أو مكان · فالحضارة تضيق والشعر يتسع ، وقـد تتسع الحضارة ، والشعر يضيق ، مبـدأ أقره علماؤنا الامة الواحدة ، الا بمقدار ما أعطت المدينة لشاعرها من أداة يبدو ظاهرها مغايرا من قبل[٦] · فالعقلية العربية في العملية الشعرية واحدة ولا تقبل التجزئة في بعض الشيء لاداة الشاعر الموغل في البادية ، والمغرب في أعماق الصحراء · ويظل الجوهر متحدا والفكر واحدا في كل الاحوال · حقا تبدو على سيماء امية بن ابي الصلت ملامح نبوة مزعومة الا أنهـا في الوقت نفسه تعلو سيماء لبيـد ابن ربيعة الشاعر البدوي ، أو أي شاعر مثلهما يسكن وادي الرافدين ، تنبسط

---

(٤) نشر هذا البحث في مجلة الاقلام في العدد [١١] سنة ١٩٧٤ ·

(٥) الانثربولوجيا وازمة العالم الحديث · تحرير رالف لنتون ترجمة عبدالملك الناشـف [القسم المتعلق بالفرق بين الثقافة والحضارة ، وفيه شرح واف] طبعة بيروت ١٩٦٧ وعلى هذا كما يذكر الدكتور خليل حماش – يوازي تعبير « الحضـارة » ، التعبير الانكليزي Cultur ويختلف عن Civilization تراجع مقالته بعنوان : آراء في الوزن الحضاري للغة العربية · أحد بحوث مؤتمر التعريب المنعقد في طرابلس بالجمهورية العربية الليبية في كانون الثاني ١٩٧٥ مطبوع بالرونيو ·

(٦) الشعر والشعراء ٦٣/١ تحقيق أحمد محمد شاكر [دار المعارف بمصر ١٩٦٦] ·

المنابع الثقافية الأولى للشعر الجاهلي

الدكتور عادل جاسم البياتي
كلية الآداب ـ جامعة بغداد

لقد راعيت في هذه الدراسة(٢) ، وهذا منهج مخطط له من قبل ، أكثر ما راعيت تجديد شباب الدراسات في الشعر العربي ، ليعود اليها رواؤها القديم ، يوم درس علماؤنا الاوائل الشعر الجاهلي ، لاول مرة ، وبالاخص منهم الجاحظ(٣) ، دراسة خلق وابداع ، تتجلى فيها روح المعاصرة ، ورؤيا متطورة الى موروث قديم • ولم تتوفر العقول المتممة لهذه الخطى الواسعة •

وأما ما يفعله الدارسون اليوم ، فهو امتداد لهذا المنهج المنبثق منذ القرن الثالث الهجري ، وبالاسلوب نفسه • وكان يحسن بنا بدلا من أن نكرر شخصياتهم العلمية في وجودنا ، لنعيد ما لا جدوى من اعادته ، أن نترسم الخطى الرائدة يومئذ ، طالما أن مناهج البحث العلمي قد نمت وتطورت ، ولان ما قاله الجاحظ وغيره في دراساتهم التي تعتبر حينذاك فتحا عظيما في عوالم البحث ، لم تكتمل اليوم وفق معطيات هذا العصر • فلقد نجح الرواد في شد جمهورهم الى تراثهم ، فلننظر نحن اليوم ، مع وفرة ما نحقق وننشر ، مكان جمهورنا منه ؟! والعلة في الدارسين لا في الجمهور • وان نشر التراث وبعثه عمل جليل ، ويكون اعظم قدرا ، واكثر جدوى ، يوم يقترب الجمهور منه ، يمد اليه يده المعطاء وفكره وروحه ، فيورق التراث وتنهض الامة •

ان الباحث المجدد هو امتداد للتراث الواجب نشره ، وغياب هذا الباحث معناه انفصام لامتداد الفكر الانساني للامة ، واختفاء لهذا التراث ، وتوقف لامد يطول أو يقصر عن تحسس وجودنا عبر ابعاد الزمن الثلاثة •• فالباحث المجدد يضرب بجدوره في الماضي ، ويضيء باشعاعه الفكري للمستقبل •

---

(١) ينظر في كلمة ثقافة Culture كتاب : ملاحظات نحو تعريف الثقافة • تاليف ت• س• اليوت ترجمة الدكتور شكري عياد ص ٣١ وانظر تعريف ادوار بيرنت تايلور Tylor للثقافة في كتاب « البناء الاجتماعي » للدكتور أحمد أبو زيد [الدار القومية ١٩٦٥] وانظر له أيضا كتاب تايلور ص ٤٩ ـ ٥٣ [دار المعارف ١٩٥٨] • وجعل رادكليف براون Brown الثقافة تعبيرا عن تجريد وغالبا ما يستخدم كتجريد غامض ، ليس عن أي شيء واقعي محسوس [الانثربولوجيا الثقافية للدكتور عاطف وصفي] ص ٦٥ وما بعدها [بيروت ١٩٧١] •

(٢) هذه الدراسة عبارة عن مقدمة ومقاطع من فصول لكتاب قادم نعده بعنوان : الشعر الجاهلي : منابعه ومكوناته •

(٣) كان الناس قبل الجاحظ مولعين باغراض الشعر وفنونه وأعاريضه ، مؤشرين ميدانه على سائر الميادين ، لكن الجاحظ بما كتبه ، جعل للدراسات النقدية التحليلية مكانة في نفوس الناس لم تكن مالوفة ، فاعاد للشعر فاعليته •

ب ـ باللغات الاوربية :

Arafat W.: An interpretation of the different accounts of the visit of the Tamim delegation to the Prophet in A.H. 9. BSOAS 1955.

Birkeland H. The Lord Guideth, OSLO 1956.

Buhl F.: Das Leben Muhammeds, trans. H.H. Schaeder, Heidelberg, 1955.

Caetani L.: Annali dell' Islam, I-II Milano 1905-1907.

Grunebaum G. Von: Muhammadan Festivals, New York, 1951.

Guillaume A.: The Life of Muhammad, Oxford University Press, 1955.

Hamidullah M.: "al-Ilaf au les rapports économico-diplomatiques de la Mecque pré-Islamique", Mélanges Louis Massignon, II, p. 293 seq.

———,: Muslim Conduct of State, Lahore, 1961.

———,: Le Prophéte de l'Islam, Paris. 1959.

Nöldeke T.: Geschichte der Perser und Araber Zur Zeit der Sassaniden, Leiden, 1879.

Oppenheim M. — Caskel W. Bräunlich E.: Die Beduinen, I-III, Wiesbaden, 1939-1952.

Rathjens C.: Die Pilgerfahrt nach Mecca, Hamburg 1948.

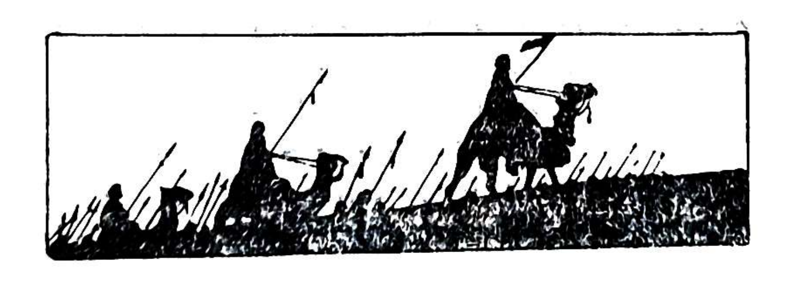
Rothstein G.: Die Dynastie der Lahmiden in al-Hira, Berlin, 1899.

Thilo U.: Die Ortsnamen in der altarabischen Poesie, Wiesbaden, 1958.

Vida G. Levi della: "Pre-Islamic Arabia" in N.A. Faris (ed.), The Arab Heritage, Princeton, 1944.

Wolf E.R.: "The Social Organization of Mecca and the Origins of Islam", South-Western Journal of Anthropology (1951), 330-337.

Wellhausen J.: Reste arabischen Heidentums, Berlin 1887.



مع الابعاد الزمنية الثلاثة والمكان وثقافة الامة بكل صورها واشكالها ، بحسب تفسير العلماء الانثربولوجيين للثقافة[٨] ، يتكامل في العقل البناء المثالي للشعر ، وتتوفر في اليد المحصلة العملية له .

ومما يلاحظ في الشعر الجاهلي شدة التصاقه بمظاهر الكون والطبيعة وبالجماد أيضا . أما الطبيعة فمنها المتحرك ومنها الساكن الصامت[٩] . وأقرب مظاهر الحياة اليه هو الحيوان ، الناقة والجمل والفرس والكلب والظبية والطير وحيوان الوحش ، الثور والبقر والذئب ، ومنها مخلوقات اسطورية كالسعلاة والغول وعنقاء مغرب ، واثيرية كالارواح والجن والشياطين . أما الجماد فتكاد كل ظاهرية أو كونية يكون لها موضع في الشعر الجاهلي : مسايل المياه ومجاريها ومساقطعها[١٠] والنهران والبحار ، والوديان والجبال والسهول والهضاب والرمال والحصى والحجارة ، حتى الحجارة المنصوبة في أعماق الصحراء [الصوى] وبقايا الطلول وآثار المدن الصغيرة الراحلة . ويأتي السؤال : لماذا هذا الاندماج والامتزاج ؟ انه العالم القديم ، يتعاون كله من أجل الوصول الى اكتشاف السر في حقيقته الغامضة . انه يبحث عن نفسه الغائبة ، وهو يبحث عنها في كل زاوية من زوايا الحياة والطبيعة والكون .

وقبل ان تتحول الآلهة الى رموز في شعر العصر الجاهلي[١١] ، كانت حقيقة ووجودا ملموسا ، وقبل أن تكبر الذات البشرية على جميع الذوات ، كانت تستمد نموها وتنشد كمالها من الذوات المحيطة بها . فلا غرابة في أن تقود الناقة عصرا بكامله ، طالما أن العلم استسلم لحقيقة أغرب منها ، فلقد قادت الغربان والكلاب والافاعي ، بل بغايا النساء مجتمعات انسانية عمرا طويلا[١٢] . وربما كان خضوع مجتمع واحد لظاهرة واحدة شيئا محتملا ، لكن الذي لا يحتمل ويدعو الى التمزق ، أن يتحول المجتمع الكبير الى مجتمعات صغيرة تسعى بعضها وراء حجارة منحوتة من جبل تقدسه ، وربما كانت غير منحوتة ، أو حول شجرة . وربما سارت قبائل بأكملها وراء جمل أسود أجرب تؤلهه[١٣] ، بينما ظلت قبائل أخرى تجري وراء كوكب مجهول يقطع عرض السماء ، مساء كل

---

(٨) ينظر الهامش رقم (٥) من هذه الدراسة .

(٩) يراجع كتاب الطبيعة في الشعر الجاهلي للدكتور نوري القيسي ٢٣ - ٩٢ وأفرد بابا للطبيعة المتحركة ٩٥ - ٢١٧ [طبع بيروت ١٩٧٠] والكتاب بعامته استوفى هذه المظاهر ، فهو استعراض لم يسبق اليه باحث .

(١٠) ينظر مثلا ديوان لبيد ٢٩٧ تحقيق الدكتور احسان عباس . الكويت ١٩٦٢ يصف الديار والجبل ومساقط المياه التي يقال لها : مدافع الريان :

عفت الديار محلها فمقامها ... بمنى تأبد غولها فرجامها
فمدافع الريان عرى رسمها ... خلقا كما ضمن الوحي سلامها

(١١) يراجع كتاب الشعر والمجتمع ، البحث الموسوم بـ « الأسطورة والرمز في الشعر الجاهلي » للدكتور عادل جاسم البياتي ص ٩٥ نشر وزارة الاعلام العراقية ١٩٧٤ .

(١٢) راجع جواد علي - المفصل ٥١٨/١ حول الطوطمية ورموز عبادتها وكذلك ٥٠/٦ حول عبادة الكواكب .

(١٣) أديان العرب ١٢٤ واورد حديث الرسول (ص) لوفد بني تميم : أنا خير لكم من الجمل الاسود تعبدونه .

اقتضابها لان الناس يومئذ كانوا على المام واف بها . واذا لم يكن في يد العربي يومئذ كتاب ، ففي يده ما هو اشد سحرا من الكتاب . في يده الشعر الذي عن طريقه كان يتوارث كل هذه المعلومات التاريخية التي اتفقنا على انها تسمو على واقعها برؤيتها الشعرية . ومن الغريب أن نجد من ينكر على الشعر الجاهلي حفظه لهذه المعلومات ، ثم يعود فيستشهد بباقة طيبة من الابيات الشعرية التي تضمنت الحديث عن هذه الاقوام البائدة ، والاسر المنقرضة .

لقد جاء هذا الحديث الشعري الموغل في أعماق التاريخ محمولا في أوعية الشعر المختلفة ، مترجما الى مختلف اللهجات العربية ، حتى استقر في اخر لهجة او لغة عرفها العرب في القرن الخامس للميلاد ، ولاتزال مألوفة الى اليوم ، بفعل ما استنبط لها من العلوم ، لتضمن لها عدم تطورها مع مظاهر الحياة والتطور ، فتمت المحافظة عليها من جهة ، ووقعت الخسائر في جهة اخرى ، وهو ما نسعى لترميمه الآن ، واعادة وجه الحياة المشرق ونبضات الابداع فيها فالشعر وأيام العرب والمأثور الشعبي من القصص والروايات والامثال ، حفظت هذا التراث ، ثم غاب عن الجمهور ، وعاد مرة اخرى مشوشا مضطربا في كتب المفسرين والمحدثين ، وأرباب الثقافة العربية المتنوعة .

وبالاجمال فان المكونات الاولى للشعر الجاهلي كثيرة متعددة ، واخص بالذكر منها ظاهرتين :

أ - يتناول الشاعر نقطة صغيرة يكثفها في صورة رمز موح خاطف من تاريخ البشر الذين سكنوا بلاد العرب .. وجودهم الروحي داخل شبه الجزيرة وتحركهم في أرجائها وتعاطيهم وتعاملهم معها ، ومع انفسهم ، وانقسامهم وانقسام شعوبهم وقبائلهم وحروبهم وعباداتهم ، واندثار أمة منهم ، وظهور أخرى ، وارتقائهم في الحضارة ، وهبوطهم في سلم الحياة بعد نكسة او انهيار او دمار ، وهذه اخبار اصطلح العرب على تسميتها « قصص العرب البائدة » . وما بقي من الشعر الجاهلي يعطي الماما بسيطا بهـا وبشخوصها ومواضعها أو اسماء الوقعات والاماكن ، ولا يعدم الشاعر من فكرة ينتزعها او موعظة تتردد في ثنايا الاسطورة ، لكنها في واقعها ذات طابع ديني جديد لانها مكتوبة و منقولة بمؤثرات اسلامية ، وانها افتقدت الاصل الوضعي ، اي اللغوي ، ثم تهدمت او تحللت في اسلوب القصاصين ومصنفي الكتب في العصور الوسطى ، وبخاصة بعد زوال الامويين ، حيث لم ترد من العلماء والرواة الاوائل الا اشارات واهية حولها ، بعكس الايام المنقولة الينا بلغة علمائها ورواتها الاوائل الذين امتدت اسانيدهم الى العصر الجاهلي ، ومع ذلك اصابت اللغة والمحتوى تغيرات كبيرة ، وهي مسألة طبيعية حيث يصيب التطور كل مظاهر الحياة الاجتماعية فيتطور المأثور الشعبي ليناسب شكل الحياة الجديدة ، وحتى الاعمال المثقفة تتطور الى مأثورات شعبية ، كالذي حصل لروايات شكسبير ولحياة جان دارك ، وان سيرة عنترة ، وهي وثنية لا جدال ، سحبت عليها غلالة زاهية من الافكار الاسلامية .

واننا نرى في هذه الاساطير اشكالا ملحمية ضائعة ، فسقط الشكل الفني

ثقافتنا اشعارنا ، كمن يبحث في الجذور عن الاصول ، فانها تستبقى لنفسها بعضا منها ، ونفك غوامض الاساطير ومعميات الامثـــال ثم ننظر الى مؤثرات خارجية قد نجد فيها خلاصنا من عناء البحث عن هذه الاصول الضائعة ٠ اننا نفعل ذلك لكي نقول للانسانية هاكم أوليتناضموها الى اوليتكم لتعرفوا تطور العلم والفكر الانساني ، فقد ظهر أن طفولة العالم متشابهة وادوارها واحدة ، لان الظروف الارضية والكونية واحدة ٠ والعرب أمة كبيرة ، فاعلة ، خلاقة ، شأن الامم الكبيرة على ظهر هذا الكوكب ٠

وتقسيم الامم الى طبقات ـ وذلك من ناحية القدم والتقدم في العربية ـ هو تقسيم لا نجد له ذكرا في الكتب السماوية أو الموارد اليهودية ، ولا في الموارد اليونانية أو اللاتينية أو السريانية ، ويظهر أنه تقسيم عربي خالص نشأ من الجمع بين العرب الذين ذكر انهم بادوا قبل الاسلام ، فلم تبق منهـم سوى ذكريات ، وبين العرب الباقين ، وهم اما من عدنان أو من قحطان[٢٢] ٠

واذن من الشعر استنبط الباحثون والمؤرخون هذه الاصول الطبقيـــة للعرب ٠ بائدة وعاربة ومستعربة ، الشعر هو الذي قال بذلك ، وليس وراء ذلك نقش ولا كتابة ولا عادية من العاديات ، ولا في الكتب السماوية القديمة ٠٠ ومن يحمل مجد الامة وامتدادها وانسابها غير ابنائها ، ومن أحسن من الشعراء حملا لهذه الامانة ، يتوارثونها حاملين اياها في صدورهم أناشيد شعب برمته عبر أجيال سحيقة في القدم[٢٣] ولن يقلل من أمر هذه الاصول أو الطبقات أنها لم تذكر في كتاب سماوي أو نقش ، فليس في هذه الكتب أنساب اليونان ولا طبقات الفرس أو الاصول الآرية ، ومع ذلك فلن ينكر أحد على هذه الامم أصولها الممتدة في ضمير الزمن ٠ وليست هذه الاصول فقط جاءت غفلا في التوراة ٠ بل التوراة لا علم لها بعاد وقوم عاد ولا ثمود وهود وصالح ، انما هي أحاديث عربية ، تحدث بها الجاهليون وليس لها ذكر في كتب يهود[٢٤] ٠

ولا نريد أن نخوض في مسألة جانبية ، ان كانت هذه الاحاديث متقدمة على التوراة فلم تدون ، أو أنها متأخرة جدا عنها ، عاشت بعد الميلاد في الغالب ، لسبب وجيه جدا هو أن العبرانيين دونوا كل ما لـه علاقة بهم[٢٥] ٠ والمهـم لدينا أن نعالج ما ذكروه من أن الكتب الكلاسيكية العربية الاسلامية هي أول من تكلم بهذا التاريخ ، وهذا التوزيع الطبقي للعرب ، وهذه الثقافة القديمة ٠ والسؤال الصعب الذي نقف ازاءه حائرين : من أين جاء حديث العلماء في هذه الكتب التي تفسر الآيات الكريمة التي ورد الحديث حولها مقتضبا ؟ انما جاء

(٢٢) جواد علي ـ المفصل ١/٢٩٥ ٠

(٢٣) سأل عمر بن الخطاب (رض) كعب الاحبار يوما : هل تجد للشعر ذكرا في التوراة ؟ قال : أجد في التوراة قوما اناجيلهم في صدورهم لا أعلمهم الا العرب ٠ كتاب العمدة ص ٢٥ طبعة رابعة ١٩٧٢ ٠

(٢٤) جواد علي ٠ المفصل ١/٢٩٩ ٠

(٢٥) جواد علي ـ المفصل ١/٣٠٠ واوغاريت للشيخ نسيب الخازن ٤٣/٤٤ [ط ٠ بيروت ١٩٦١] وتراجع مقالتنا في مجلة الكتاب ـ العدد [١٤] سنة ١٩٧٤ « الملاحم الغربية ومقارنتهـا بالملاحم الكونية » ٠

وغيرها ان تحمل اليهم الحرف المضىء لتزيح عنهم استار ظلمتهم • ان التاريخ بأنواعه يكتب بعيدا عن أية مؤثرات شعرية ، لانه وثيقة علمية مادية ، والشعر حوار الامة محمول في صدورها[١٦] •• الشعر سيرة ذاتية للتاريخ ، وليس التاريخ نفسه •• التاريخ جسد والشعر روح ، والجسد محدود المادة ومحدود الزمان والمكان ، والشعر امتداد اثيري واسع وكبير ، ليس وراء امتـــداده امتداد •

وقديما قالوا : الشعر ديوان العرب ، يعنون بذلك أنه سجل سجلت فيه أخلاقهم وعاداتهم ودياناتهم وعقليتهم ، وان شئت فقل انهـــم سجلوا فيـــه انفسهم[١٧] • ولو انهم نظروا حقا الى كلمة ديوان بما تعنيه من سجل للاخلاق والعادات والديانات والعقليات والثقافات لاعتنينا به ، لكن كان النظر اليه كمادة لتقييم اللغة أو تفسير لفظة وردت في القرآن والحديث ، أو كأنه طرفة ، فلم ينل العناية التي نالها الحديث ، لاسباب تخرج بنا عن هذا البحث[١٨] • ولم تصل الينا المحاولات الاولية للشـــعر لان مروياتهم انصبت على المحـــاولات الناضجة ، فضاعت معالم كثيرة كان بالامكان الانتفاع منها ، فضاعت معالم كثيرة للتاريخ والثقافة والانسان العربي[١٩] •

ونظرة عامة الى الشعر الذي وصل الينا في الجاهلية ـ وتاريخ أقدمه ١٥٠ سنة قبل بعثة الرسول[٢٠] ، تدلنا على أنه ليس متنوع الموضوعات كثيرا ، ولا غزير المعاني ، فمما يروى لنا من القصائد موسيقاه واحدة ، يوقع على نغمـة واحدة ، والتشابيه والاستعارات تكرر غالبا في أكثر القصائد : قلة الابتكار وقلة التنوع[٢١] • ويريد أحمد أمين بكلامه هذا أن يقول : لو توفرت الاوليات لعرفنا مراحل تطور الشعر الجاهلي ، كما عرفنا مراحل تطور الشعر الاسلامي ، لان الشعر الجاهلي يمثل عالما رائدا ، كان قائمـــا بنسه ، انتهى بظهور عالم جديد • كيف بدأ الشعر في العالم الوثني ؟ وكيف زال هذا المجد الدنيوي ؟ أمران مجهولان ! لكن كيف بدأ الشعر في العالم الاسلامي ؟ وكيف ظهر هذا المجد الديني وبرز ؟ امران واضحان كل الوضوح • وهذا مثال آخر : يتذكر الانسان طفولته كمن يحاول ان يستعيد الى ذاكرته حلما غامضا لامس جفونه مسرعا ، وربما ظفرت الذاكرة ببعض خيوط هذا الحلم ، لكنه في شيخوخته يتحدث عن صباه وشبابه بكل وضوح • هذا شأننا مع الشعر الجاهلي ، وربما عرف الانسان شيئا لا بأس به عن طفولته باستقراء الاحداث واستنطاق العاديات ، وبالتساؤلات والاستفسارات ، توجه الى الكبار والآخرين ممن حوله • فنحن نسأل عن طفولة

---

(١٦) الشعر والتاريخ • مجلة الاقلام العدد (١١) السنة التاسعة (١٩٧٤) •

(١٧) فجر الاسلام ص ٧٠ وتراجع مقالة الدكتور علي الزبيدي في مدلول كلمة (ديوان) مجلة كلية الآداب ببغداد العدد التاسع ١٩٦٦ •

(١٨) للاستزادة ينظر بحثنا في الرواية من كتابنا : الملاحم العربية [بالرونيو] وهو تحت الطبع •

(١٩) فجر الاسلام ص ٧٠ •

(٢٠) الجاحظ ـ الحيوان ١/٧٤ [الحلبي] •

(٢١) فجر الاسلام ص ٧٠ •

يوم ، والناس حيارى ضائعين تحت نوره يرمقونه في خضوع أو استسلام روحي غريب ، كما نفعل نحن نحن اليوم ، نرفع أبصارنا في حالة تناقض الوضع الانساني القديم ، بحثا وراء الكوكب نفسه ، باصرار وتحدي ، فينعكس هذا الشيء في اشعار معاصرينا ، وللسبب نفسه كانت ثورة الاسلام يوم وضعت احدث الحلول العلمية للمشكلات الانسانية المستعصية يومئذ على كل حل ٠

والذي يؤخذ على المشتغلين في حقل الثقافة العربية ، أنهم لدى تعرضهم لطبيعة العربي الجاهلي ومدى ايغاله في الثقافة والفكر ومظاهر الحضارة وسمات المدنية ، يصدرون عن حس غير سليم ، فيحكمون منطلقين من دائرة بحث تضيق بهم حتى لا تتجاوز رقعة نجد والحجاز قبيل الاسلام ، معتمدين كتب الكلاسيكيين العرب الذين بحثوا في هذه البقعة من بلاد العرب الممتدة الارجاء شرقا وغربا ، مستنطقين شعر الحجازيين والنجديين البدو حملة الفكر الوثني الحافل بضروب الميثولوجيا النابعة من طبيعة هذه المرحلة الانسانية ٠ ومن هنا كانت أوهام « أوليري » و « لامنس » وابن خلدون وحتى الجاحظ نفسه[١٤] ٠ ان خلط العربي الوثني في الجاهلية بالعربي الموحد في الاسلام خطأ ترفضه الاصول الاولية لمنطق البحث العلمي ، وان اغفال حضارة الجنوب بكل ألوانها ، بما فيها التغاضي عن أقدم سد ركامي في العالم العربي ، وربما الشرق ، وهو سد مأرب ، يضع علمية البحث وصدق نتائجه موضع نظر ، وقد يخرج به عن الصواب ٠ هذا ولا نريد أن نضيف الى الامثلة حضارة الحيرة ، وانجازات الغساسنة داخل اقطاعياتهم الزراعية ونجاحات التدمريين في أطر تنظيماتهم التجارية ٠

واذا قيست العقلية العربية بمحتويات المدونات الشعرية وقصص البطولة لملاحم أيامهم ، فماذا نفعل بالعاديات التي اكتشفت في مواضع متنوعة من أرضهم دلت على معرفتهم بكل أشكال الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية : شرائع ٠٠ مسكوكات ٠٠ عقود المعاملات التجارية ٠٠ الدخول في اتفاقيات سياسية وعسكرية مع العالم ٠ ان العقلية البشرية العربية تقاس بهذه المظاهر المادية المكتشفة ، لا بما يقوله لامنس « بان العربي ثائر على كل سلطة تحاول أن تحدد من حريته ولو كانت في مصلحته ، وهي السر وراء سلسلة الجرائم والخيانات التي شغلت أكبر جزء من تاريخ العرب »[١٥] ٠ اذن بماذا يفسر لامنس تاريخ الحروب الاهلية التي خاضها الغرب ومنهم قومه ؟ وماذا تعني المجازر الدموية التي نفذت على الشعب الفرنسي ابان نضجه السياسي وبوحي من فلسفة ثورته وعلى يد مفكريه وقادة هذه الثورة ؟ ولو أننا درسنا تاريخ الاثينيين والاسبارطيين في ضوء ملاحمهم الشعرية ، لكان حكمنا عليهم بانهم همج ليست فيهم ذرة دم حضاري ٠ هذا مع العلم بانه يوم كان أبناء هذه المنطقة يكتبون ، كان أبناء العالم الغربي يتخبطون في ظلام أميتهم ٠ ثم شاعت الوشائج من تجارة

---

(١٤) احمد امين – فجر الاسلام ص ٤٢ طبعة ثالثة ١٩٣٥ ناقش المؤلف هذه الاقوال وعاد اليها في الفصل الثالث ٠

(١٥) نفسه ص ٤١ ٠

به لغير الله • وفسر ابن الاثير هذا الحديث على الوجه الذي ذكرناه في تباريهم على العقر ، مع امثلة لرجال مسلمين يمارسون هذه الطقوس القديمة ، فنهى الاسلام عنها : لا عقر في الاسلام(٤٠) •

وهذا المعنى يظهر كثيرا في شعرهم • وظل تأثيره الى ما بعد الاسلام •

قال زهير بن أبي سلمى(٤١) :

بسط البيــوت لكي تكون مظنة … من حيث توضع جفنــه المسترفد

وقال المسيب بن علس(٤٢) :

أحللت بيتك بالجميــع وبعضهم … متفـــرق ليحــل بالاوزاع

وقال في الاسلام مهيار الديلمي يصف الاوائل(٤٣) :

نصبوا بقارعـــة الطريق قبابهم … يتسابقون بهـــا الى الضيفان
ويكاد موقدهـم يجــود بنفسه … حب القرى حطبا عـــلى النيران

وعلى هذا المعنى قول حاتم(٤٤) :

وأبرز قدوري في الفضــاء قليلها … يرى غير مظنون بهـــا وكثيرها

وقام الهدم بن امرىء القيس على قبر رجل كريم فقال(٤٥) :

لقـد ضمت الارزاء منـــك مرزءا … عظيم رماد النـــار مشترك القدر
حليما اذا ما الحــلم كان حزامـة … وقورا اذا كان الوقوف عـــلى الجمر

وهـذا البيت وبيت الهدم قبله يفسران لي مسألة القدور الغامضة التي حرص حجر أبو امرىء القيس على ايصالها الى ابنه بعد مقتله ، وفسرت لي ايضا ظاهرة القدور التي ظل لبيد ابن ربيعة الشاعر يخرجها كل يوم عاصف فيه ريح عظيمة ، فينحر ويطعم ليفي بشعيرة تتصل بالكرم هي المروءة ، فكان لبيد ينحر كل ما يملك حتى يفقر ، فينهض الرجال وأولو الامر منهم يصرخون : اعينوا لبيدا على مروءته • فتتوالى عليه النعم • ولما مات لبيد ، أوصى ان تحمل هذه القدور الى المساجد الاسلامية(٤٦) • وكان لبيد متكهنا في الجاهلية ، منقطعا للعبادة في الاسلام ، وان كان في شخصيته غموض غريب •

وتتصل بشعيرة الكرم ، شعيرة الفصد التي حرمها الاسلام ايضا ، وهو

(٤٠) اللسان : عتر • عقر • نحر •
(٤١) كتابنا : شعر الأيام ص ٢٧٦ [مطبوع بالرونيو] •
(٤٢) نفسه •
(٤٣) كذلك ينظر ما سبق •
(٤٤) كذلك ،
(٤٥) أبو علي القالي – الامالي ١٤٤/٢ •
(٤٦) أبو زيد القرشي – جهرة اشعار العرب ص ٣٠ (بولاق ١٣٠٨هـ) •

النقوش والكتابات والمخربشات القديمة ، ولا استطعت أن اقع على اصنامها ، ولست يائسا من هذا ولا مبتئسا ، لان افاق العلم تنفرج في المستقبل من جديد يحمل البشرى لارباب الدراسات الجديدة • وقد سرني ان أجد بين مئات الاصنام المكتشفة عن طريق النقوش ، وان لم يظهر وجوده المادي ، صنما يقال لـــه (حلفنن) ظهر اسمه في النقوش العربية الجاهلية ، وقد فسرت الكلمة بالحلف أو الحليف ، وذكرت في جملة نصوص تتعلق بحبس أموال أو عقود ، فلاحظ الباحثون ان اصحابها استعانوا بهذا الاله لانزال النقمة والعذاب واشد الجزاء بكل من يحاول ان يبدل تلك العقود والنصوص ، او يتجرأ فيستولي عـــلى الاموال والحبوس المقررة ، كما رجوا الاله ان يشملهم هم وجماعتهم برحمتـه ولطفه وكرمه لاخلاصهم له وفنائهم في حبه(٣٧) • وقد ورد هذا المعنى في جملة من ايام العرب واشعارهم ، منها ايام بكر وتغلب حيث اصطلح الحيان ، فجعل الحارث بن حلزة اليشكري يذكر القوم بحلفهم ذي المجاز ، وما آخذوه على انفسهم من يمين أو قسم ، وما ارتبطوا به مع الكفلاء ، بل حتى المهارق التي وقعوا عليها ، فقال(٣٨) :

واذكروا حلف ذي المجاز وما قدم فيه العهود والكفلاء
حذر الجور والتعدي وهل ينقض ما في المهارق الاهواء •

وورد بعد ذلك في معلقة زهير بعد العهود والمواثيق التي ابرمت ، فجعل الله شاهدا على كل خارج او خائن لهذا العهد في أيام عبس وذبيان(٣٩) :

فمن مبلغ الاحـــلاف عني رسالة وذبيان هـــل اقسمتم كل مقسم
فلا تكتمن الله مـــا في نفوسكم ليخفى ومهما يـــكتم الله يعلم
يؤخر فيوضـــع في كتاب فيدخر ليـــوم الحساب او يعجل فينقم

وهذا باب توسعت به ، وسأسوق لكم مثلا واحدا من مجموعة مشاهداتي الفكرية لبعض مظاهر الشعر الجاهلي ، وهي شعيرة الكرم الدينية الوثنية في العصر الجاهلي •

لم تظهر لهذه الشعيرة أصول عباداتها ، لكن رموزها الشعرية وبقـــايا الوثنية ظلت قوية في نفوس الجاهليين ، فرجل مثل حاتم الطائي يمارس مثل هذه الطقوس في رهبانية غريبة ، يكون بالضرورة مدفوعا بهاجس ديني قوي ، لا نعلم ان كان حاتم يعرف اصول هذا الهاجس الديني الوثني ام انه يعبـــد رموزا • لذلك أولع الجاهلي الوثني بالنحر والعتر والعقر كشعيرة ملازمـــة لهذا الطقس الوثني ، اندرجت تقليدا وغفـــل عن أصلها ، ولذلك أيضا يقرن الكرم بكثرة النحر ، وتروى عنه القصص الغريبة ، فكان الرجلان في الجاهلية يتباريان في الجود والسخاء فيعقر هذا وهذا من ابله حتى يعجز صاحبه • وفي حديث ابن عباس : لا تأكلوا من تعاقر الاعراب ، فاني لا آمن ان يكون مما أهل

(٣٨) الانباري ـ شرح القصائد السبع ٣٧٠ دار المعارف بمصر ١٩٦٣ •
(٣٩) الاعلم الشنتمري ـ مختار الشعر الجاهلي ٢٧٦ ت : عبدالمتعال الصعيدي •

معاوية بن عمرو أخو الخنساء الشاعرة لنفسه ، فيقتله هاشم فتقع الحرب وتبدأ قصائد الشعر ٠ وفي اخبار الاسلام في أول عهده – كما يذكر ابن حبيب في المحبر(٣٥) – انه كانت في بيوت الاصنام بغايا كانت سببا في قيام ثورة ٠

واما قصة الاغتصاب او حق السيد المطاع بحسب تعبير نكلسن ، فهي تتجلى في يومين من ايام العرب : يوم اليمامة (طسم وجديس) ويوم الاوس والخزرج (الانصار قبل ان يكونوا انصارا) ٠ اما يوم اليمامة فان ملك طسم وجديس عمليف بن سام كان يفعل مثل فعلة جلجامش ، فهيجت النساء ، بصورة تراجيدية ، رجلا عظيما من القوم يدعى الاسود بن عفار ، فقتل الملك ٠ وأما أيام الاوس والخزرج فهي تبدأ بقصة استيلاء أحد الملوك على يثرب ، فكان يمارس نفس العادة الى أن خرجت على أحد عظماء القوم أخته ملطخة بدمائها من قبل ومن دبر ، كأنها بغي ، متعمدة لتوحي له بهذا المعنى ، كما فعلت أخت الاسود بن عفار ٠ فقال لها:انك اتيت امرا منكرا ٠ فقالت له : ان ما فعل بي وما يفعل بعذارى قومك كل ليلة لافظع ٠ فثار وقتل الملك والتجأ الى الشام ٠٠ ثم بدأت ايام الاوس والخزرج ٠

وكذلك يوم اليمامة ، وبنفس الاسلوب تبدأ ألواح ملحمة جلجامش ٠ والملاحظ ان البغي في جميع هذه الملاحم ، تؤدي دورها سواء بطريق مباشر جدا او بالقاء ظلال باهتة على البداية ، كما في اليومين الاخرين ٠ وفي الامكان وضع جدول مقارنات(٣٦) بين جلجامش واحد يومي العرب المذكورين ، لتتوضح الدورة الثانية لهذه الملاحم العربية ، مع التنبيه على ان الملحمة الاولى متكاملة ، ويوم اليمامة مفقود ، ليس لنا منه سوى شذرات في الكتب(٣٧) ٠

ولا أريد ان أطيل فاذكر كل مظاهر الثقافة التاريخية في الشعر الجاهلي وارتباطها جميعا في ادابنا القديمة ، فهذا ما لا يتسع الموضع له هنا ، لكنني أعطي تلميحا فقط الى ما ذكره هيرودوتس في تاريخه عن قصة ثورة وقعت في بابل ، تشبه في تفصيلاتها قصة الزباء وانتقام الوزير قصير الذي جدع أنفه ودخل المدينة بجيش عرمرم أخفاه في جواليق وحمله على ظهور الابل ، يعيد الى الاذهان قصة حصار طروادة ٠

ب – وأما الظاهرة الثانية في المكونات الثقافية للشاعر الجاهلي فهي تنبعث من عبادة هذه الرموز المتجلية في الشعائر الوثنية والمتمثلة في الشجاعة والمروءة والوفاء والكرم ونصرة الجار والحليف والضعيف والعفو عند الظفر والمقدرة واتلاف المال في الخمرة ونحر الابل وعقرها وعترها ، وما يترتب على كل شعيرة من هذه الشعائر التي انتهت الى الشاعر الجاهلي رموزا دخلت شعره معنى ساميا رفع به قوما وحط اخرين ٠

ولم اهتد للان الى وجود مادي لهذه الشعائر ، ولا عثرت لها على اثر في

---

(٣٥) ص ١٨٤ ٠

(٣٦) انظر كتابنا : الملاحم العربية وفيه جدول واف بالمقارنات ٠ [تحت الطبع] وهو مطبوع بالرونيو باسم : شعر الايام الجاهلية ص ١٤٩ ٠

(٣٧) جواد علي – تارخ العرب قبل الاسلام ١٤٣/٥ طبعة بغداد [المجمع العلمي] ٠

ويوجد في التوراة من يقال لهم العناقيم[٢٩] لعل الاسرائيليين أدخلوها في أسفارهم متأثرين بالتاريخ العربي القديم[٣٠] .

وتروى عن عوج بن عناق هذا ، كما تروى عن غيره من العماليق الذين سكنوا أرض العرب وغيرها من بلاد الدنيا ، أعاجيب ، فذكروا انهم كانـوا يجتازون السهول العظيمة بخطوات قليلة ، ويعبرون أعظم الانهار ، ويتسلقون أعلى الجبال . وذكروا عـن أم عوج أنها كانت هائلة مخيفـة ، كل اصبع من أصابعها ثلاثة أذرع في عرض ذراعين وفي رأس كل اصبع ظفران حديديان مثـل منجلين . وكـان موضع جلوسها جريبـا من الارض ، وهي أول من بغى على الارض وعمل الفجور والسحر وجاهر بالمعاصي ، فأرسل الله عليها أسودا كالفيلة وذئابا كالابل ونسورا كالحمر فقتلوها[٣١] ، وهذا هو التأثير الاسلامي في أعادة كتابة هذه القصص ، فقد كان الغرض هو طمس معالم الاسطورة وتحويلها في صالح الفكر الواقعي الجديد . فمن العسير على مثلي أن يصل الى الجذور وقد علتها ركامات العصور . لكنني استطعت عن طريق الشعر أن أصل الى جزء من هذه السمات المختفية . فلقد وقعت صدفة على وجوه التقاء ، أشبه ما تكون بدوره Sycles ملحمية لتقاليد شعرية استوطنت المنطقة العربية ، توارثها الموهوبون على مدى الدهور . ولعل ابرز وجوه الالتقاء هي (قصة الاغتصاب) على حـد تعبير ساندرز[٣٢] و (حق السيد المطاع) كما يطلق عليها المستشرقون[٣٣] . وبالنسبة لملاحم أيام العرب[٣٤] ، حيث كانت للملك او السيد العظيم من التقديس والمنزلة ، أن كانوا يقدمون لهم كل عذراء تزف الى عريسها ، فينال منها الملـك ويفتضها في الليلة الاولى ، وتزف بعد ذلك الى أن وقعوا على من يصارعه أو يقارعه ، عندما وقعوا على أنكيدو ، الانسان المتوحش في الصحارى والقفار ، يعيش مـع الحيوانات البرية والوحوش . وتمضى القصة في وصف الحالة الفظيعة التـي كان جلجامش بموجبها يمارس حكمه وعاداته في اغتصاب عذارى شعبه على انهن حق مشاع له ، حتى استطاعت احدى بغايا المعبد ان تتقرب من أنكيدو لتنقذ حرائر النساء من هذه العبودية ، وكانت البغـايا مقدسات في المعبد السومري ، ومثل هذا المظهر – اي البغايا – يلوح لنا في يوم حوزة من أيـام العرب[٣٤] ، حيث يمتلك هاشم بن حرملة بغيا يقال لها اسماء المرية ، فدعاها

---

(٢٩) حسن ظاظا [دكتور] – الساميون ولغاتهم ص ٧٠ مصر ١٩٧١ .

(٣٠) يراجع الهامش (٢٥) حول المصادر التي تحدثت عن الموارد الاولى للتوراة ، وقد بينا بان العبريين كتبوا تاريخهم بأيديهم وزعموا أنه منزل من السماء ، وقد سرقوا كل المكونات الثقافية للفكر السامي الوثني فوضعوها في كتبهم ، لذا نحن نخطىء من يتهم مفسرينا بأخذهم من الاسرائيليات .

(٣١) ينظر طريق الميتولوجيا عند العرب ١٨٢ .

(٣٢) ملحمة جلجامش – المقدمة ٢٦ [دار المعارف بمصر] ١٩٧٠] ت : محمد نبيل نوفل وفاروق حافظ .

(٣٣) نكلسن – تاريخ العرب الادبي ٣٤ .

(٣٤) راجع قصة اليمامة في الاغاني ١١/١٦٥ [دار الكتب] والكامل في التاريخ ١/٢٠٣ منيرية . والأوس والخزرج – الكامل في التاريخ ١/٦٥٧ (بيروت) وان هشام ١/٥٥٦ وانظر ملحمة جلجامش ، نشرة وزارة الاعلام – بعناية طه باقر .

المتطور ، وهو وجهها الشعري ، وبقي الجذر الاسطوري ، خلاف ما في يدنا من الملاحم السامية التي ضاعت أصولها الاسطورية ، وهي مسألة أهون من فاجعتنا بأدبنا العربي ، وقد التفت صمويل هنري هوك(٢٦) الى هذه الظاهرة فأخذ يصنفها تصنيفا عميا واضحا ، بان أجرى لها عملية فرز دقيقة ، فرد أصل كل ملحمة بابلية الى جذرها الاسطوري السومرى ناظرا في الواح الملاحم وما وقع عليه من الواح الاساطير ٠

واذن فقد اندثرت قصص العرب ، وغاب عنها وجهها الملحمي ، ولم يحفظ الفلكلور الا بقايا او جذور القصة ، وهو أصلها الاسطوري ، وضاع وجهها الشعرى المنشود ٠ ولا نعرف الاسباب المختفية وراء هذا الضياع ، وان كنا نقرر ، وليس ظنا ، انها الكتابة ومن ثم الاسلام ٠ فانعدام التدوين أو ندرته وراء اختفاء المدونات ، ولو كانت كثيرة لوصل بعضها ، ومنع رواية جزء أو قسم من الشعر الجاهلي وراء عدم انتشاره ، وهما سببان يعملان بقوة(٢٧) ٠

وهكذا لم يبق لدينا من الاساطير البائدة الا ترجمات رديئة جدا من لغات عربية قديمة في عهود وثنية الى لهجات شعبية في عصور اسلامية ٠ وكان اجدادنا الساميون أسعد حظا منا في حصولهم على الاساطير السومرية أصول ملاحمهم البابلية ، ثم خلود ادبهم الى يومنا ، أما اجدادنا العرب فقد ضيعنا ملاحمهم الاولى ، وكذلك ملاحم الايام الاخيرة ، وضيعنا معها أساطيرها ، وظلت تتردد في الشعر الجاهلي مهزوزة الصورة وغامضة ، وتلوح من خلال كلمات الشاعر كأنها اصداء في ذهنه ، كالذي يسمعه عن عاد وثمود وطسم وجديس ٠

ولما كنت قد تطرقت الى طسم وجديس فلاسترسل قليلا ، متخذا منهما مثالا لاسلوبي في عمل هذه الدراسة ، وكذلك في معرفة المكونات البدائية للشعر الجاهلي ٠ تقول الاساطير : ان طسما وجديسا قبيلان عظيمان ، يقال لملكهما عمليق ، رجل ينتمي الى جنس من البشر كانوا يسكنون الارض قبلنا ، يقال لهم العماليق ٠ وهذا النوع من الثقافة البدائية موجود لدى جميع الشعوب البشرية ، حيث يعتقدون ان أرض بلادهم ، كان يسكنها قبلهم أقوام طوال ، عماليق ٠ فهذه قبائل السيوكس Sioux مثلا يعتقدون أن بلادهم كانت موطنا لعمالقة ضخام ، وهو نفس معتقد العرب القدماء ٠ أليس العملاق هاوكاه Ha-O-Kah هو نفسه عوج بن عنق أو عناق الذي يستطيع في زعمهم أن يعبر أكبر الانهار وأعلى الاشجار في خطوة واحدة(٢٨) ٠ وينتمي عمليق الى هذا الاصل

---

(٢٦) الاساطير في بلاد ما بين النهرين [نشر وزارة الاعلام بغداد ١٩٦٨] ٠

(٢٧) لقد نفذت على الشعر الجاهلي عملية تصفية وفرز قاسية جدا ، يلاحظ آثارها في كتاب ابن سلام وكتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة وغيرهما ، يضاف اليها اصلاحات لغوية وعروضية اجراها ابو تمام في الحماسة في ضوء فهمه الجديد للشعر العربي وأعاريضه ٠

(٢٨) احمد ابو زيد (دكتور) ـ كتابه عن تايلور ص ١٠٠ مصر ١٩٥٧ ٠

الى
صديق العمر ، ورفيق السلاح ،
البطل القومي ، والقائد الفدائي ،
الشهيد الدكتور
باسل رؤوف الكبيسي .

سلك ، طوعا واختيارا واقتناعا ، الطريق المؤدي الى الموت الاكيد المحتوم ، لانه اراد الحياة الحرة العظيمة للامة العربية الواحدة جمعاء . يوجد ما هو أعز واحب من الحياة ، وما هو أغلى واثمن من المال ، وما هو اسوأ واقبح من الموت . سواك ترك الديار ومخر البحار ، ربما ترفا واستمتاعا ، أو طلبا للعلم وحبا في الاطلاع احيانا . ولكنك اغتربت واجبا واستشهادا ، ولبيت نداء حبك الاعظم والاكرم والادوم والاقدم ، الحب القومي للانسان العربي . ما اروع ، وما أجمل ، وما أشرف ، بل ما اقدس ، أن يقف الثائر القومي والانسان العربي ، وقفة العز ، ناسكا زاهدا ، وصوفيا عاشقا ، ومحاربا وفيا وعنيدا ومتعصبا حتى الموت ، في محراب الامة ، وأن يهلك ، اذا هلك ، وقوفا كما يليق بالاحرار ، وليس ركوعا كما يليق بالعبيد . ولا نامت أعين الجبناء .

كن قويا يا صديقي :

رجع الباحث الى نفسه ، وسألها : لو أن بطلا شهيدا مثل الدكتور باسل رؤوف الكبيسي ، اقتحم حجب الموت ، واخترق جدران القبر ، وخاطب صديقا مجهولا ، وليس احدا معينا بالذات ، بل كل المواطنين من ابناء الامة العربية جمعاء ، وأجيالها الجديدة المتعاقبة ، فردا فردا ، وجيلا بعد جيل ، فماذا كان يمكنه أن يقول ؟ وجاء الجواب ، بالتصور الخلاق والخيال الثاقب والحدس المباشر ، كما يلي :

كن قويا يا صديقي :

كن — يا صديقي — راسخا شامخا مثل الجبل ... سريعا خاطفا مثل البرق ... هادئا صموتا مثل الصحراء ... ومدمرا محرقا مثل النار !

كن قويا يا صديقي ... واثقا من نفسك وامتك وتاريخها القومي وتراثها الثقافي وفجرها المشرق وشبابها المتجدد ، ثقة المعرفة العاقلة وليس ثقة الغيبوبة الجاهلة ... لا تسكرك الانتصارات بالغرور القاتل الزائل ، ولا تعميك بالاطمئنان الزائف والامان الكاذب والوهم الخادع والبريق المعسول ... ولا تهدك الهزائم باليأس والقنوط والتخاذل والاستسلام !

زعم الانبياء الكذبة والفريسيون المنافقون : ان الانسان الافضل قد ولد موضوعيا متجردا عاريا ، مثل الرخام الاملس الناعم البارد ، وعاقلا على مثال (العقلاء المخلصين) و (الوجهاء المعتدلين) و (الجهلاء المغرورين) من فرسان المنابر وابطال المجالس وهواة النظريات ... واكتشفنا من دروس الواقع وتجارب التاريخ وحقائق العالم : ان خير الفكر ، واعمقه واخلده وابقاه ، ما

فكم قلبنا الرأي على وجوهه المختلفة ، وكم تبادلنا وتجاذبنا اطراف الحديث ، وكم ذقنا معا ، الحلو والمر ، والفرح والحزن ، والامل والقنوط • حتى انتهيت حاليا الى وضع فريد من نوعه ، وغريب في بابـــه : اذا فكرت فكأنني افكر بعقلين ، واذا كتبت فكأنني اكتب بقلمين ، واذا تكلمت فكأنني اتكلم بلسانين • فهل تستغربون اذا احسست الان انه يخاطبكم بلساني ، ويحاوركم بعقلي ، ويحبكم بقلبي ، كما احبكم دائما بقلبه ؟ وهل تدهشون اذ اخبرتكم الان انني قد فقدت تماما القدرة على التمييز بين حدود وفوارق وخصائص الحياة والموت ، والحضور والغياب ، وان الالوان والظلال والخطوط قد اختلطت في نفسي ، وذابت في حقيقة كلية مشتركة واحدة ؟

كتب باسل بالدم ، ما اكتبه الان بالحبر • واعلن للدنيا بالاستشهاد ، ما اعلنه الان بالفكر • وضرب مثلا اعلى للبطولة القومية العربية ، اغلى واثمن من جميع الموارد والكنوز ، ستظل الاجيال الجديدة المتعاقبة في امتنا الصابرة الصامدة ، تذكره وتستوحيه وتحتذيه ، جيلا بعد جيل ، على كرور العصور ومرور الدهور • ولولاه ، لما كان للحبر الذى اسكبه من اثر ، ولا للفكر الذى اقدمه من معنى • واذا وجد من فضل في المساهمة المتواضعة التى انقلها لكم ، واعرضها عليكم ، فالفضل كل الفضل للبطل الغائب الحاضر ، الحي ابدا في امته الواحدة المجاهدة ، الذى رفع الفكر القومي باستشهاده من مستوى التعبير الاناني الفارغ السخيف ، الى مستوى الواجب التاريخي الجاد الخطير ، الملقى على عاتق المفكر العربي المعاصر • وجعل من اعلان الحقيقة ، التي سقط حبا بها ودفاعا عنها ، شرفا للانسان العربي المواطن المثقف المنتج المحارب الملتزم • رحمك الله يا أبا أحمد ، وجزاك خيرا عميما وثوابا مستحقا عن أمتك المظلومة • وسلام عليـــك ، مـــع يونس السبعاوي وعبدالقادر الحسيني وصلاح‌الدين الصباغ وعبدالمنعم رياض ، واقرانهم من الابطال العرب المتقدمين والمتأخرين ، في مواكب النور وقوافل الخلود ، جنبا الى جنب مع تلك الكوكبة الرائعة والباقة المختارة والطليعة الرائدة ، من الاباء الروحيين والاجـداد المعنويين والبنـــاة التاريخيين للنفسية العربية والارادة العربية والثقافة العربية والحقيقة العربية والامة العربية • والحمد لله ، ثم الحمد لله ، الذى خلقنا عربا ، وجدانا ولسانا وبيانا وعرفانا وايمانا • ولو لم تكن قد ولدنا عربا ، لما وددنا الا ان نكون عربا ، عقلا وقلبا وروحا ، فكرا وشعورا وعملا •

لا نامت اعين الجبناء :

وقد فرغ الباحث من تأليف كتاب كامل مستقل عن (فلســفة الرفض العربي) • واهداه كما يلي :

تقدمة خاشعة ودامعة ومتواضعة

وقفة العز وملحمة الفداء (١)

الدكتور حازم طالب مشتاق

الابطال لا يموتون :

ايها الاخوة الاعزاء(*) : افادت الصحف والبيانات في حينه ، ان باسل رؤوف الكبيسى قد مات • وقررت الطلائع والاجيال والجماهير انه روح لا تموت ، وشمس لا تغيب ، وملحمة قومية اسطورية لا تطوى ولا تمحى ولا تنسى • واذا احبته امته العربية واجيالها الجديدة ، حبا جما ، واحيت ذكراه ، فانما هي تحترم نفسها وتؤدي واجبها • لان الامم العظيمة فعلا هي الامم التي استمدت عظمتها من عظمائها ، ثم حققت درجة اعلى وارقى ، وصورة اصفى وانقى ، ورتبة اجدى واوفى ، من العظمة ، بتعظيمها المتجدد الدائم للعظماء والشهداء والابطال من ابنائها البررة الامناء الاوفياء • ما الموت؟ الموت ان يحيا الانسان جبانا رعديدا ، وصعلوكا متشردا ، وشحاذا مستعطيا ، ومتسولا ثرثارا ذليلا • ما الحياة ؟ الحياة وقفة عز واحدة فقط • وقد وقفها بفخر ، واختارها بشرف ، واقتحمها بالحكمة والفضيلة والشجاعة عن عزم وايمان واخلاص • طوبى للاحياء من الابطال الاموات • لان الابطال لا يموتون ، ولا يدفنون في القبور ، ولا يغيبون عن الامم والاوطان ، بل يعيشون في الاجيال الجديدة من الاحياء (املا ، وعملا ، ومثلا)(**) ، يلهمونها ويعلمونها ويقودونها ، استنفارا للعزائم واستنهاضا للهمم ، وتوحيدا للسواعد والقلوب • وتبا للاموات من الاحياء الاذلاء ، لانهم يأتون ويذهبون ، وكأنهم لا أتوا ولا ذهبوا ، على الرغم من المال الزائل والجاه الكاذب والسلطان الزائف والغرور الفارغ •

ولقد اسعفني الحظ ، واسعدني القدر ، فعرفته عن قرب ، وخالطته عن كثب ، دهرا طويلا ، بل عمرا كاملا ، طفلا وشابا فرجلا ثم قائدا فدائيا ، رافضا للعار والذل والهوان والاستسلام ، مقاوما للظلم والقهر والاغتصاب والعدوان ، وفيا للامة العربية وتاريخها القومي الحافل الطويل ، وتراثها الثقافي العريق الاصيل ، حتى وافاه الاجل المحتوم ، واختطفه الموت الغادر • فما خاب ظني ، ولا شعرت بالندم ، ولا وجدت في فكره وعمله ما دعاني الى الاسف ، في يوم من الايام ، على الرغم من غوائل الدهر وعوادي الزمن وضغوط الصراع •

(*) تليت في مقر اتحاد المؤلفين والكتاب العراقيين ، مساء يوم الجمعة الموافق ٢٤-١-١٩٧٥ في سياق محاضرة القاها الباحث بعنوان (باسل الكبيسي والمنهج الفلسفي للرفض العربي) •

(**) من كلمة بليغة رائعة ارتجلها الاستاذ بشير الخالدي عن البطل الشهيد في الامسية المذكورة •

دم يجعل في الامعاء بعد فصده ، ثم يشوى ويقدم للضيف على انه شرف عظيم له . قال عبدالله بن عنمة ، وهى مفضلية(٤٧) :

فباتت تعشيه الفصيد وأصبحت يفزع من هول الجنان فوادها

وتظهر هذه الشعيرة التى عرفها العبرانيون ايضا ، في يوم أسر حاتم الطائي ، يوم طلبت منه بعض النسوة ان يفصد لها ناقتها ، ولم يكن من مذهبه الفصد بل كان يؤدى للكرم شعائره المشهورة بالنحر والعقر والعتر ونحوها . فقال للنسوة من قصيدة في ديوانه(٤٨) :

كذلك فصدي ان سألت مطيتي دم الجوف اذ كل الفصاد وخيم

ولشعيرة الكرم ثالوث مقدس ظل شعراء الجاهلية يحلفون به ، تتصل بتقديس الملح والرماد والنار ، وهي اساس الكرم . قال احد بني شيبان في يوم ذي قار(٤٩) :

حلفت بالملح والرماد وبالنار تسلم الحلقه

وأراد بالحلقة دروع النعمان بن المنذر في يوم ذي قار .

وقال اخر في يوم اللوى(٥٠) :

لا يبعد الله رب الرماد والملح ما ولدت خالدة
هم المطعمو الضيف شحم السنام والقاتلو الليلة الباردة
هم يكسرون صدور الرماح في الخيل تطر او طاردة
يذكرني حسن آلائهم تفجع ولهانة فاقدة
فان يكن القتل أفناهم فللموت ما تلد الوالدة

واذا مات الكريم ، ارتفعت الدعوات ليسقى الاله قبره بالغوادي ، وهنا ارتباط رمزي بشعيرة اخرى .

بغداد
كلية الآداب

الدكتور عادل جاسم البياتي

---

(٤٧) شرح ابن الانباري على المفضليات ٧٤٧ .
(٤٨) انظر ديوانه ص ٥٣ والاغاني ٣٩١/١٧ وتوجد في الكامل في التاريخ ٣٦٩/١ منيرية ٦٠٧/١ بيروت قصيدة حول هذه الشعيرة ليست في ديوانه .
(٤٩) جمهرة النسب الكبير – مخطوطة لابن الكلبي ورقة ٧٢ .
(٥٠) نفسه .

صدر عن العمل ، وان خير العمل ، واعمقه واخلده وابقاه ، ما صدر عن الحب الجارف والحزن العارم والحقد المقدس والالم العظيم ! وان الثقافة الاكمل للانسان الافضل تقوم على الالم الاشد !

كن - يا صديقي - قويا ... لكي تستطيع ... أنت ... ان تقف ، رابط الجاش ، مرفوع الراس ، وثابت الجنان ، سورا وحصنا ودرعا وسيفا للحقيقة العربية ، كالطود الجبار ، الذي لا يميل مع الرياح ، ولا ينحني للاعاصير ... عندما اسقط ... انا ... في لحظة الفراق الابدي والوداع الاخير !

كن قويا ، فتعلم : ان مواجهة الحقيقة اصعب بكثير من مواجهة الرصاصة، وان الشجاعة في مواجهة الرصاصة تبدأ من الشجاعة في مواجهة الحقيقة !

كن قويا ، فتعلم : ان الحرية صراع ، وان الصراع تقدم ، وان التقدم حياة . لا صراع بلا حرية . ولا تقدم بلا صراع . ولا حياة بلا تقدم ! الويل ثم الويل ، ان اغرتك واقعية الذل ، وحكمة العار ، وفلسفة الضعف . وما البقاء الا الحق المسلح المنتصر في الصراع ، ناله وانتزعه وفرضه الانسان الاقوى بالحق والفكر والعزم والجهد والساعد ! المعركة هي مصيرك المزمن ، والحرب هي قدرك الدائم . فلا تقل : كتب علينا القتال ، وهو كره لنا ! ويل للانسان ، اذا تنازل عن مصيره ، وتمرد على قدره ! لانه ميت في النهاية ، وان ظل حيا في الاجل القصير والمدى القريب ! بل أعشق الحرب ، لانها قدرك . واطلب المعركة ، لانها مصيرك . واجمع الضرورة والفضيلة في حقيقة كلية مشتركة واحدة ! لا يولد المحارب عفوا أو عبثا أو اعتباطا ! بل أيمانا واستعدادا وسلوكا يوميا ، بالصبر الجميل ، والنفس الطويل ، والجهد الدائب ! ولطالما نمنا على احلام السلام ، فاستيقظنا على كوابيس الحرب والعدوان ! وقديما قيل : لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين . فلماذا نلدغ نحن مرارا وتكرارا ؟ ومن الحكمة والمصلحة والواقعية الحقيقية القاسية الصارخة ، اذا لم تنل ما قد رغبت من سلام ، أن ترغب ما قد نلت من حرب ! ما استسلمت امة مظلومة الى السلام ألا واستسلمت الى الموت ! هل يجوز ان نكون من الحمائم والحملان في عالم من الذئاب والصقور؟ او ان نطالب بالحق المسالم الوديع الاعزل، فتذهب ريحنا ، ويتبدد صوتنا في البرية ،مثل صرخة في واد أو نفخة في رماد ، في عالم ماجن مترف ، قد يعطف احيانا على الضعيف ، ولكنه لا يحترم الا الحق المسلح ، ولا يستمع الا للقوى القادر على الايذاء ؟!

ايه يا صديقي ! لم يخلق الحديد لكي يكون الانسان اسيرا . بل خلق لكي يكون الانسان حرا ! وليس المعنى الحقيقي الاشرف للحديد ان يحال الى سلاسل من الذل وقيود من الاستعباد ، بل ان يحال الى اسلحة للدفاع عن النفس والبقاء ، وادوات للبناء والارتقاء . وما اينعت السنابل في الحقول ، او تدلت العناقيد في الكروم ، او تفتحت الازاهير في المروج ، الا وقد روتها دماء الشهداء ، وحمتها سيوف الابطال ، ورعتها سواعد المنتجين . وتلك هي الملاحم الاروع والارفع والابدع للرخاء والازدهار والرفاه في جميع الامم وفي



١٩١٨ – ١٩٢٠

الدكتور كامل السوافيرى

عاش شاعر العروبة الكبير معروف الرصافي في فلسطين ثلاثة أعـوام حافلة بالاعمال زاخرة بالاحداث مشرقة الاصباح باسمة الامسيات سعد فيهـا الشاعر بصحبة أعلام الادب وأقطاب الفكر في فلسطين وفي مقدمتهم أديب العربية الكبير اسعاف النشاشيبي ، والمربي العالم الاديب خليل السكاكيني والباحث اللغوى عادل جبر ، وامتدحهم ، ونوه بصداقتهم وتحدث عما قابلـوه به من حفاوة وتكريم وعما لمس من اخائهم ووفائهم ورعايتهم وتقديرهم لشعره ٠

وعرف الرصافي أيضا في فلسطين رجال السياسة والدين والقضاء والقانون والعاملين في الحقل الاجتماعي وهذه الاعوام الثلاثة هي اعوام ١٩١٨ ، ١٩١٩ ، ١٩٢٠ وهي الاعوام التي وضعت فيها الحرب العالمية الاولى أوزارها وانتصر فيها الحلفاء على المانيا وتركيا ، وانهار بعدها النفوذ العثماني على البلاد العربية ، وأقتسمت كل من بريطانيا وفرنسا الاقطار العربية فبسطت الاولى نفوذها على العراق وفلسطين والاردن ، وفرضت الثانية سيطرتها على سورية ولبنان ٠

وقد أحاطت بحياة الرصافي في فلسطين سحب الغموض ولفتها طبقات كثيفة من الضباب وعلى الرغم من الدراسات العديدة ، التي كتبت عن الرصافي وحياته وشعره ، وعلى الرغم من المكانة العلمية المرموقة للدارسين والباحثين الذين تناولوا الرصافي ، ظلت الفترة التي عاشها الشاعر في فلسطين خفيـة المعالم ، غائمة الجوانب وحسبي للتدليل على ذلك ما جاء في البحث القيم الذي نشرته وزارة الثقافة والاعلام في جمهورية مصر العربية للاصدقاء الادباء الباحثين الثلاثة ، مصطفى السحرتي ، ومحمد عبدالمنعم الخفاجي ، وقاسم الخطاط تحت عنوان (معروف الرصافي شاعر العرب الكبير – حياته وشعره) اذ يقول السادة المؤلفون في الصفحة المائة منه انه ليس لديهم الكثير عن حياة الرصافي التي قضاها في القدس خلال ثلاث سنوات من سنة ١٩١٨ الى ١٩٢٠ ٠

فكيف ذهب الرصافي الى فلسطين ؟ وما الدوافع التي حدت به للذهاب ، وما العمل الذى زاوله ، وكيف قضى أيامه في القدس ؟ لذلك قصـة طريفة نوجزها في السطور الاتية ٠

في سنة ١٩١٨ عاد الرصافي من الاستانة الى دمشق بعد انهيار الحكم

الاعماق السحيقة والجذور الغائرة في الصحراء ٠٠ نــــداء القمم الشـاهقة المعانقة للسماء ٠٠ نداء النجـوم والكواكب والشموس البعيدة الدائرة في الفضاء ٠٠ نداء الارواح المطيفة والاجيال الغائبة والمعارك القديمة ؟

كن قويا اذن ٠٠ حتى اذا حان اواني ودنا أجلي ٠٠ وسألتني نفسي ، وهي موشكة على الرحيل ٠٠ اجبتها : انك ٠٠ انت ٠٠ تبدأ الان ٠٠ من حيث انتهيت ٠٠ انا ٠٠ وتشق دربك الى الامام !

لا تبكني - ايها الصديق - ولا ترثني ٠ اتيت انسانا ، وعشت رجلا ، وذهبت بطلا ٠ ونحن من قوم لا يعزون عن الموتى ، ولا يبشرون بالاحياء ٠ ولم اقم الا بواجبي ٠ فقم بواجبك !

آه ! ايها الصديق المجهول ! لو تعلم كم احبك ! لانني لم احب احدا او شيئا قط مثل حبي العارم للمستقبل !



حومة للصراع وساحة للقتال · وكل شيء للمعركة ، بالامس ، واليوم ، وغدا ، والى الابد ! تلك هي الصورة المثلى والغاية القصوى ، للحرب الكلية والفضيلة العسكرية ، في الامم الحية الظافرة !

فهل لازلت تحلم – يا صديقي – بتحويل السيوف الى محاريث ، وممارسة الحب بدلا من الحرب باعتبارها تسليتك الاثيرة ورياضتك المفضلة ومهمتك الوحيدة ؟ او تتوهم ان اغصان الزيتون وقصائد الغزل وعرائض التظلم والشكوى والبكاء ، هى الوسائل الصحيحة والاسلحة الضرورية والاساليب المرجوة ، للانتصار في الحرب ، والتحرر من العدوان ، واسترداد الوطن السليب والحق المضاع والشرف المثلوم ؟

اواه يا صديقي ! ما اكثر عدد الجنود في امتنا ، من المغرب الى المشرق ، ومن طنجة الى عدن ، ومن المحيط الى الخليج · وليتني أرى مثل هذا العدد من المحاربين بالفعل ! وما من فدائي سقط شهيدا ، الا وقرع – بالدم الطاهر المهراق – ناقوس الخطر وجرس الانذار ، وهتف في مسامع امته العربية المهددة بالموت ، المخدرة بالسلام ، والمشلولة بالترف المادي والرخاء لاقتصادي والازدهار المالي ، محذرا ومبشرا : استيقظي يا امتي ! استفيقي يا امتي ! انهضي يا امتي ! تحرري يا امتي ! ثوري يا امتي ! اتحدي يا امتي ! احملي السلاح وحاربي يا امتي ! اطلبي الموت فتوهبين الحياة يا امتي ! فمتى ، متى تبعث في أمتي ، روح آشور واسبارطا وبروسيا ، وروح الصين والفيتنام وكوبا ، وروح كاناي وذي قار والقادسية ونهاوند واليرموك وعين جالوت وحطين ، معا ؟

ليس اليتيم – يا صديقي – من فقد امه واباه ·· بل اليتيم من فقد وطنه وشرفه ·· وكلنا – نحن العرب – ايتام ، حتى نسترد برتقال يافا وزيتون حيفا وعكا ، حبة فحبة ، وروابي القدس والجليل والجولان والنقب وجنين ونابلس وطولكرم ، وكل فلسطين من النهر الى البحر ، واحدة فواحدة ! فهل اكتشفت – يا صديقي – الرابطة البيولوجية والعلاقة العضوية بين البرتقال والوطن ، وبين الزيتون والتاريخ ، وبين التراب والشرف ؟

كن قويا يا صديقي ··· فأعرف في قرارة قلبي ··· في اعمق اعماق وجودي ··· كما اعرف اطلالة الفجر ، وبسمة الطفل ، وروعة المغيب في صحرائنا العربية الواسعة الفسيحة ، الحبلى باعظم المعاني ، والمثقلة باعمق الدلالات ·· ان نشيدي الاعز ، الذى حبكته من دموعي ودمائي ، ونسجته من اشواقي واحزاني ·· فمزقه عدو يهودي ماكر غادر لئيم ، مثل لص خبيث متسلل في الظلام البهيم ، وأحاله الى شظايا واشلاء ·· قد ولد فيك مجددا ·· وعاد الى الحياة ·· نغما جميلا رائقا شائقا ، ولحنا ابديا شجيا خالدا ·· خلود الوطن ·· خلود الزمن ·· خلود الكون !

قل لي – بربك – يا صديقي : أما سمعت نداء الاحياء والاشياء ·· نداء

جميع العصور • ولو كان العالم قرية صغيرة ، والبشر امة واحدة ، كما زعم الزاعمون وارجف المرجفون ، فما حاجتنا اذن الى ركوب المركب الصعب والخشن والعسير ، وتقديم الوقت والجهد والمال ، بل الدم والروح والنفس ، دفاعا عن الحق والوطن والمصير ، وقتالا للعدو الشرس والغاصب المعتدي والاجنبي الدخيل ؟! ولعل الوجه الاخر للمنطق المذكور ، ان نتلقى الصفعة على الخد الايسر فنذير الايمن ، وان يحتقرنا ويكرهنا العدو حتى الموت فنحترمه ونحبه ، وأن يغتصب فلسطين والجولان وسيناء ، فنضمه بالاحضان ، ونمطره بالقبلات ، وندعوه الى الاستيلاء على دمشق والقاهرة وبغداد ايضا ، مادام الناس كلهم اخوة في نهاية المطاف ، والعالم كله وطنهم المشترك ومسكنهم الواحد ، ومادام كل انسان ، كائنا ما كان ، يمتلك من الحق في كل وطن ، بقدر المواطن فضلا عن الانسان الاخر ! هل نسيتم برج بابل وسفينة نوح ؟ وهل سمعتم بأمة حفرت قبرها بيدها ، واختارت الموت والانتحار طوعا واقتناعا ؟ لا تنسوا امتكم في محنتها ، فتظلموها مرتين ظلما مضاعفا • احبوها بل اعشقوها حتى العبادة • لانها هي كل شيء : البداية والنهاية ، الوسيلة والغاية • واحترموا سواها من الامم الاخرى التى لا تبادركم بالعدوان • ولا تنزل بكم الذل والظلم والقهر والعار والهوان ، ولا تضمر لكم السوء • ولا تبيت لكم الشر • واججوا شعلة الحقد المقدس حتى الموت ، وابقوها متأججة لا تخمد ولا تنطفيء . تلك هي قضيتي • وتلك هي أمنيتي • وتلك هي وصيتي !

كن قويا يا صديقي ، واعلم : ان الفدائي الذى سقط شهيدا في غارة انتحارية ، مهما كان باسلا وجسورا وجريئا وشجاعا ، ليس الا الشرارة الصغيرة ، والخطوة الرائدة ، والبداية الصحيحة ! لان المطلوب ليس البطولة الفائقة في فرد واحد او عدد قليل من الافراد • بل البطولة القومية في امة كاملة • وتلك هى غاية لا تدرك الا بكتائب انتحارية كاملة ، وفرق انتحارية كاملة ، بل جيوش انتحارية كاملة ، وغابات انتحارية كثيفة مرصوصة من الحراب والسواعد والصدور ، تحجب نور الشمس وتسد مرمى الافق ، وحروب انتحارية كلية لا تتوقف الا بالنصر او الموت ، ولا تعرف انصاف الحلول وارباع المفاخر ، ولا تجلس الى موائد الاعداء ، ولا ترتاد مواخير السياسة واسواق النخاسة وحوانيب الثرثرة — وليس في الفصائل الفدائية للمقاومة الفلسطينية فقط ، بل في القوات المسلحة النظامية للامة العربية جمعاء ايضا ، في البر والبحر والجو !

اسمعني — ياصديقي — وافهمني جيدا • فما خلقت كلماتي لكل اذن ، ولا افكاري لكل عقل • اعطني عقيدة فلسفية ونظرة كونية وايديولوجية كلية ، أعطك امة متحدة في السراء والضراء ، ونهضة قومية مخيفة ، وقوة عسكرية هائلة رهيبة ! كل الوطن ثكنة • وكل الامة جيش • وكل المواطنين مثقفين ومنتجين ومحاربين على استعداد دائم للتضحية واحتمال المسؤولية وتأدية الواجب • وكل العالم ، على امتداده ،

العثماني في الشام والعراق وانشاء حكومة عربية في سورية ، وتولى الملك فيصل مقاليد الحكم فيها يعاونه نفر من أبرز رجال العرب من سورية وفلسطين والعراق ويتولى ساطع الحصرى فيها وزارة المعارف ٠

عاد الرصافي الى دمشق والامل يحدوه في مستقبل باسم ومنصب كبير في الدولة العربية الجديدة لانه شاعر العرب لذى طالما ترنم بالقصائد الوطنية ، وطالما غرد وأطرب باmال العرب وأمانيهم ولكنه لم يظفر بما أمل ، ولم يفز بما كان يتمنى أن يفوز بـه بل أصيب بخيبـة أمل وأحس بالضيق والمرارة والاسى فهو لا يستطيع العودة للعراق لان القوات البريطانية كانت قد احتلته ولا يستطيع البقاء في دمشق لانه لا يجد وسيلة للرزق ٠ وضاقت عليه الحياة ، واسودت في وجهه الدنيا ، وترامت انباء ضيقه وشقائه في دمشق الى أصدقائه الكرام ، وأحبائه الاوفياء ففكر ثلاثة من اعلام الادب في فلسطين في انقاذه ، ورغبوا في اسداء الصنيع لـه وهؤلاء الثلاثة هم اسعاف النشاشيبي ، وخليل السكاكيني وعادل جبر ، وكانوا يومئذ يتولون تصريف الامور ، واختيـار المعلمين ، وتعيينهم في ادارة المعارف في فلسطين بعد الحرب الاولى وخضوع فلسطين للادارة العسكرية البريطانية التي أنهتها حكومة الانتداب سنة ١٩٢٠ ، وحولتها الى ادارة مدنية ، وعينت هربرت صموئيل أول مندوب سام لها ٠

دعا هؤلاء الثلاثة الكرام الرصافي للتدريس في دار المعلمين بالقدس ، فلبى الدعوة ٠ وغادر دمشق الى بيت المقدس ٠ ولقى في فلسطين من حفاوة اهلها ، وكرم ضيافتهم ، وطيب عنصرهم وصفاء جوهرهم وصادق عروبتهم ما جعله يمتدحهم ويطرى اخاءهم ويوحى اليه بالعديد من القصائد ٠

واوحت فلسطين للشاعر بالقصائد التالية في ديـوانه : دار الايتـام ص ٩٣ ، في سبيل الوطن ص ١٣١ ، في ايلياء ص ١٤٠ ، الحمد للمعلم ص ١٤٦ تحية سركيس ص ١٥٣ ٠ كما أشاد بالاعلام الثلاثة النشاشيبي والسكاكيني وعادل جبر وامتدحهم ونوه باخائهم ووفائهم وعواطفهم الكريمة نحوه حيث يقول من قصيدته الرائعة « بعد النزوح » التي نظمها في بيروت سنة ١٩٢٢ وكان قد غادر بغداد مصمما على الا يعود للعراق ٠ ومن هذه القصيدة تبـدو عاطفة الاسى والالم لما كابد الشاعر من دهره ، وما لقى من قومه من عقوق وتنكر لجهـاده وشعره :

١ ــ قد طال شكواى من دهر أكابده	أما أصـادف حرا فيـه يشكيني
٢ ــ كأنني في بـلادى ان نزلت بها	نزلت منها ببيت غـير مسـكون
٣ ــ كم أغرقتني الليالى من مصائبها	فعمت فيهـن من صبري بدلفين
٤ ــ انا ابن دجلة معروفا بها نسبى	وان يك الماء منهـا ليس يرويني
٥ ــ ويل لبغداد مما سوف تذكره	عنى وعنها الليـالى في الـدواوين

الى ان يقول :

٦ ــ خابت ببغـداد آمال أؤملها	فهل تخيب اذا استذرت بصنين
٧ ــ فليت سورية الوطفـاء مزنتها	عن العراق وعـن واديـه تغنيني

الوزن نفسه والقافية نفسها عنوانها « الرد على الرصافي » . وتاريخها في ٢٩-١٢-١٩٢٠ .

ويثبت في الصفحة نفسها أن الرصافي فارق فلسطين مضطرا بعد أن قام شباب فلسطين يهجونه على صفحات جرائدهم ولم تكن ردودهم محدودة بحد وهذه أبيات من قصيدة الرد على الرصافي للشاعر اللبناني وديع البستاني :

خطاب يهودا أم حجاب من السحر ... وقول الرصافي أم كذاب من الشعر
فريضتك من در الكلام فرائد ... وأنت ببحر الشعر أعلم بالدر
ولكن هذا البحر بحر سياسة ... اذا مد فيه الحق آذن بالجزر
عهدناك عباسا بوجه أعزة ... فكيف لقيت الذل بالعز والبشر ؟
ويا حضرة المندوب يا سامي النهى ... رويدك في نهي رويدك في أمر
وما انت بالراضي بلفظ منسق ... ولا أنت بالمدح الجزاف بمغتر
لقد كنت خصمي في البلاد وحاكمي ... فقدرك معروف وتعرف لي قدري
ومعروف معروف بمأسدة الشرى ... ولكن فرخ الوكر أعرف بالوكر
وقد جئت قبل اليوم مستفتيا لهم ... واياك أستفتي ومثلك من يدري
أنؤمن في بلفور بعد محمد ... وعيسى وموسى والوزير من الوزر ؟

غير ان الاستاذ رفائيل بطي يروى عن الشاعر نفسه فيما املاه على الاستاذ كامل الجادرجي في حديثه معه في يوم ٢٢-٩-١٩٤٤ نقلا عن مخطوطة رواية أخرى عن سبب مغادرته لفلسطين ملخصها أن حكومة عراقية برئاسة السيد عبدالرحمن النقيب كانت قد تألفت في العراق وكان من أعضائها طالب النقيب ، وأن خطة سياسية خطيرة وضعها الاثنان دفعتهما الى التصميم على اصدار صحيفة تخدم هذه الخطة وتذيعها على الناس ، وانهما اختارا الشاعر الرصافي ليكون محررا لهذه الجريدة واستعانا بصديق له في بغداد ليتصل به لهذا الغرض ولذلك تلقى الرصافي برقية من السيد حكمت سليمان أحد رؤساء الوزارات في العراق - تدعوه للعودة على عجل الى العراق لمسائل وطنية هامة - ورد الرصافي - مستفسرا - في برقية عن الصفة التي يدعوه بها ، وعن نفقات سفره الى بغداد فلم يجبه الاستاذ حكمت سليمان . وانما كتبت الحكومة العراقية كتابا الى المندوب السامي في فلسطين تطلب منه أن يعيد الرصافي الى العراق على نفقتها واستدعى المندوب السامي الشاعر وأطلعه على حقيقة الامر ووافق الرصافي على السفر وتسلم كتابا بالذهاب للسويس ليركب منها باخرة تحمله الى بلاده عن طريق الهند وسافر الرصافي للسويس معرجا على القاهرة منتظرا وصول الباخرة فلقى في القاهرة الوفد العراقي الذي زارها بصحبة السير برس كوكس المندوب السامي في العراق لحضور مؤتمر القاهرة لتقرير نظام الحكم في العراق واقترح كوكس على الرصافي أن يرجع معهم الى مدينة السلام ففعل .

هذه هي قصة حياة الرصافي في فلسطين - تناولنا فيها الدوافع التي حدت به للذهاب اليها وما لقي بين أهلها من ضروب الحفاوة والتكريم ، وما نعم به في صحبة غطاريفها الميامين النشاشيبي والسكاكيني وعادل جبر واسكندر

شهود الحفل الذين حضروه بدعوة من السيد راغب النشاشيبي رئيس بلدية القدس يومئذ فانشد الرصافي هذه القصيدة مسجلا ما قاله المندوب وشاكرا له وقد القيت القصيدة سنة ١٩٢٠ ٠ وفيها يقول الرصافي :

خطاب يهودا قد دعانا الى الفكر ... وذكرنا ما نحن فيه على ذكر
بمجد ما للعرب في الغرب من يد ... وما لبنى العبّاس في الشرق من فخر
لدى محفل في القدس بالقوم حافل ... تبوأه « هربر صموئيل » في الصدر
دعاهم رئيس القدس ذو الفضل راغب ... اليه فلبوا دعوة من فتى حر
ولما تناهى من يهودا خطابه ... وقد سرنا من حيث ندرى ولا ندرى
تصدى له « هربر صموئيل » ناطقا ... بسحر مقال جل عن وصمة السحر
فصدق ما للعرب من تالد العلا ... وما لهم في العلم من خالد الذكر
وزاد بان أوما الى ما لصنعهم ... على صخرة البيت المقدس من اثر
وقال وقد أصغى له القوم اننا ... سنرأب ما أثانه منكم يد الدهر
وننهضكم في منهج العلم نهضة ... مقومة ما اعوج فيكم من الامر
فكانت لهذا القول في القوم هزة ... سرورية من دونها هزة السكر
ولسنا كما قال الالى يتهموننا ... نعادى بنى اسرائيل في السر والجهر
وكيف وهم أعمامنا واليهم ... يمت بأسماعيل قدما بنو فهر
وانى أرى العربى للعرب ينتمى ... قريبا من العبرى ينمى الى العبر
هما من ذوى القربى وفي لغتيهما ... دليل على صدق القرابة في النجر
ولكننا نخشى الجلاء ونتقى ... سياسة حكم يأخذ القوم بالقهر
وهل تثبت الايام أركان دولة ... اذا لم تكن بالعدل مشدودة الازر
وها أنا قبل القوم جئتك معلنا ... لك الشكر حتى أملأ الارض بالشكر

والقصيدة في ٣١ بيتا في الديوان ص ٤٣١ ، ٤٣٢ ٠

وقد أثارت القصيدة غضب عرب فلسطين على شاعر العراق وضاعف من غضبهم ان المندوب السامي أمر بنشرها في كل الصحف المحلية التي كانت تصدر في فلسطين يومئذ لانه وجد فيها خير دعاية للانتداب فأخذ شباب فلسطين يهجون الرصافي على صفحات الصحف مما اضطره لمغادرة فلسطين ٠

وقد أرسلت دار الحكومة في القدس في ٢٩ كانون الاول ديسمبر سنة ١٩٢٠ كتابا الى الاستاذ نجيب نصار محرر جريدة الكرمل التي كانت تصدر في حيفا هذا نصه :

حضرة الفاضل محرر جريدة الكرمل في حيفا :

« لقد عهد الي ان ارسل لكم نسخة من الشعر الذي نظمه الشاعر المطبوع السيد معروف الرصافي لفخامة المندوب السامي بمناسبة الخطاب الذي القاه الاستاذ يهودا وقد تلطف حضرة الشاعر فوافق على نشر هذا الشعر في الجرائد المحلية ، لذلك نرجوكم أن تنشروه في جريدتكم الغراء » ٠

وفي الصفحة الرابعة بعد المائة من ديوان الفلسطينيات للشاعر وديع البستاني أثبت نص الكتاب السابق مع رده على قصيدة الرصافي بقصيدة من

(ذكر لي اسعاف النشاشيبي لدى اجتماعي به في مصر أن دار المعلمين في فلسطين افتقرت الى استاذ بارع للادب العربي ، وكان هو وزميلاه الاستاذ السكاكيني والاستاذ عادل جبر يتولون المهام في ادارة المعارف بعد الحرب العالمية الاولى ٠ وقد بلغهم ان الشاعر العراقي يقيم في الشام على مضض بعد حلوله فيها قادما من الاستانة غير موسد منصبا يليق بأدبه فاقترحوا انتدابه للتعليم في هذه الدار ، وكاتبوه في هذا الشأن فوافق على الاقتراح ، وقصد الى بيت المقدس ، واصاب في وظيفته الجديدة بعض الراحة والاستقرار) ٠

ويلقى الاستاذ بطي مزيدا من الاضواء على حياة الرصافي في فلسطين فيقرر ان ادارة المعارف قد خصصت له مرتبا قدره ثلاثون جنيها في الشهر بالاضافة الى سكناه في بناية المدرسة ، وتوفير المأكل والخدمة له ٠ ويروى الاستاذ بطي عن عادل جبر ان الرصافي كان يبعث بنصف هذا المرتب شهريا الى قرينته المقيمة في استانبول ٠ ٠

وظل الرصافي ينعم بالحياة في القدس ويسعد بصحبة اعلامها وأدبائها ومفكريها وتقام له حفلات التكريم ، وتنشد في تحيته القصائد ٠

وفي الصفحة الثانية والسبعين من كتابنا ، الاتجاهات الفنية في الشعر الفلسطيني المعاصر ٠ اوردنا نصا عنوانه الرصافي نقلا عن ديوان دقات القلب للشاعر اسكندر الخورى جاء فيه ما يلي بالحرف : ومناسبة هذه القصيدة ان نفرا من طلبة مدرسة الشبان الانجليزية في القدس أقام حفل تكريم لشاعر العراق معروف الرصافي في شهر حزيران ـ يونيه ١٩٢٠ واعد الشاعر اسكندر الخورى البيتجالى هذه الابيات لتلقى في ذلك الحفل :

شاعر العرب مطلقا لا يبارى ... مدهش مبدع بنحت القوافي
وأمير بذ الفحول قديما ... وحديثا حكما بلا استئناف
كم سقانا من شعره سلسبيلا ... قد رشفنا من فيه أي ارتشاف
أنا يا قوم حائر لست أدرى ... لست أدرى هل ذلك الوصف واف ؟
أنا عفوا أرجوكم وليصفح ... عن قصوري رب القريض الرصافي

نقول ظل الرصافي ينعم بالحياة ويسعد بصحبة اعلام الادب حتى أنشد قصيدته « الى هربرت صموئيل » التى أثارت عليه غضب عرب فلسطين وثورتهم ، وقد نشر الاستاذ نجيب نصار قصيدة الرصافي ورد الشاعر اللبناني وديع البستاني عليه وقد اضطر الشاعر العراقي بعدها الى مغادرة فلسطين والعودة الى بغداد حيث كانت القصيدة سببا مباشرا في تركه فلسطين ٠ وقد أوردنا القصيدة والرد عليها وقصة نظمها في الصفحة السابعة والسبعين بعد المائة الثانية من كتابنا « الشعر العربي الحديث في مأساة فلسطين » ٠ وتتلخص في السطور التالية :

« القى الاستاذ يهودا محاضرة تاريخية ذكر فيها مدنية العرب في الغرب والشرق ٠ ولما أتمها قام هربرت صموئيل المندوب السامي البريطاني في فلسطين يومئذ والقى على القوم خطابا موفقا وعدهم فيه وعودا سياسية سرت

٨ ـ قد كان في الشام للايام مذ زمن ذنب محتـــه الليـالي في فلسطين
٩ ـ اذ كان فيها النشاشيبي يسعفني وكنت فيهـــا خليـــلا للسكاكيني
١٠ ـ وكان فيها ابن جبر لا يقصر في جبر انكســـار غريب الدار محزون

أما قصيدته في ايلياء فقد أهداها الى فاضليها النشاشيبي والسكاكيني وقال فيها :

نزلت بايليــــاء عـــلى كــرام وخيم العيش عـــاد بهم مريا
فكدت بقربهم أنسى بــــلادي وأسلو «الطف» ثمة و «الغريا»
ولم أر كالنشـــاشيبي ندبا الى العليـــاء مبتـدرا جريا
فتى سعت المفاخر وهي عطشى الى ادابـــه فأصبن ريــا
تجدد في العـــلاء فكان بدعا فعاش بمصره رجلا طريا
وأحرز في الورى شـرفا رفيعا وصيتا في العـــلا اسكندريا

وبعد أن أطرى النشاشيبي مضى يثنى على السكاكيني في القصيدة نفسها قائلا :

ولم ار ســــيدا كأبى سرى ولا مثل ابنـــــه ولدا سريا
همــــا متشـــابهان فعبقرى من الآبـــــاء أنجب عبقـريا
أب في المجـــد أروع أحوزى نمى للمجـــد أروع احوزيا
الى الشــهم السكاكيني أهدى ثنـــاء لا يزال بـــه حريا
فتى غرس المكارم ثـــم منها جنى ثمر العـــلا غضا طريا
يعاف معاشــــه الا شـــريفا ويأبى المجـــد الا جوهـريا

ولما كان مطلع هذه القصيدة فلسفة سياسية ، وحمـــلة على السياسة العسكرية وكان الجيش البريطاني لا يزال يحكم فلسطين ، فقد منع الرقيب نشرها في الصحف . وعز ذلك على الرصافي وأوحى اليه بقصيدته « الحرية في سياسة المستعمرين » التي يقول منها :

يا قـــوم لا تتكلموا ان الـكلام محـــرم
نامـوا ولا تستيقظوا ما فـــاز الا النوم
ودعـــوا التفهم جانبا فالخــــير الا تفهموا
وتثبتـــوا في جهـــلكم فالشـــر أن تتعلموا
اما السياسة فاتركوا ابـــدا والا تندموا

فلم يسع الرقيب الا ان يأذن بنشر القصيدة

هذه جوانب من قصة سفر الرصافي الى فلسطين . يؤكدها ما ننقله للقراء عن الاستاذ رفائيل بطي في العدد التاسع من مجلة القلم الجديد الاردنية التي أصدرها صديقنا الاديب المعروف الاستاذ عيسى الناعوري وهو عدد مايو سنة ١٩٥٣ حول ذلك رواية عن الاستاذ اسعاف النشاشيبي .

الخوري وغيرهم الى أن انشد قصيدته « الى هربرت صموئيل » التي أثارت عليه نقمة أهل البلاد واضطرته الى مغادرة فلسطين الى بغداد ٠

وعلى الرغم من الرواية التي رواها الاستاذ بطي نقلا عما أملاه الرصافي على الاستاذ كامل الجادرجي حول سبب مغادرة الشاعر لفلسطين فقد أكد لنا عدد من اعلام فلسطين الذين عاشوا في تلك الحقبة أن مغادرة الشاعر العراقي لفلسطين كانت نتيجة للقصيدة وان عددا من شعراء فلسطين قد هجاه ٠ كما أكد لنا ذلك نفر من أعلام العراق الذين عاشوا وعرفوا الرصافي ورافقوا مراحل حياته وكفاحه ٠

نقول هذه هي قصة حياة الرصافي في فلسطين في غضون ثلاثة أعوام زاخرة بالاحداث من سنة ١٩١٨ الى سنة ١٩٢٠ لعلنا قد أضأنا جوانبها وكشفنا عنها ما تراكم من ضباب الزمن ولا نملك الا ان نتساءل عن الدافع الذى جعل الرصافي يقول ما قال ويستثير غضب أهل فلسطين ؟

ان تاريخ الرصافي زاخر بالكفاح في سبيل العروبة ومجدها وان شعره الذى تردد على ألسنة أبناء الامة العربية يشهد بصادق وطنيته فهل كانت قصيدة الى هربرت صموئيل زلة من الشاعر ، وكبوة من كبواته اذا كان ذلك فما أجدرنا ان نردد قول البارودى :

وأى حساب لم تصبه كلالة وأى جواد لم تخنه الحوافر

رحم الله معروف الرصافي ، وجزاه عن كفاحه في سبيل امته خير الجزاء ٠

القاهرة **الدكتور كامل السوافيرى**

تعليـــق

يبدو ان الاخ كاتب المقال قد فاتته نصوص مهمة ذات علاقة بالموضوع ، فاذا كان الدكتور ناصرالدين الاسد قد ذكر في كتـابه « محاضرات في الشعر الحـديث في فلسـطين والاردن » التي القاهـا على طلبـة قسـم الدراسـات الادبية واللغوية في معهد الدراسات العربية العالية بالقاهرة عام ١٩٦٠ ـ ١٩٦١ (ص ٩٩) من ان قصيدة الرصافي بمناسبة خطاب يهودا والرد عليها من أسباب اضطرار معروف الى مغادرة فلسطين لشدة ما أصابه من هجوم شبانها عليـه وهجائهم له على صفحات جرائد فلسطين ٠

فقد كنا تحدثنا عن هذه النقطة في محاضرة القيناها في رابطـة الادب الحديث في القاهرة عام ١٩٦٢ في مناقشة كتاب الصديق الدكتور رؤوف الواعظ المعنون « معروف الرصافي : حياته وأدبه السياسي » وقد نشرت هاته المحاضرة في شكل مقالة في مجلة الآداب اللبنانية عام ١٩٦٤ ٠

وللامانة التاريخية نقول ان ادق من جلى هذه النقطة من حياة الرصافي هو الاستاذ عجاج نويهض في مقال بعنوان « الرصافي كما عرفته » نشره في مجلة

له ‥ تزوج بها وانجب ‥ وبها ايضا أدركته المنية فجأة في ليلة شتائية ، ففارق دنياه : ما بها ومن بها ، مكدرا ، مأسوفا عليه ٠

أنا قيثـارة تغنـى ولكـن ليس من سامع رقيق غنائي
أخرست لحنهـا الليالـي والليـالي تجيئنـي بالأرزاء

ولكأنه كان يستشعر من خلال عقله الباطن ، ان المنية لا تباغته الا في الليل ‥ أي رزء أفجع واعتى ، هذا الذى يحمله الليل بين طياته ، ليطوح به حياة الانسان الفنان ابديا ، غير الموت الجبار القهار ‥ فتأخذ المأساة ابعادها ويتراكب الظلام على الظلام ‥

شعر ابي عفاف مرآة نفسه ‥ تشف عنه وتدل عليه ‥

والشعر ترجم عن حسي وعاطفتي بلا مـواربة منـي ولا فـرق
لان شعري مرآة قـد انعكسـت نفسي عليهـا بصدق غير منخـرق

كان ابو عفاف انسانا مفرط الحساسية ، يقظ الذهن ، لكن عصبي المزاج ، ينفعل سراعا بمـا يتخلل واقعـه وبيئتـه من منغصات ومفارقات ‥ وبما يرين على مجتمعه ووطنه من اجواء الانطلاق والانغلاق ‥ التطلع والتخلف ٠ كذلك كان يتأثر بما يتناهى على رحاب الطبيعة والكون من انواء واصداء ، وما يترسم عليها من لوحات ومشاهد فاتنة او خابية ، حتى اذا ساعفته تجربة الذات ، وعاونته بواعث الاداء الفني ، سكب ذلك كله في قالب شعري او اطار نثري يموج حركة وانفعالا ، ويفوح ارجا ورقة ، ويطفح صدقا وبساطة ، ولا يعيب هذا الاطار وذلك القالب في حالات ، الا كلال في الرؤيا ، او تجسيد مغال في الصورة ، او تهويل في التعبير ، لم يستطع ابو عفاف ان يتغلب على عوامل الضعف هذه ، لاستسلامه لسلطانها ، منذ وعى ذاتـه الشعرية المتوغلة في جذورها العميقة ‥

أأنت من ورق تالله قـد كذبوا فانت روح من الفردوس نادانـا
أأنت في معرض حقـا كما زعموا أم صرت في قلبي الخفاق شريانا
قد كنت كالبدر في اللألاء مؤتلقا هتكت في نـوره همـا واحزانا
وحومت فوقـك الارواح معجبة اليـك جاءت زرافات ووحـدانا
وهلل الناس في التكبير مذ لمسوا اوراقك الخضـر اعجابا وتحنانا
وقبلـوك بأشـواق مقدسة كمن يقبـل انجيلا وقرآنا ‥
كأن روحـا تمشت في براعمهـا ففتحت بيـد التكوين اجفانا

ثم يستطرد ابو عفاف قائلا :

فهل سمعت شكاة القلب مذ عصفت به يد الفن هـل حققت شكوانا
يشكو لك اليـوم اصـناما مسندة كل يقـول لقد اصبحت فنـانا
ليسوا من الفـن ان الفـن يمقتهم فحطمى انت اصـناما وأوثـانا
فالفـن فنـك لا فـن يضارعه قد طبت بالفـن تقديسا وعرفانا

شاعرية „أبي عفاف"

وحيدالدين بهاءالدين

في مطلع عام ١٩٧٢ توفي الشاعر سيفالدين الخطيب بن محمد سعيد الهيتي ، الملقب بأبى عفاف ٠ منذ ذلك اليوم احاول ان اقول في شعره كلمة انصاف ٠٠ غير ان مشاغل الحياة الدافقة ، ومتطلبات الفكر العاجلة ، كانت عقبة كأداء ، تقف قدامي دون تحقيق رغبتي ٠ ثم رحت احس بتبكيت الضمير ، وأغدو على تراخي الايام ، رازحا تحت وطأته ، لما كان للشاعر من منزلة في نفسي ، ولما كان له من دين ادبي طوق به عنقي على امتداد ربع قرن من الزمالة الادبية والوجدانية ٠٠

أردت ان يأتي كلاما عاما على أدبه : شعرا ونثرا ، فوجدت ذلك من ما ينسف خطتي العلمية التى اؤثرها واتبعها ، لصعوبة الوقوف على كل المراجع التي تعنيني وتعذر الاحاطة بكل الدوريات التي نشر بها ابو عفاف ٠

ثم اذا كان ما سلف سببا مهما في رأيي ، فان ثمة سببا اهم ينسحب على واقع ابي عفاف ٠ ذلك انه عانى من تقلبات الظروف وتناقض الاحداث غير قليل ، فكان ينقاد وراءها ، من غير رؤيا واضحة يلتفت بها الى الماضى : القريب او البعيد ، او يطل من خلالها على المستقبل ، القريب او البعيد بغية المقارنة تارة ، والنقد الذاتي تارة اخرى ٠٠ ومن غير خلفية سابقة يثبت بها وجوده في الاقل ٠٠

معناه : انه لم يكن له القدرة على الفكاك من تأثير الظروف والاحداث ، حين اقبالها وازدهارها ، لاضطراره الى الانسجام معها ، والاندماج فيها ، أو الثبات على موقفه منها ، بعد ادبارها وزوالها ، لتحاشيه نتائجها واصدائها ٠٠

كيما يصبح كلامي على جانب من جوانب أبي عفاف واضحا ٠٠ بائنا الى حد ممكن فقد ازمعت التركيز على شعره الغزلي والوصفي ، وهما أميز ما فيه ، تاركا الالوان الاخرى التي طرقها لمن يتصدى لها في المقبلات من الايام ، اذا ما اتيح له ان يعالج هذه الموضوعات رعاية لاهل الفكر والادب ، ووفاء لذكرى من قضى أو بعض من قضى منهم ٠

عاش أبو عفاف ستة وخمسين عاما ، أمضى معظمها عازبا باحثا عن ما يسد الرمق ، طاويا اشجانه ولواعجه بين جانحيه ، وهو يتنقل هنا وهناك ، متحسرا على ايام الصفاء التي ما ان تأتي حتى تتولى ادبارا ، ومتقلبا في عديد من الوظائف المتواضعة ، الى أن استقر به المطاف ، في مدينة كركوك ، فأتخذها مقاما محمودا

والادب في فلسطين وهم : اسعاف النشاشيبي وخليل السكاكيني وعادل جبر ٠ وكان أربعتهم ـ رحمهم الله ـ متلازمين ابدا لا يفترقون ، يسمرون كل ليلة في بيت خليل السكاكيني حيث تهيء لهـــم السيدة سلطانة (ام سري) أسباب الراحة البيتية وتشيع في مجلسهم روحا انيسا لطيفا ٠ وقد ظلت صورة السيدة سلطانة وعليها بيتان للرصافي معلقة في صدر دارة السكاكيني في القدس حتى آخر لحظة ، قبل ان تأخذ العرب الراجفة سنة ١٩٤٨ ، اما البيتان فهما :

أام سري انت سلطانة البهـــا … أطاعك منه ما عصى الناس اجمعا
ولم ير نقصا في محياك ناظري … سوى ان كل الحسن فيه تجمعا

« رئيس التحرير »



الفكر العربي ١٥ حزيران ـ ١٩٦٢ ـ العدد الرابع ص ٢١ ـ ٢٣ ٠ وفيه نقل عن عادل جبر صديق الرصافي الاول وصفيه المختار في القدس ما خلاصته :

« كان الرصافي والسكاكيني وعادل جبر يجلسون معا في صدر القاعة ٠ وانتهت المحاضرة وليس فيها مما ينتقد شيء يذكر ٠ غير ان الخيبرية أخذت تدب عقارب حلاوتها في فم هربرت صموئيل ، لما نهض يشكر المحاضر والحضور والمحاضرة ، ثم أخذ يتطرق الى ما في رأسه وينقر نقرات حساسة هي عنده بيت القصيد ٠ ومما قاله صموئيل : « ٠٠٠ والآن ما لنا وللذهاب الى الاندلس لنرى آثار العرب ، فهنا في فلسطين نجد من آثارهم الناطقة بحضارتهم ما ينطبق على صحة كلام المحاضر ٠ فتلك بلاد كانت للاسبان فقدوها ثم عادوا اليها ٠٠٠ » قال لي عادل جبر ما استطيع نقله بتمام حروفه تقريبا : « لمـــا نطق صموئيل بهذه العبارة ، صار الرصافي ، وهو بيني وبين السكاكيني يتكهرب ويتململ ، ثم راح يدمدم اشياء غير مفهومة ، وفي الواقع يقول عادل جبر ، شعرت أنا والسكاكيني بمثل ما شعر به الرصافي ، ولكننا كبتنا ما جاش في صدرينا ، اما هو فظـــل يدمدم ، وكاد يمتقع لون وجهه » ٠ ومغزى صموئيل : ان اليهود عائدون الى فلسطين عودة الاسبان الى اسبانيا ٠

وذهب كل الى بيته ، واعتكف الرصافي في غرفته الخاصة في دار المعلمين ، واستبد به القلق تلك الليلة ، وفي الصباح استفاق على قصيدة رد فيها على مغرى ما قاله صموئيل في اليوم السابق ولكنه ، وهو شاعر حر وليس بسياسي يألف الروغان ، رد على المجاملة بمثلها ، وبعد ذلك قال أبياتا كأنها جزء من العبوءة السياسية ، منها هذا البيت :

ولكننا نخشى الجلاء ونتقي سياسة حكم يأخذ القوم بالقهر

وبعد ٢٧ سنة شاء الله امتحانا للعرب ان تتحقق هذه الرؤيا ٠ ونشرت القصيدة في جريدة فلسطين لعيسى العيسى ٠ وسرعان ما اثيرت على الرصافي عاصفة هوجاء احتجاجا على ما قال من أبيات مجاملة ٠ والصحيح ان أبيات المجاملة هذه كانت زائدة على المقدار ، ولم ينتبه الرصافي الى ما في ذلك من شطط لا يفسر بانه من ضروب المجاملة ٠ ولكن العاصفة التي اثيرت عليه لم تكن تخلو هي الاخرى من شطط ، لانها كانت تريد النيل من راغب النشاشيبي من فوق راس الرصافي لاسباب حزبية محلية ٠ ولما ضويق الرصافي وهو الرجل الحساس ، نشر عادل جبر في جريدة « فلسطين » كلمة بين فيها ما للرصافي من حسن مقصد ، وحصر المجاملة في مقتضاها لا أكثر ، ونوه بمواقف الرصافي في سبيل العرب من أيام الاستانة ٠ فتلاشت العاصفة ولكن أثرها المر بقي في نفس الرصافي ، وبعد قليل انتقل الى بغداد » ٠

انتهى كلام الاستاذ عجاج نويهض ٠

★

جدير بالاشارة بالمناسبة ما ذكره الاستاذ سعيد العيسى (الاديب اللبنانية ـ اغسطس ١٩٧٤ ـ ص ٥٥) من ان الرصافي كان يلازم ثلاثة من أعلام الفكر

ويقول ايضا :

ونسجت بانفاس الجمال وعطره فضفاضة ترنو لها الشعراء
وشدت طيور الروض اغنية المنى فتمايلت من لحنها الورقاء
غنت بالحان القلوب قصيدة ان القلوب عواطف ودماء
حيت بها فصل الربيع وزهره فتضاحكت لغنائها الارجاء
وتثنت الازهار في افنانها طربا وصفق موكب وفضاء
وتفتحت اكمام ورد زاهر فتناثرت من حولنا الاشذاء
والعشب يحبو ضاحكا مستبشرا ويسير في مرح عليه المساء
جاء الربيع يميس في حلل الهنا نتبسمت لجلاله الغبراء

وللشاعر وصف لطيف عن « جلسة على الفرات » يقول فيه :

وفي الضفة الاخرى نخيل تسامقت بافنانها في الجو تسخر بالدهر
محملة بالتمر من كل رائق وهل يا ترى في الكون أحلى من التمر
ومن بينها الاشجار صفت كأنها عرائس فردوس باثوابها الخضر
وفي النهر قد طافت على غير موعد زوارق احلام بمنظرها المغري
وتنساب كالثعبان والموج هادىء هدوء العذارى في الكنيسة والدير

على ان ابا عفاف يطعم شعره الوصفي بروح الحكمة البالغة احيانا حد البديهيات ، وقد انسحبت على فكر الشاعر ، بكل ثقلها ، من خلال معاناته لتجارب الزمن وشؤون الناس . انظر اليه يقول في مقطوعة « نحن والحياة » :

سكت الهزار وزقزق العصفور والدهر يعدل مرة ويجور
والمرء بين تقدم وتأخر لا النور دام له ولا الديجور
والليل يعقبه النهار وهكذا سنن العوالم في الحياة تدور
فاذا هوى الرجل الكريم الى الثرى فالنسر يهوي عادة ويطير
والحزن مهما طال يمحقه الهنا ويجيء من بعد الشجون سرور
والموت نجزع كلنا لمصيره أو ليس من بعد الفناء نشور ؟
واذا المصائب في الحياة تضافرت فالى زوال كلها ستصير

فابو عفاف هنا يقف حكيما وليس فيلسوفا . فالحكمة يمكن ان يتعاطاها العامة ، أما الفلسفة فلا تستأثر بها الا الخاصة من الناس ..

* * *

اللغة الشعرية التي يصوغ بها ابو عفاف قصائده ومقطعاته ، لغة عاطفية اكثر منها عقلية ، واقرب الى الكلاسيكية منها الى اللغة المعاصرة ، لانها غير ملقحة بلغة اجنبية اخرى ، ولا واقعة تحت تأثير اسلوب ادبي واضح السمات .. وقد يكون مبعث هذا كله ، انه جمد على ثقافته العربية الاسلامية.. لم يجدد فيها ولم يتجاوزها الى التيارات والمفهومات الحضارية التي تستلزم الانتفاع بها والوقوف عندها ولو عن كثب .

من هنا ظلت لغة ابي عفاف حيث هي .. وبات قاموسه الشعري

أأنت انسية حقـــا كمـــا زعموا | ام انت من « عبقر » وادي الخرافات
ففي قوامـــك الغـــاز معقدة | حارت باســـرارها كل الحضارات
وهيـــولي رشـــيق راق منظـره | حتى نسينا به سحر الجميـــلات
وادملتنا لحـــاظ منك قاتلـــة | اهدابهـــا كســـيوف مشرفيات
وان صرعاك احيـــاء اذ قتلـــوا | وانهـــم في فراديس وجنـــات
وان نهديـــك قد قامـــا بلا حرج | يمثـــلان تبـــاريح الصبابات

وظل هذا الشعور العميق الوجيع باعراض الغيد عنه والتنكر له يراوده حتى النهاية من ما بلور عنده عقدة :

لم اتخذ في الحب آلهة ولم | أعبد بمحراب الهـــوى الاك
فعلام خنت بعهدنا وبنـــوده | وفرشت درب الوصل بالاشواك
وأدرت لي ظهر المجن جهالة | ونسيت ذكرانا فمـــا اقســـاك
فلئن تفرقنا وشط بنا الهوى | فالقلب يعبق دائمـــا بشـــذاك
ولئن تناسيت العهود فانني | وسواد عينك ســوف لا انســاك

* * *

أما الوصف فطرقه ابو عفاف لانه يعالج غرضا شعريا له صلة وثيقـــة بغيره من الاغراض ٠ ثم لان الطبيعة بالذات مهماز في توسيع آفاق الخيال لدى الانسان ، وتفتيق طاقته والهاب جذوة ذهنه ، وتحريك وجدانه نحو التسامي والبحث عن منافذ التعبير والتنفيس ، اضافة الى استشراف كل شيء جميـــل في الوجود والخلق ٠٠٠

هذا من جهة ، ومن جهة اخرى فان الشعر الغزلي لو امتزج بصـــور الطبيعة ــ وهو ما يحصل بالنسبة الى شعر ابي عفاف ــ من حيث الجوهر ، وتأثر بالوانها المختلفة ، واستعار منها ما استطاع اليه سبيلا ، كان اغزر معنى وابين وقعا ، وابعد قصدا ٠٠

ولطالما مزج ابو عفاف احاسيس الحب التي اختلجت باغواره بمناظـر الطبيعة وجمالاتها التي لا تعرف النضوب والخمود ، وما تضفيه على ذاتيـة الفنان شاعرا او ناثرا ، وهو يبدو في رحابها ، وقد نزع عنه قشور التزييف والتصنع ، وطرح عنه الافكار السود ، وعاد هادئا مطمئنا لا يثقله الكدر والضياع، بقدر ما يستغرقه الانشراح النفسي والنقاء العقلي :

طلعت من الافـق القريب ذكـــاء | والافق طـرزه ســـنا ورواء
ومحت خيوط الفجر ليلا حالكـــا | فتشعشع الاشـــراق والـلآلاء
وبدت تلوح للحيـــاة مواكب | خضراء تعبق فوقها الانـــداء
أو ليس فصل الورد اجمـل موسم | أو ليس فيه الحـب والايحـــاء
تنضو فيه الحياة رداء قاتمـــا | فتحيطها الانـــوار والاضـــواء
وتسـربلت فيـــه بأروع حلـــة | منها تغار الغـــادة الحسنـاء

تم يبدأ الشاعر من حيث انتهى ‥ ولكن بلا طائل ‥

ما سقته ليس الا مجرد تمثيل ‥

بمعنى ان هذا يجعلني اقول : ان حب ابي عفاف كان لاكثر من واحدة ‥ في وقت واحد او في اوقات متباعدة · ولن اجور لو زعمت انه كان في حبه مترددا ، متقلبا ‥ لعل لذلك كله ، قبل اى شىء ، اسبابا نفسية وشخصية ‥

كانت هناك « رباب · سلوى · ام العوينات · مديحة · موصلية · بهية · الهام · شحرورة » ومن اليهن ‥ اذ يسوق الى كل واحدة من هؤلاء مقطوعة او اكثر ، يبثها فيها اشواقه المستعرة المتشحة بالشكوى من غدر الدهر طورا ، وبالعتبى من صدود الحسان طورا اخر ‥ ثم يفصح لها عن تعلقه بها ، وتشوفه الى جمالها ومفاتنها ، واثرهما في ذاته ، الى ان يبوح لها بما يتوخى أملا في اللقيا العابرة ، او في تبادل المشاعر والتحايا ولو على البعد ‥ وهذا اضعف الايمان ‥

اذا كان ابو عفاف قال في قصيدته « سلوى » :

هــلا حللت من الجفــاء وثاقي — « سلوى » ستحرق خافقي أشواقي
فلئـن تناسيت العهــود فانني — وكما عهدت عـلى المحبـة باقي
لن اعدم الود الـذى سجلته — بـين الجوانح بالـدم المهراق
وســطوره الحمراء اكرم ثروة — من ذكريات الحب في الاعمـاق
سأظل يا سلوى على عهـد الهوى — لن انسى ذكراه عـلى الاطـلاق

فانه في قصيدته « نفثات جريحة » يقول على نحو اعمق واصدق :

ترتيلة الحسن يـا اغفــاءة القدر — ومبعث النـور في اشـراقة القمر
ورعشة الحب في قلب الحياة سـرت — فايقظتهــا بمغناطيسها الخطــر
واسـلمتها مراعي الانس مؤنقـة — وهدهدتها بانــداء الهوى العطر
ونغمـة الوجـد والنجوى يرددها — فم الزمـان بجرس خـالد الاثر
اصغى لها كـل من رقت مشاعره — لانهــا همسـة في سكرة الوتر
وشامة الطهر في وجـه الزمان زهت — ترتد عنها حيــاء حـدة النظر
وتشرئب لهـا الاعنـاق ذاهلة — للــه زنبقـة في اروع الصور

ويستطرد قائلا :

أزجي اليك عتــابا صيغ من كبد — حرى من الوجد والاشـواق والسهر
ارسلته باقـة خضـراء زاهرة — من روضـة الحب في ريعانها النضر
فقد صـددت بـلا ذنب ولا سبب — فكان في النفس من وخز الصد كالابر
وان وصلك قد اضحى عـلى قـدر — (كما أتى ربــه موسى على قدر)
فصـرت في حـيرة ممـا أكابده — فهل يروقك ما القــاه من ضجر

ثم لعلك تجد اكثر من ما وجدت في هذه الابيات وهى من قصيدة « ام العوينات » :

فانت صناجة بالفـــن صادحة   تمثل المجـــد في الايقاع الحـانا
تسري بشـــائرها الكبرى فتبهرنا   وتجعـــل الصخرة الملساء مرجـانا
فـــن بـــه ترتقي للمجـــد أمتنا   والفن يرفـــع امجادا واوطانا

ونفس الشيء يتمثل في هذه المقطوعة المسماة « صوت سماوي » :

صوت من الله لا صـــوت من البشر   هذا الذى لطفتـــه غنـــة الخفر
صوت سرى بـــين أعماقى برقتـــه   مســرى النسيم بخـــد ناعس نضر
صوت تجـــاوب في نفسي فأودعها   سحرا لهاروت يبقى ظاهر الاثـــر
صوت يهـــز كياني جرس نغمته   فاستحيل بـــه لحنـــا بلا وتـــر
صوت اذا انساب في ايقـــاع نغمته   تلعثمت دون وعي صـــرخة القـــدر
صوت له تسكت الانغـــام صاغية   تســـتلهم الوحي في ايمـــان محتضر
ومذ تنـــاءى لقلبي في عذوبتـــه   أحس يهتف في ســـمعي وفي بصري

لا شك ان ابا عفاف في حبه كالبلبل الوجل المضطرب في تنقله من خميلة لخميلة ٠٠ من غدير لغدير ٠٠ من وكر لوكر ٠٠ حتى كانت تغريداته بحكم المناخ النفسي والعقلي الذى هو فيه ، تكتسب ابعادا في الحدة والخفوت ٠ في الروعة والابداع ، والوانا من الشوق والحنين ٠٠ الحركة والاثارة ٠

حيث يهفو فؤاده الى احداهن ، فيتغزل بها مناغيا لطائفها وشمائلها ، مسبحا بدلالها ونظراتها ، متوددا اليها ولو على البعد ، الى درجة اشعارها بذلك ، اطمئنانا منه ، وسكونا الى ارضاء النفس ٠ وقد يتصدى في هذه الحالة للنظرة الشزراء ، او البسمة الهازئة ، او الصدود القاتل ، بسبب او لغيره ٠٠ ويحدث في ما بعد ، ما حدث في ما قبل ٠٠ هكذا يدور الشاعر في حلقة مفرغة ٠٠ هنا تنسحق غربته ، ويتشرنق ضياعه ، وتتمزق كبرياؤه :

« أمني » قســوت علي دون جريرة   ماذا ســأنظم في الجفـــاء واكتب
صوت الضـــمير يلز في مهمـــازه   هل تسمعيه وهـــل يصيخ المذنب
قد كنت « ســلواى » التى أهديتها   قلبا عليه قـــوى النـــوى تتألب
الغـــربة النـــكراء تلهب خاطري   فالام ابقـــى هـــكذا اتعـــذب

كما انه يطرق في قصيدته « قسم وعهد » هذا المعنى واكثر :

انى ســـأدفن ذكراها   بين الضلوع بلا نهوض
مـــا كنت احسب انها   تسعى الى الصد البغيض
هي والحقيقـــة دائما   تحيا عـــلى طرفي نقيض

وفي قصيدته « آمال محتضرة » يغرق الشاعر في شجونه وخيبته :

شيعت نعشـــ شبيبتي وغرامي   ودفنت في جدث الشـــقاء هيامي
وكسرت اكوابـــي وملت باكؤسي   ونفضت كفي من شـــباب ضامى
ماذا احـــاول والجراح عميقة   والقلب منثـــلم الجوانب دامي
وبكل موضع طعنـــة من هجرها   اشـــلاء معركة بغـــير حسام

محدودا ٠٠ مفتقرا الى عناصر الاثراء والاتساع ، والى روافد التجديد والتطوير حتى يوائم الموقف الذى يعالج ، والحدث الذى يطرق ٠٠
ونفس الشيء بالقياس الى اسلوب تعبيره عن ما يبغي وتصويره له ٠٠

فقد كان ذلك سببا اكيدا في ان يحافظ شعر ابي عفاف ـ كذلك نثره ـ على صيغه المكرورة ومعانيه التقليدية ، وادائه التقريري المباشر ، الذى يخاطب القلوب اكثر من ما يخاطب الاذهان ٠

يقول في قصيدته « اسجعي يا حمامة الروح » :

فيك تنضو الحياة عنها دثارا　　ليس يرضى الشتاء عند بديلا

اذ يكرر على وجه التقريب عين الالفاظ في ثنايا قصيدته « طلائع الربيع » :

تنضو الحياة به رداء قاتما　　فتحيطـــها الانوار والاضواء

ويقول في مستهل قصيدته « شحرورة غنت بصوت حزين » :

قيثارة القلب يا رفرافة النغم　　أهاج شدوك في ايقـــاعه ألمي

يكرر الفاظ صدر البيت في بداية قصيدته « نجاة الصغيرة » :

شحرورة الشرق يا رفرافة النغم　　يا نغمة الخلد بين الكون والامم

وتستطيع ان تقرأ صدر هذا البيت من قصيدة « دورة الافلاك » :

ولئن تناسيت العهـود فانني　　وسواد عينك سوف لا انساك

وهو يكرره بكليته في صدر البيت الثاني من قصيدة « سلوى » :

فلئن تناسيت العهود فانني　　وكما عهدت على المحبة باقي

ثم يقول في مطلع قصيدته « حصن البلاد وحامي الذمار » :

سمت بقوته الاهداف والقيم　　ورف فوق علاه المجد والشمم

بينما يقول في البيت الاول من قصيدته « الجزائر الدامية » :

ضاعت بغدرهم الاهداف والقيم　　والعدل ضاع وماتت فيهم الذمم

ونفس الالفاظ يعيدها مع شيء من التحريف في قصيدته « التمدن الخادع »

ما للتمدن قد أزرت به القيم　　ولم تواكبه في اهدافه الشيم

ومما يستدعى الانتباه ان في بعض أشعار ابي عفاف تضمينات ان دلت على شيء فعلى انتهاجه منحى القدامى والمحدثين من الشعراء في اصطناع البحور والقوافي ٠٠

يقول ابو عفاف في قصيدته « نفثات جريحة » :

وتموت والشعر الكستنائي المتموج كزبد البحر المتوهج لن يدوم الى الابد · فاتركي في القلوب المعذبة أثرا من الحب والتقدير وضعي في الرؤوس الممتلئة بالشوق والغرام بعض الخاطرات الحلوة للذكرى · فالغد مظلم كجوف القبر والسنوات تتقدم اليك مبتسمة لتسلب اجمل منح الطبيعة منك وانت في غرور جمالك زاهية · ويعرض صور البؤس في المجتمع كما في (محنة دواليب الحياة) و (صور دقيقة) ويقول « كان يحمل طفلة ترتجف ، وهو يهرول ويسأل : عمي وين الخستخانه ؟ وقبل ان اوصله الى المستشفى وقف وقال : عبثا لقد ماتت منذ سبعة أيام وانا اتجول في الازقة · وسار ببطء يحمل جثة صغيرة فتبعته بهدوء حزين وخرجنا وراء السدة وهناك حفر حفرة صغيرة وواراها بصمت ، ولما اعتدل تذكرت شطر اعمى المعرة : تعب كلها الحياة · ورفع رأسه الاشعث والدمعة في عينيه وقال : أى نعم ، ومضى منكس الرأس ومضيت » ·

أما حياته فنلمح أثرها في (مذكرات متشرد)· فقد القى في السجن لانه ثأر لكرامته من المهندس المشرف على العمل بعد اهانة لحقته منه · وضرب شابا لانه سخر منه لفقره(٣) ·

وقد استخدم لطفي ضمير المتكلم للتعبير عن الذات حتى يبرزها أتم ابراز ، ويكشف عن نفسه أبلغ ما يكون الكشف وقد استعان بأسلوب الحكاية في أقاصيص هذه المجموعة فقامت على هيكل غير متماسك من القصة ويظهر انه لم يخطط لها فانسابت في صورة عفوية مع طبيعة المضمون · ولم يهتم بالشكل في ذاته بقدر ما كانت تهمه الفكرة أو الاحساس اللذين يريد ان يعبر عنهما تعبيرا ذاتيا وعفويا باسلوب القصة · ونلمس في أقاصيص هذه المجموعة ضآلة الحركة وعدم وضوح الشخصيات وجمودها مما أضعف الناحية الفنية القصصية فيها · نحا لطفي منحى الرافعي فيما كتب في رسائل الاحزان ولا اعني ان اسلوب الكاتب يشبه في قليل او كثير اسلوب الرافعي ، او انه قد ملك زمام اللغة بما يدعو الى مقارنته به لان لطفي ليس له حظ كبير في الثقافة القديمة والاسلوب القويم فالاخطاء النحوية تطالعك في كتاباته جملة ، ولكنه نحا منحى الرافعي في هذا الغزل النثري وكانت له عاطفة جياشة كعاطفة الرافعي حين تحدث عن عشقه في رسائل الاحزان ، قال لطفي دعاء في منتصف الليل (اليك وحدك يا الهي ينساب هذا الصوت الضئيل كمزمار متعب ينفث فيه قلب جريح فتتسارع الحسرات من خلاله مسترحمة خاشعة لقد تعبت يا الهي ، اليك وحدك يا الهي ينساب هذا الدعاء الواجف ، تضطرب هذه الكلمات التي يرسلها قلب تعذب كثيرا واحب كثيرا وفشل كثيرا ، لقد احببت يا الهي ، كان حبي العظيم لك وحدك وعبادتي لك وحدك ولكن واحدة من مخلوقاتك طرقت باب قلبي فانفتح وولجت فقاسمتني حبك الطاهر واخذت كل خشوعي ورهبتي اليها ، فلم اعد ارى الكون الا في شعاع عينيها ولا جمال الطبيعة الا من خلال بسماتها

(٣) جميل سعيد ، المصدر السابق ، ص ٤٢ ـ ٤٦ ·

عبد المجيد لطفي بين الرومانتيكية والواقعية

الدكتور عمر الطالب
كلية الاداب ـ جامعة الموصل

من أبرز القصصين الرومانتيكيين عبدالمجيد لطفي[1] في مجموعته القصصية (اصداء الزمن) الصادرة عام ١٩٣٨ ، اذ عبر في رومانتكيته الحزينة الشاحبة السلبية عن آلام نفسه وشقائها ، كان شابا تحدوه آمال عراض ويصدمه واقع مرير ، وبين هذا وذاك سالت عبراته وتلاحمت بين ظلمات نفسه ودجناتها وبين بسماته ، وتعد (اصداء الزمن) وسطا بين الشعر والنثر ، والكاتب شاعر تجلت شاعريته في جميع ما كتب ، وان كان باسلوب النثر[2] وقد شغف بالادب الرومانسي الذي كان يغذيه ادب المهجر وتمده بتيار من القوة والحياة كتب المنفلوطي وما ترجم الزيات · وكتاباته اقرب الى الشعر بما تحويه من عواطف فياضة وما يتناول من موضوعات · كما تركت ايام الشدائد والاحزان في نفسه ألما مكبوتا · وتركت مشاهداته الكثيرة آثارا موجعة في نفسه كثيرا ما استطاع ان يعكسها بصدق ومرارة فيما كتب ·

يقول في (عتاب الالم) (فكرى قليلا ايتها السارحة في أودية الوهم والغرور · ان الايام تمضي وتسير والجبال تذوى وتزول ، والابتسامات تنطفىء

---

(١) ولد عبدالمجيد لطفي عام ١٩٠٨م في مدينة خانقين ، من أب يتعاطى المحاماة وينظم الشعر باللغات الكردية والتركية والفارسية ومن أم استوعبت القرآن الكريم · تطوع والده في الجيش التركي أثناء الحرب العالمية الاولى ولم يعد وكانت أمه مريضة بداء المفاصل وقد تعاون عليها الفقر والمرض وماتت في ليلة ممطرة من ليالي الخريف · انتقل لطفي الى دار خالته ، واشتغل عاملا لبائع متجول وعاملا لحلاق وعاملا في دكان اسكاف ولم تطل الشهور على وفاة امه حتى ضاق به زوج خالته وطرده · فقدم الى بغداد وسكن مع أخيه فلقي من زوجه جفاء وقسوة فانطلق يبحث عن رزقه وجمع بين العمل والدرس ، اكمل الدراسة المتوسطة ودخل مدرسة الصنائع ورشح للبعثة الى المانيا عام ١٩٣٢م غير انه لم يجد من يكفله · اشتغل في معامل ميناء البصرة وفي شركة نفط العراق ، وفي منطقة الاشغال الوسطى وعاش بضع سنوات في ريف الشمال بحكم الوظيفة · يقول لطفي « طوفت أنحاء العراق شماله وجنوبه رأيت مكابس التمور وعمالها وعاملاتها ورايت الوديان والجبال في الشمال ورأيت الفقر والاطفال في سني القحط والجدب ورأيت مزارع التبغ وتعاسة الفلاح · وعينت كاتبا في قضاء من اقضية كركوك وبدأت اشبع » من مقابلة تمت لي معه عام ١٩٦٥ ، هذه الحياة القلقة المضطربة اكسبت لطفي خبرة واسعة متنوعة يضاف الى ذلك حبه لملمة مسيحية سلبت لبه ، ويعد لطفي هذا الحديث بدء نزوعه الى الشعر وكتابة القصص والرسائل · من دراساته (في الادب الكردي) الصادر عام ١٩٤٨ · وترجم قصصا عن التركية في كتاب (قلب الام) الصادر عام ١٩٤٤ ·

(٢) جميل سعيد ، التيارات الادبية الحديثة في العراق ، ص ٤٣ ·

فانه ينسج على منوال ايليا أبي ماضي في قصيدته المعروفة « جمال الحياة » وبها يقول :

ايهذا الشاكي وما بك داء   كيف تغدو اذا غدوت عليلا

وحيدالدين بهاءالدين

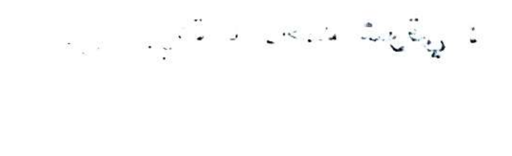
المراجـع :

١ ـ ديوان « موكب العواطف » لسيف‌الدين الخطيب : ابي عفاف ·

٢ ـ هيت في اطارها القديم والحديث ج ١ تأليف رشاد الخطيب الهيتي ·

٣ ـ دواوين : شوقي · حافظ ابراهيم · ايليا ابو ماضي ·

٤ ـ صحف ومجلات شتى ·





وان وصلك قد اضحى على قدر (كما اتى ربه موسى على قدر)

الواقع ان عجز البيت مأخود من عجز بيت لشاعر شهير هو جرير :

جاء الخلافة او كانت له قدرا (كما اتى ربه موسى على قدر)

بينما المعنى في حقيقته مستمد من القرآن الكريم حيث الآية تقول « ثم جئت على قدر يا موسى » .

كما الحال في عجز البيت التالى ، حيث اقتبسه – لا يحضرني نصه – أبو عفاف من شاعر اخر :

لكنني مثلما قد قيل من زمن (انى بواد واهل الشرك في واد)

ثم تأثر ابو عفاف في قصيدته « شحرورة غنت بصوت حزين » وبهـا يقول :

وصيرتني تسابيح الهوى ثملا أستاف نشوتها في لذى النهم

وفي قصيدته « نجاة الصغيرة » وبها يقول :

ماذا اصور واللحون تسللت صداحة بين المشاعر والدم

بقصيدة « نهج البردة » لاحمد شوقي :

ريم على القاع بين البان والعلم احل سفك دمي في الاشهر الحرم

والمعروف ان احمد شوقي هو الاخر تأثر في قصيدته هـــذه ، بقصيدة البردة او البرأة » للبوصيري :

أمن تذكر جيران بـــذي سلم مزجت دمعا جرى من مقلة بدم

كذلك نحا ابو عفاف في قصيدته « في عيد الام » وبها يقول :

حيت علاك شوامخ الاعنـــاق وهفت اليك مكارم الاخلاق

منحى حافظ ابراهيم في قصيدته « مدرسة البنات » اذ يقول :

من لي بتربية النساء فانها في الشرق علة ذلك الاخفاق

وفي قصيدته « سلوى » وبها يقول :

فالى ارتشاف مناهل علوية في الحب ادعـو معشر العشاق

اما في قصيدته « اسجعي يا حمامة الروح » وبها يقول :

خطرت بيننا كعطر العذارى فشممنا منها النسيم البليلا

ولا روعة الليل الا من صدى وعودها وسخريتها(٤) • ونحا منحى الرافعي في رسائل كتبها الى صديق له على اسلوب التجربة في (آلام الحب) يقول : « ما حيلتي بهذا الحب ؟ كنت اول أمس ارتفع ببطء بذلك المنحدر حتى اذا ما وصلت القمة وانعطفت بذلك الزقاق الضيق سمعت طفلة تصيح على اخرى ماري ، ماري ، آه لو تدري اي شعور هائل داخل قلبي من هذا النداء انني هرعت نحو الطفلة الفقيرة • ورفعتها الى صدري وقبلتها بعطف وحنان قبلات غير مزعجة وبكيت نعم أنا ابكي لان طفلة صغيرة ذكرني اسمها باسم من عبدت »(٥) •

ومثل هذه الرسالة قطعة (وذكرى حب) و (حديث ونصيحة) • رويت كلها بشكل عاطفة متأججة ووصف للطبيعة جميل وحب ملتهب ترك أعمق الاثار في نفسه فخلق فيها ثورة عارمة على تلك الفوارق الاجتماعية التي حالت بينه وبين من يحب • وقد استطاع الكاتب ان يتفوق على نفسه وعلى قطعه النثرية الرومانسية في (أصداء الزمن) الى درجة عالية من الاشراق الشعري الوجداني في كتابه (تصابي الكلمات) المطبوع عام ١٩٧١ وقد ساعدت وزارة الاعلام على طبعه وما يميز شعره النبض الداخلي والموسيقى الداخلية لشعره بالاضافة الى اصالة الصور وصدق العاطفة وتأججها بالاضافة الى تنسيقه بين الشكل والمضمون فقد جاءت الكلمات المختارة معبرة عن الابعاد والرؤى الخاصة للكاتب في تفاعله المجتمعي من جهة والوجداني من جهة أخرى ، فنحن لا نجد مجرد كلمات ممتلئة بالقش بل نجد على العكس من ذلك ، كلمات ملأى برؤية فكرية متبلورة لحياة كل ما فيها ضار قاس •

(يا الهي
اجل لابد من اله لابد من شيء اقوى منا
نستجير به
الصنم ، او النجم او بوتقة حداد ، شيء
قوى وخارق نتشبث به ، نستجير ،
انا لا أعلمك شيئا
فالذبابة ايضا تدرى اين تقع
هل سقطت نجمة جديدة ••• ذلك ان
غبارا فضيا يعلو في عباب ضخم
وتيارا من ريح موسمية تدفعني الى الوراء
فيا خيبة رحلتي ما اكثر ما ترتد ويفقد الذئب اسنانه
تبدو مخالبه مخملية فماذا يبقى من الذئب
بمخالب مخملية ؟
شراسة ماضية وعودة قطيع جديد وها أنذا

(٤) عبدالمجيد لطفي ، اصداء الزمن ، ص ٣٧ ـ ٣٨ •

(٥) عبدالمجيد لطفي (تصابي الكلمات) المقطع ٣٦ ، ص ٣٨ •

صبية نحاف يضحكون ·· وصعدت للماء الراكد رائحة تعافها النفس حتى شعر ان الهواء يتكثف بين يديه ويلوثه ويصافح وجهه بنداوة ذات دبق ·

يقول لطفي عن اقاصيصه التي نشرها في الصحف والمجلات ان اكثر ما نشرنا في الماضي ضيق الافق ومحلي جدا واحيانا خيالي محض ولكننا وقد وعينا الحياة وهضمنا تجارب كثيرة عسيرة الهضم صارت لنا رسالة وفكره ، وعن تلك الفكرة الاصلاحية تذود في حدود بعيدة عن مثاليات الاخلافيين القديمة ، ذلك ان الحياة في قسوتها ومرارتها لم تعد ساحة مضاءة بالاحلام الكاذبة ، ولم يعد الاديب ثورا في جرن يدور ليهز الاجراس التي في عنقه وقد تكون اجراسا ذهبية أو نحاسية ليطرب السامعين والسامرين وهم شذاذ المتبطرين ·· وبالنسبة لي فأنا لم اكتب أفضل قصصي بعد ، ولكني في الطريق الى ذلك » (١٤) ·

بدأ عبدالمجيد لطفي يجفو تلك السطحية التي لازمت كتاباته ليبدأ صفحة لامعة من نتاجه القصصي في مجموعته (في الطريق) الصادرة عام ١٩٥٨م · والتي اطلق عليها اسم القصة الاولى · فيها يستعرض خواطر سائق سيارة لاحد المترفين بينما سيده يقضي الليل على موائد القمار ، ويكشف الكاتب ببراعة عن نفسية هذا الشقي البائس وتضحيته وحبه ورغبته في الزواج من فتاة مقعدة اغراها احد اللئام واوقعها في شباكه وفي آخر الليل يعود الى الدار وينتهي بخصومة مع سكان الدار تقوده الى السجن ومع ذلك فهو متعلق بالحياة لانه يعلم ان هناك قلبا ينبض بحبه (١٥) ·

وتأبى شاعريته الا ان تظهر في كتاباته « ان الحياة الان مترامية الاطراف وما انا فيها الا وحش ·· احتضنت رأسي ، وغمرتني بقبلات حارة لم أجد أعذب واصفى منها ·· وقليلا قليلا اطبق العالم كله علي بانياب حادة بيضاء ملوثة كريهة ، وهي تغادرني في القطيع الكبير لتموت وحيدة في وطنها في الشمال »(١٦) أما باقي أقاصيص المجموعة فانها تنحو نفس المنحى في تصوير البؤس والفقر والتشرد في (الاديب الصغير) يحاول الاب الثري ان يشتري صحيفة شهيرة من اصحابها الفقراء ، ليشق ولده المتأدب مستقبله على صفحاتها ، ولكن اصحابها يأبون ذلك ·

يقارن الكاتب بين الحياة البائسة الشريفة التي يحياها العمال وحياة التبذل والاستهتار والنعمة التي يحياها الاغنياء ، ونلمس فيها روح ذنون ايوب الهادفة الى التحرير وتجسيد الافكار وخلق الوعي السياسي لا لمعالجة المشاكل الاجتماعية فقط (١٧) ·

تطور لطفي في هذه المجموعة واستطاع ان ينفذ الى ضمير الشعب يصور احلامه وآلامه ومشاكله بعمق ودقة ، ونلمس تأثير قراءاته للادب الغربي ولا سيما

---

(١٤) الانتظار ، مجلة أهل النفط ، العدد ٢ ، ١٩٥٣ ·
(١٥) عبدالقادر حسن أمين ، القصص ، ص ٨٥ ·
(١٦) داؤد سلوم ، الادب المعاصر في العراق ، ص ٥٩ ·
(١٧) عبدالمجيد لطفي ، في الطريق ، ص ٥٨ ·

التعليل والتفسير ووصف الدواعي الدافعة لكثـــير من تصرفات الشخصية ، ويبرر بمنطقه الخاص هذه التصرفات مما يفقد القصة شكلها او ان يجعلهـــا تفوز بالحياة (١٠) ٠

ان الشيء اللافت في قصصه هذه انه يشعرنا انها حقيقة نقلها كما هي عن الواقع (١١) او جرت حوادثها بالفعل في مكان وزمان معينين بحيث يبدو انـه لا يكتب الا ما يعرفه عن الحياة أي ما توحي اليه به رغباته ومشاعره فلا يصف الا ما يحسه ذاته ولا ينقل الا ما يؤثر تأثيرا مباشرا على نفسه ٠ بالطبع ان المادة الخام تنفصل عن الواقع الخارجي عندما تتحول الى عمل فني ولا يمكن معادلتها به او مناقشتها على اساسه ومع هذا فان اقاصيصه تلك لم تصدر عن ذاتية اجتماعية موضوعية وان كانت غايتها اصلاح المجتمع ٠

ونلمس في اقاصيص اخرى حسا انسانيا عميقا ، فالكاتب يؤمن بالانسان التواق الى التغلب ، ومع ذلك فهو لا يؤمن به كمجموع بل بالفرد المتميز ، ويتلمس واقعيته في عواطف الناس وحياتهم واعمالهم ويستمدها من السـماء والارض ثم يرفعها بعد في النهاية من مرتبتها الى مرتبـــة الانسانية كما في اقصوصتيه (انسان)(١٢) و (علمني أبي)(١٣) ٠

ويبدع في رسم الصورة الريفية ومظاهر الفقر ويخلع عليها من الحياة ما يجعل القاريء يحسها بقوة (عندما بلغ القرية كان النهار قد انحـــدر نحو المساء وكانت الاكواخ كما عهدها قبل عشر سنوات نائمة في ظلال البردي ٠ والكلاب تهز ذيلها وتعوي هنا وهناك والقوارب السوداء النحيلة تمرق تحت

يقول لطفي في رسالته لي عن الارتجال في كتابة القصة (كان في الماضي يلزمني / الوقت الكافي وقلة الوقت كانت تجعل لقصصي صفة الارتجال والعجلة ٠ ولعل من ابرز ما اعانيه هو انني اعجز عن الحصول على ابطال ملائمين لتفكيري أي انني اكتب في مستوى خاص لا أستطيع أن أرافق ابطالا ذوى مستوى منخفض وهذا ما يحرك في نفسي الأسى) ٠

(١٠) انظر : كالكلاب تماما ـ مجلة الرابطة ، العدد ١٩ ، عام ١٩٤٦ ، رجل مضياف ـ مجلة الدليل ، العدد الاول ، عام ١٩٤٧ ٠ ضحايا وشهود ـ مجلة الدليل ، العدد التاسع ١٩٤٨ ٠ سر أبي ـ مجلة الرسالة الجديدة ، العدد الثالث ، ١٩٥٤ ٠

الساق اللعينة ـ مجلة أهل النفط ـ العدد ٥٧ ، ١٩٦٠ ٠

في البيت ، مجلة العرفان ، العدد الاول ، ١٩٥٨ ٠

(١١) يقول لطفي في قصته كالكلاب تماما : (ثق بضميري ايها القاريء فانا لم أزد على الحادثة حرفا واحدا بل اني قصرت كثيرا في اعطاء الصورة الحقيقية لتلك الحادثة) ٠

(١٢) مجلة المعلم الجديد ، العدد الاول ، ١٩٥٦ ٠ ويحدثنا فيها عن طبيب فيلسوف يجد لذة الحياة في خدمة البشرية وتخليصها من آلامها ٠

(١٣) مجلة المعلم الجديد ، العدد الثالث ، ١٩٥٦ ٠ صورة صادقة للبطولة والشهامة ، يخرج الأب مع سكان القرية للقضاء على اللصوص فيصاب في ساقه ، ويبقى (اعرج) طوال حياته ، وهو سعيد بذلك لانه ادى واجبا يحتم عليه أداؤه ٠

ويجيد لطفي تصوير الابطال المتفانين في واجبهم : علمني لماذا يقتل الانسان ومتى يجب ان تكون الحياة غالية ، ومتى يجب أن ترخص ، وعلمني ان الحياة خلية كبيرة لا يمكن ان تسير وتكبر الا بالتعاون والتضحية ، وعلمني ان البسالة في الملمات تعطينا الكثير وان كانت تأخذ دماءنا ثمنا لذلك أحيانا ٠

للعار ، ثم يكتشف انها طاهرة ، وهو يجد في البحث عن الواشي ليقتله · لم يستطع الكاتب نقل الاثر الى نفس القارىء مع اهميته وجسامته فبدت الاقصوصة أقرب الى الخبر الذى يقرأ في الصحف المحلية ، واخفق في تصوير الشخصية فبدت كالدمية في يد المؤلف[٨] ·

وفي (طبيب الطبقة العليا) شعور انساني عميق رغم اغراقه في المبالغة والبعد عن الواقع حيث طلق زوجته الارستقراطية لانها عارضته في تكريس وقته لمعالجة المرضى الفقراء ·

ويصور لنا لطفي في(ظل السعادة) التضحية التيتقابل بنكران الجميل اذ تحرم الاخت الكبرى نفسها من متع الحياة وتعمل خياطة ليلا ونهارا في سبيل توافير المال لاختها الصغرى التي تكمل دراستها العالية وحين تفرغ هذه الاخت من دراستها تتزوج من رجل تحبه ولا تقدم يد المساعدة الى اختها التى انفقت شبابها من اجلها ·

لا يعطى لطفي الملامح النفسية الحقة للشخصيات بل يتكلم عنها من السطح· ونبقى هذه الشخصيات ثابتة غير متطورة · انها نماذج ليستانسانية الخلق ولا الابعاد ولا تتصف بصفة الفرد المتميز · يستعملها (مشاجب) ليعلق عليها الحدث او الفكرة او الخاطرة ·

ويؤخذ على لطفي انه يتناول حوادث الحياة ببساطتها التامة دون ان يشبعها بالفنية المطلوبة مما يقربها من الخبر · ويغلب على انتاجه القصصي طابع السرعة وكأنه يحز في نفسه ان يخيب ظن صحفي يطلب اليه الكتابة في صحيفته[٩] · وتسعفه بذلك ذاكرة عجيبة تمده بما يشاء من حوادث وايام ونوائب الدهر ولا عجب ان يتأثر اسلوبه بتلك السرعة حتى يهبط الى المستوى الصحفي في بعض الاحيان ، وحتى تصبح قصصه لمجرد المتعة وتحريك الذهن ·

نشر عبدالمجيد لطفي عددا كبيرا من القصص في الصحف والمجلات العراقية ولم يجروء على جمعها في كتاب خوف الخسارة المادية تركها مبعثرة هنا وهناك في بطون المجلات · وجلها اقاصيص سريعة تعتمد على سرد الحادثة مع خلو من التحليل والعمق ، وتفتقر الى روح الفن الذى يرفع القصة من مقام (الحادثة) الصحفية اليومية الى المجال الانساني وتنقصها تلك الحرارة التى تشعر بان لطفي يحس بما يكتب وليس متفرجا عابرا يصف الحوادث · انها مجرد (ريبورتاجات) صحفية ملخصة او منقولة خبرا اثر خبر ، وتتسم بطابع السرعة الذى لابد منه لنقل الريبورتاجات وعليها طابع التبليغ الصحفى الذى يهتم اصحابه بواقعية اللغة ولهجة الحديث العادى وأسلوب التشويق السهل · لذلك جاءت اقاصيصه موجزة ، لا نجده يفيض في حديثه عن الظروف الاجتماعية التى ساقت صاحبها الى ما فعل من خير أو شر ، ولم يخلق الحدث قلقا يكسبه طابع التبرير والاقناع الفني وانما يحل مشكلات مجتمعه في القصص فيلجأ الى

(٨) عبدالقادر حسن امين ، القصص ، ص ٨٤ ·
(٩) جميل سعيد (التيارات الادبية الحديثة في العراق) ص ٤٥ ·

بعين مطبقة افتح كفي ، يقع فيه شيء ٠
فاكهة أو وخزة أو قطرة ندى
الفاكهة تتعفن حتى وهى عالقة في الاعالي
وينطفيء اللحظة شعاع أزرق في داخلي
اشعر بالبرودة وبلا انذارات احيانا
تسدل ، ولو كنا في مأمن من عيون الرقباء !)[٦]
تسدل الستائر

ولم اعمد الى اختيار افضل قطعة في الكتاب بل اجتزأتها لاسوقها كمثال دون ترصد وتعمد في الاختيار ٠ ولا أريد ان اناقش هذا الكتاب لانه يحتاج الى دراسة خاصة ربما أعددناها في دراسة مقبلة ٠ لانه يحتاج الى وقفات كثيرة وتأمل شامل لا ضمن أطاره فقط بل ضمن اطارى الشعر العراقي والشعر العربي من جهة والشعر الاجنبي من جهة اخرى ٠ وخاصة وان دراستي هذه تؤكد على اعماله القصصية بصورة خاصة ٠ وقد وعدنا الكاتب في اخر كتابه هذا بديواني شعر (أجراس في زمن الصمت) و (روابي الاقحوان) ٠ وما زلنا في ترقب لهما ٠ فقد لمسنا في (تصابي الكلمات) الوعد في قدرة الكاتب الشعرية بشكل يتفوق به على امكاناته ككاتب قصة أو رواية او مسرحية ٠

وتنقسم قصصه الرومانسيه الى قسمين قسم يصور احلام شاب يصدر عن ذات غائمة تنطلق في تخيلاتها السارحة الى غير مصير ، وتتحول القصة الى تتبعات هائمة ومواقف في الشعور ضحلة وخواطر ومناجاة لا عمق فيها ولا أبعاد كما لاحظنا في (أصداء الزمن) ٠ والقسم الثاني ، قصص الحادثة وهي أرقى من القسم الاول ويتعرض فيها لطفي لقضايا اجتماعية يهاجـــم الظلم والنفـاق والحواجز الاجتماعية وقصصه لا تعكس الا الالوان الفاجعة ولا توحى بغـــير المأساة ، ولا يرى في الحياة الا جانبها الباكي المظلم فلا يعرف غير مناظر البؤس والالم والفقر ، ولعل هذه الصور القاتمة للحياة اختمرت في حسه منذ الصغر وكانت أثرا من آثار نشأته التعسة الفقيرة[٧] ٠

وهذا ما نلمسه في مجموعته القصصية الثانية (قلب الام) الصادرة عام ١٩٤٤ م ٠ وطابع هذه الاقاصيص طابع اجتماعي يصور آلام الناس وأحزانهم ويروى بعضها باسلوب الحكاية كما في (نهاية ذئب) ٠ وفي اقصوصة (قلب الام) يتزوج ألاب امرأة ثانية هي ابنة شيخ لغرض خاص هو حماية مزارعه دون ان تعلم زوجته الاولى من الامر شيئا وحين تعلم بالخبر تمرض ٠ وعلى فراش الموت يطلب الزوج غفرانها فتفعل ٠

وروى ذلك باسلوب بسيط ساذج لانه مروي على لسان طفل وكان حديث الطفل بسذاجته البالغة لا يلائم فنية القصة ٠ وفي (رائحة الدم) يستوقف الكاتب رجلا ليستجدى منه درهما ثم يقص عليه مأساته اذ يقتل اخته غسـلا

(٦) عبدالمجيد لطفي ، اصداء الزمن ، ص ١٦١ ٠
(٧) جميل سعيد ، المصدر السابق ٠

الادب الروسي فالقصة عنده متأثرة بأدب تشيخوف حيث لا يلتفت الى العقدة ونقطة التنوير والقصة عنده قصة الاثر والانطباع لا قصة العقدة ٠

وفي اقصوصته (فنجان) تحاول الزوجة ان تثني زوجها عن قيمه ومثله في الحياة ولكنها تفشل ، وفي (دمعة محمود) تصوير لمأساة فلسطين ، تصف بؤس اللاجئين وآمالهم في العودة الى الوطن السليب ٠ ولكن شخصية محمود جاءت مسطحة خالية من الابعاد نموذجية مجردة لا حياة فيها ٠

تخلو كتابات الكاتب من السخرية والروح الفكهة التي نجدها عند أيوب والخليلي وهي خالية من السوداوية الجائمة على كتابات عبدالملك نورى ٠

عبدالمجيد لطفي كاتب شاعر على انه في نثره أحسن منه في شعره ، وهو احسن ما يكون حين يتحدث عن الحب وعن عواطفه الحزينة ٠ ومع انه تقدمي الاتجاه ميال الى معالجة الاوضاع الاجتماعية الراهنة الا انه يضحي أحيانا بالفكرة من اجل الجمال الفني اذا اقتضى الحال وهو في هذا نقيض ذنون ايوب الذى يعتبر الفكر أقدس من الجمال الفني ٠ حيث لا يلتفت الى العقدة ونقطة التنوير ، والقصة عنده قصة الاثر والانطباع لا قصة العقدة ٠

تخلو كتابات الكاتب من السخرية والروح الفكهة التي نجدها عند ايوب والخليلي وهي خالية من السوداوية الجائمة على كتابات عبدالملك نورى ٠

وخير نموذج يمثل أقاصيص الكاتب قصته (فيما مضى) من مجموعته (في الطريق) ٠ يستهلها الكاتب بقوله « ليست هذه القصة بعيدة العهد ومع ذلك فأنها تبدو كالحلم وكثيرا ما تذكرتها في ساعة من ساعات الهم فارتاحت اعصابي المتوترة وارتسمت ابتسامة ساخرة على شفتي بدلا من ذلك الوجوم » ٠ فقد كان يعيش مع عمته في بيت عتيق يقع في حي من احياء بغداد القديمة وكان يشغل هو وعمته غرفة واحدة من البيت ولكنها كبيرة تحسن العمة تنظيمها باثاثها القليلة القديمة ، ولم يكن لعمته اصدقاء في البيت الذى يضم عددا ليس بالقليل من الاسر الفقيرة ، فقد كانت تعاملهم بقسوة « انت لا تدري السبب انني اذود عنك آه لو تعلم كيف يريدون ان يسطوا عليك ، ان يسرقوك مني » ولم يكن ـ الراوى ـ راغبا في الزواج « فقد كنت توأقا لحريتي الفردية وكانت الزيجات القلقة أمامي مبعث عظة لي » ٠ فلم يكن البيت الكبير يفرغ او يهدأ يوما من الصخب والثورة والاضطراب ، وكان مبعث فخرهما (الراوي وعمته) الاثاث الذي تضمه الغرفة ـ رغم قدمه ـ لانه خير ما في تلك الغرف جميعا ٠ اذ يملك منضدة وكرسيين في حين لم يكن في الدار غيرهما مما جعل عمته تعتز بالكرسيين اعتزازا كبيرا ، وقد دق مسمارا في احدهما ذات يوم فاحدث شقا في الكرسي مما جعل عمته تبكيه طوال اليوم ، وتعتقد العمة كما يعتقد سكان الدار ان الكرسيين يعطيان البركة فقد تمت عليهما مراسيم مهور عديدة انتهت بزيجات موفقة سعيدة ، وطالما سخرت العمة من الراوي لانه لا يعتقد بما تعتقد به ٠

(١٨) انظر عمر الطالب ، الاتجاه الواقعي في الرواية العراقية ص ١٠١ ـ ١٤٠ ٠

لها بالسيارة البيضاء ذات العواء المخدر المزعج فنقلوها عبر هذه الالتـــواءات الضيقة المهملة العفنة الى فم الشارع ومن هناك الى ما لا أدرى » ٠

أو يصف من خارج الحدث كما يجرى امامه كما فعل في وصف القتال الدى حدث بين سعيد واهل الدار بسبب حبيبته (هدية) ٠

وهذا البناء المتماسك يسوق القارىء عبر الاحداث المختلفة بثقة واطمئنان فالهيكل عولجت فيه القصة بقسط من التركيز ، وحدة فنية تصور تطـــور الاحداث وفق تدرج عميق المغزى ، فالقصة تبدأ بثورة سعيد على الحياة المنسحقة التي يحياها كعامل في العراق ، وتنتهي به هذه الثورة الى الســـجن ليخرج بعدها الى الحياة من جديد وقد ملأته التجارب حياة وعزيمة ٠

وتبدو براعة المؤلف في ان يجعل ابطاله يسيرون سيرا لا تصنع فيه بحيث يجتمعون في اخر القصة وقد استكملوا اسباب تطورهم الطبيعي ٠ وهكذا يبني لطفي شخصياته بناءا متصلا أوثق الاتصال بالحدث القصصي ، يبنيهـــا من الداخل ، يعطيها القوام الحي ما تحتاجه بالنسبة للحدث ، وحركتها الداخلية طبيعية وردود فعلها انسانية محتملة الوقوع وقد يعتمد المؤلف على التحليل النفسي في لحظات الشرود التي تصيب سعيد أو على مونولوج الذكريات ولكنه يظل في حدود الواقع ٠

وقد يلجأ الى اللقطات الجانبية يستخدمها في زيادة طاقة القصـــة من التأثير وغناها من الحدث علما انه يحشدها بصور تلتقي مع تطورات القصة لتقوم بدورها في الايحاء ٠ فسعيد المنسحق في السجن يحلم بالبيت العتيق والغرفة المهدمة الواطئة « وليـــالى الصيف المقمرة وأنا اقرأ النجوم في ليالي عطالتي »(١٩) ٠

وشخصيات لطفي لا تفرض على القصة من خارجها ، انها ترسم لمحـــة من خلالها كما فعل في رسم شخصلة سعيد ٠ اننا لا نكاد نجد في قصته هذه وصفا خارجيا لشخصياته ولكننا نعرفها شيئا فشيئا في كل من سعيد وعوني والعمة من خلال تصرفاتها الانسانية التي تؤدى الى ابراز القصة ٠ فسعيد مثلا لا نعرف عنه انه كان جميلا ام قبيحا كامل الخلقة او ناقصها ، كما لانعرف عمره ولا قوة رجولته وكل ما نعرفه عنه هو ما يهم القصة : انه سائق عربة رجـــل غني يستغله ، وانه يحب (هدية) المقعدة التي سحق شرفها شاب اخرق ٠

على ان لطفي لا يستمد عناصر شخصياته من أفق ضيق محدود ولكنه يحرص واعيا أو غير واع على ان تأخذ طابع النماذج الانسانية الواقعية ، ومن هنا كانت قوة الملامح فيها ٠ ولقد نتلفت حولنا فنجـــد من امثالها عشرات بمختلف الازياء ٠

وليس يعنيه ان يكون احد شخوص القة دنيئا كشخصية الغني المترف الذى يعمل عنده سعيد أو طيبا مثل سعيد أو حقودا مثل عوني او ضعيفا مثل هدية او مجربا كالعمة ، وانما الذى يعنيه الموضوعية في التصوير ، فلا نحس ان

---

(١٩) « في الطريق » ص ٥٥ ٠

السجن الضيق الذي يضم حشدا كبيرا من الناس وهم في اســوأ حال مـن المعاملـــة » ٠

وليست قصة في الطريق سردا لمجرد السرد وانما هي محاولة لتسجيل اطوار نفسية ولا سيما نفسية سعيد وعوني ، ولقد كان ثقل الحياة على هذين المخلوقين يجعلهما يكرهان كل شيء حتى ان سعيدا يكره عمه ـ الرجـــل الغني الذى يعمل عنده ـ الذى يقف الى جانبه ويعطف عليه ولكنه بالرغم من كل ذلك متفائل كل التفاؤل لشعوره بالمسؤولية تجاه (هدية) المنسحقة ٠

وتزداد حيوية القصة بعبارات يضعها المؤلف على لسان شخصياته بشكل يمكن ان ينسجم وحالتهم النفسية بين الامل والرجاء والشدة والرخاء ، اما لغة القصة فهي على الجملة مقبولة لان القارىء لا يشعر معها ان المؤلف يعاني مشقة كبيرة وهو يكتب ٠

وتمثل قصة (في الطريق) فن عبدالمجيد لطفي وان الذى قرأ له من قبل يشعر ان الرجل يبحث عن قضية لان المهم عنده ان يجيد الانسان كتابة قصة وليس المهم ان يركض وراء هذه (المودة) او تلك او ان يضع نفسه في عالم من اللاوعي غير الموجود ٠

وهو قريب من الاشياء التى يتحدث عنها ويبصر بما حوله فهو يصف الطريق او الاشخاص او العادات ، وقصته بعد هذا متماسكة متوازنة تشعر ان وراءها تصميما هندسيا يقودها الى اللحظة المأزومة ، وليس ثمة فصول او دروب جانبية تزيد في الاسطر او تضيع او تضلل عن غاية الطريق ، انه يحاول ان يركز جهده وانتباه القاريء في وقت معا ٠ وهذا هو السر في تماسك القصة عنده ٠

فهو عندما يريد ان يتحدث عن الماضى يضع الحديث على لسان شخصياته تتحدث عن ماضيها بايجاز واف بالغرض الذي يريد عرضه ٠ كمـــا فعل في الحوار الدائر بين سعيد وعوني عن ماضى حياتهما التعس ٠ كما تتوفر الوحدة الفنية فيها ، فهيكل القصة متوازن متماسك والصلة بينه وبين شخصياتها واحداثها نامية متطورة ٠ وليس من صور جانبية تفني الحدث القصصي كما انه ليس من لقطات جانبية تطمسه او تشرد بالقاريء خارج تجربة القصة ذلك لان لطفي يسير بالقصة الى غايتها في تتابع هادىء يعتمد في قوته على الانشاء القوي والاسلوب الطيع الدافق ٠

كما لا يتقيد بالتقاط الحدث من زاوية معينة او على طريقة واحدة فقد تجابهه في لحظة مأزومة وينظر اليه من خلالها كما فعل في الحوار المأزوم بـين سعيد وعوني وقد يرويه كاعتراف في مونولوج كما فعل مع سعيد وهو في طريقه الى الدار بعد ان ترك عمله ليطمئن على حبيبته (هدية) ٠

« وتلك هى داري ٠ دار العشرين عائلة او اكثر في ركـــام مرصوص الحثالة البالية من البؤس والحقد والضجر ٠٠ وفيها ايضا غرفتي المحدودبة الجدار كعائق ، عمتي المتبرمة بلا انقطاع ثم غرفة هدية الى جانب غرفتي ولابد انها الان تعج باشياء جديدة غير مألوفة وربما حصل لها شيء مؤسف فجاؤا

وكأي انسان ضائع شقي لا يجد نفسه الا في كأس خمرة ، واشد ما يبعث السأم في نفسه احاديث عمته ٠ لانها تمثل الحياة في نظره بكل صغائرها وسخافاتها ٠

واهتم الكاتب بالسمات الداخلية والسمات الخارجية لشخصيتيه – الراوي والعمة – وموقفه من الشخصيتين موقف الذي يعرفهما ويدرك دخائلهما ووقائعهما لانه يعيهما ويحملهما ويعيش معهما بل يعيشهما ويتفاعل معهما ، ولا يخلقهما دفعة واحدة وانما يهبهما التكوين بعد كل خطوة ٠ وقد حاول ان يستكنه – نفسيهما ويحللهما ولكن يبدو انه لم يقصد الى رسمهما من الداخل وتحليلهما تحليلا عميقا بقدر ما قصد الوقوف على حقيقتهما وكشف ترددهما وردود فعلهما ٠

وعلى الرغم من ان الشخصيتين لم تحاولا عملا للتخلص من حياتيهما الراهنة الشقية الا انهما غير خاضعتين لقدريهما ، فالعمة تثور وتسخط عندما يكسر الجار الكرسي وتحاول الانتقام لكرامتها المهانة – لكسر الكرسي – باثارة ابن اخيها ضد الجار المعتدى ٠

والبطل ليس مؤمنا بقدره بل هو فاقد الايمان بكل شيء الا بنفسه ٠ وتجد الشبه كبيرا بين شخصية الكاتب وشخوص شالوم درويش في اقصوصة (قافلة في الريف) فكلها تنظر الى حياة افضل تخلصها من الفقر الذى هي فيه ، وتقوم القصة على تحقيق الوحدة العضوية والاثر الموحد ، يسهم كل عضو فيها بقسط كامل في سبيل الوصول الى التأثير النهائي ، فالحادث والموضوع والاسلوب ، كلها لم توجد لذاتها بل ليتفاعل بعضها مع بعض وتخلق الاثر الكامل ٠

والاقصوصة ناجحة فالحدث فيها طبيعي وجميل ونسجها متين يدل على ذوق وتبصر ، والحوار سهل غير متكلف والاسلوب سلس جميل ترسمه عبارات جميلة : « وفيما انا احاول التسلل ببطء اذا بي اجد عمتي لا تزال على الارض وقد جلست القرفصاء وضوء القمر الباهت يضيء لمة من شعرها الاشيب المنهزم من تحت عصابة سوداء ٠ ولم يكن لعمتي اصدقاء في ذلك البيت الكبير ، فقد كانت تهش عن بختها بضراوة وترد الاعين والرغبات بقسوة » ٠

ولا يخلو اسلوبه من نكتة وملحة طريفة تبعث على الابتسام والامل وسط مأساة الفقر الذى تنبعث منه رائحة عفنة لقدمه « ومن اجل الكرسيين الاسودين العريقين في القدم ، كانت لنا في المنزل الكبير قيمة اضافية ، فكانت عمتي شديدة الاعتزاز بالكرسيين اكثر مني » ٠

وتبدأ قصة (في الطريق) بداية حسنة حيث (المونولوج) الذى يترجمه المؤلف عن سعيد فيجيد تصوير حالته النفسية المتألمة ، ويجيد اذ يرينا انه حصر نقطة الخلاص بالزواج من (هدية) وانه لا يبالي ان يعلن عن حقده على المجتمع الذى سحقها ، تلك طبيعة الاشياء ، وضمن طبيعة الاشياء هذه جلا الكاتب مواقف نفسية ذات بال ٠ ثم يسبر الاغوار من خلال السرد والمسرح الذي جرت عليه الاحداث فنعرف شيئا مناسبا عن وصف البيت وعن جغرافية الطريق : « وان كنا نريد ان ندرس العراق في بعض صوره أو في بقايا المجتمع بين مرحلتين تاريخيتين، وجدنا مادة لا بأس بها : السكارى في الطريق ، الدفن في النجف ، الدار الذى يضم عشرين عائلة ، المكان الذى يباع فيه البطيخ ،

مرت الايام وكانت الخلية ـ البيت ـ تزداد اكتظاظا وكثافة وكانت الفتيات تضع التوائم وكأنهن في سباق لاحداث الصخب والضجيج ، وكان تبعا لذلك ان كثرت المعارك اليدوية واللسانية مما اضطره ان يقضي سحابة يومه خارج الدار • وحين عاد ذات ليلة وجد عمته ساهرة تبكي وتندب حظها ولما سألها عن السبب صاحت به : لو كنت شهما لانتقمت وقلبت الارض ظهرا لبطن ولجعلت من الحمال (خلف الجدوع) أمثولة مضحكة ، فان اللعين الحقير اختصم مع زوجته فلاذت المسكينة بغرفتها فتبعها الى الغرفة وأخذ يضربها باحد الكرسيين حتى تهشم فوق رأسها وتناثر في كل مكان ، وسخر الراوي من عمته وسحب الغطاء فوق رأسه بينما شرعت بالبكاء من جديد •

تحمل الاقصوصة دلالات كثيرة واسعة سعة الحياة نفسها ، الدار الكبيرة المستخدمة لاسكان الاسر الفقيرة ، هي نموذج للحياة نفسها ، وما يحدث فيها ليس الا صورة مصغرة لما يحدث في الحياة نفسها من لقاء وفراق وحب وكره وسعادة وشقاء •

لنقرأ مقطعا من الاقصوصة يصف فيه الحياة كما هي في المحيط الواسع لا في الدار فحسب (وكالعادة كانت الحياة تتسع في المنزل الكبير فقد كانت الحياة حياة الناس تتسع فيه فتعقد فيه زيجات جديدة باستمرار ، أما الخيانات الزوجية فيجب ان اضرب صفحا عنها لان الحياة كانت من القسوة والمرارة وعدم التكافؤ بحيث تعطيني في كل مرة دلالات أو مبررات جديدة لتقبل كلما يقع • فقد كان هناك زوجات صغيرات ناعمات في بواكير المراهقة لازواج مسنين الى حد الخوف ، وزوجات متعددات لرجل واحد مهدم بينما يقف صف طويل من الشبان الاقوياء تحطمهم رغباتهم الجنسية ، فاذا ظفر واحد منهم بواحدة ثارت الخلية كلها تبالغ وتهول وتملأ الارجاء بالهوجة والزعيق الى ان يقع ما لا تحمد عقبــــاه » وتعلق العمة بالكرسيين القديمين يمثــلان تعلقها بالحياة نفسـها فهما عتيقان مثلها ، ولكن قيمتهما في نظر المجتمع الصغير ـ سكان الدار ـ اكبر من قيمتهما هي ـ وهذا ما يريد ان يفصح عنه الكاتب ـ ان الانسان لا قيمة له في مجتمع طبقي مادي كالمجتمع العراقي ، وما اهتمامها بهما الا اهتماما بنفسها ذاتها لانها تستمد قيمتها في نظر اهل الدار من تملكها لهذين الكرسيين ، فاذا ما كسر الجار احد الكرسيين في سورة غضب انهارت العمة وعدت ذلك العمل اهدارا لكرامتها • تقول لابن اخيها بعد عودته باكية مولولة « لو كنت شهما لانتقمت ولقلبت الارض ظهرا لبطن ولجعلت من الحمال امثولة مضحكة » وهي تخشى بالاضافة الى ذلك ان يجيء وقت موتها هي كما انتهى كرسيها الى ركام•

اما البطل فهو نموذج للجيل الضائع الذى لا يهمه شيء في الحياة فهو بلا اسم ولا ايمان ولا عقيدة « لا يا ابن اخي العزيز يجب ان تعتقد بشيء ان الانسان بدون عقيدة لا يختلف عن الجرذى » فهو يكره الدار ومن فيه كما يكره الحياة ويهرب منها دائما ولا يعود الا في ساعة متأخرة وكأنه يهرب من الحياة ذاتها ،

استطاع ان يحدد مواقع الشعراء من خلال تعاملهم مع هذا الانقلاب ··

وفي حديث المؤلف عن ثورة رشيد عالي الكيلاني ، ثورة مايس ١٩٤١؛ يختفى السرد التاريخي الى حد قريب ، لان المؤلف ـ كما يبدو ـ حاول ان يتصل بالشعر مباشرة ، دون ان يعرض لاسباب الثورة الا بقدر قليل ، وقد قدم في هذا الفصل نماذج شعرية ـ كعادته ـ وابرز ما فيها كانت نفثات الشعراء واحاسيسهم بهذه الثورة العربية الظافرة التي وقفت تتحدى الانكليز ، وقد وقف الشعب بكل قواه القومية والوطنية يدافع عن الثورة ، وكانت التفاتة كريمة من الباحث وهو يكشف عن شعراء ساهموا في الهاب النفوس ، وتأجيج المشاعر بشعر تميزت خصائصه ، فاغنى الثورة ، وساهم في ايضاح ابعادها وتحديد هويتها ·· كما كشف ـ وهو يعرض لكثير من قصائد الشعراء عن آفاق ضيقة كانت تتحكم في البعض الاخر من الشعراء ، لانهم كانوا يعالجون القضايا الاساسية من خلال عواطف آنية ، وانفعالات موقتة ، على الرغم من الجدية السريعة التي كانت تسيطر عليهم ، وفي ضوء هذا التفسير ، تتهاوى بسرعة كل العواطف وتموت الانفعالات ، وتتبدل الصورة الى حدية معاكسة ، توحى بالاشفاق على هؤلاء الشعراء الذين سفحوا من القصائد والعواطف ما يستحق هذا الاشفاق ·· وهم يقعون في حبال التناقض وسورة الخيانة ، واعماق التزلف والانحدار ··

وكان بودي ان تعقد دراسة مفصلة لهذا الجانب الذي وجدته في معظم فصول الرسالة لانه يشكل التحديد الموقعي لمراكز الشعراء ومدى الالتزام الوطني الذى ظلت كثير من الاسماء تدور فيه حتى هذا اليوم ·· وهى صفحات تضع الشاعر الحقيقي في الموقع الطبيعي الذى يستحقه ، اما اولئك الذين كتب عليهم التلاعب بعواطف الشعب فلابد ان يكون لهم موقع اخر لا يحسدون عليه ·

اما الباب الخامس ((خصائص الشعر الوطني) فهو خلاصة الرسالة وثمرتها وجانبها الفني ، وقد بذل الدكتور الواعظ فيه جهدا كبيرا وتتبعا دقيقا وموازنة علمية طيبة ، استطاع من خلالها ان يحدد ميدان التجديد في الاغراض والمعاني حيث استطاع الشعراء بدوافع اجتماعية واقتصادية وفكرية وسياسية ان يخلعوا عنهم ثوب التقليد والمحاكاة الى حد كبير ، ويدخلوا بشعرهم مدخلا حسنا الى معالجة الموضوعات والاغراض الجديدة التي اقتضتها ضرورة العصر واحداثه الجسام ، غير ان هذا التحرر لم يكن تحررا من قيود الشعر العربي الكلاسيكي اذ ظل محتفظا بشكل القصيدة العام حريصا على الصياغة القديمة الموروثة(١) ·

ولابد لي وانا اقف موقف الاعجاب والاكبار من النتائج التي توصل اليها الباحث ، والموضوعات التي عالجها في سياق بحثه ، من الوقوف عند الجوانب التي ارى فيها الحديث يقتضيني ان اقول شيئا وهى مقولات تمثل وجهة نظري

(١) الواعظ : الاتجاهات الوطنية في الشعر العراقي الحديث / ٤٢٤ ·

لتصوير الواقع النفسي للشعراء ، وهم يقفون امام المشاهد الواقعية ، وقد اقتصرت النماذج على الاستشهاد دون التحليل الفني للشعر المستشهد به - وان كان المؤلف قد افرد بابا خاصا لخصائص الشعر الوطني في اخر الكتاب ولكن خصائصه هذه كانت عامة اقتصرت على التقاط الشواهد ووقفت عند الظواهر ·

ويتابع المؤلف حديثه التاريخي في الفصل الثاني مشيرا الى احتلال الجيش الانكليزي ودخول الجنرال مود الى بغداد وبيانه المعروف ، وما تعرض له العراق من فرض قوانين جائرة كنظام العدل المستورد من الهند ، ودعاوى العشائر المستمد من نظام جرائم الحدود الهندى ، وتقسيم البلاد الى مناطق سياسية ، وتعيين الضباط البريطانيين في المراكز الهامة · واخيرا اشار الى الشعر الذى عبر عن حيوية المشاعر تجاه هذه المظاهر ·· ان التقييم الذى كان يقدمه المؤلف كان يمنح من خلال التعبير المرافق للحدث ، وهو تقويم يقوم على الاستجابة السريعة للحدث ، اما التقويم الفني للشعر المتعلق بالصورة والمعنى والابداع والاسلوب فهي غير واضحة وكأن المؤلف اختص بالحديث عن الشعر التاريخي المقتصر على التصوير الانفعالي المرتبط بالاحداث ، وهذا يعني ان جانبا كبيرا من الدراسة قد اهمل ، وأعود لاقول وان كان المؤلف قد افرد بابا خاصا لخصائص الشعر الوطني في اخر الكتاب ، ولكن خصائصه هذه كانت عامة اقتصرت على التقاط الشواهد ، ووقفت عند الظواهر ·

لقد حاول المؤلف ان يقف عند كثير من المسائل الملحة التي عالجها الشعراء ولاسيما الوضع الاقتصادى المتدهور الذى كان يعيشه العراق ، واضطراب الاحوال المعيشية مما أدى الى انتشار البطالة ، وقد اصبح العامل جائعا ، والفلاح عريانا ، وأغلقت المعامل ، وهي مظاهر اقتصادية واضحة ، كانت تدفع الجماهير الى الوقوف بحزم امام المستعمر المحتكر ، والدخيل المنتفع ، الذي استباح الثروات وبدد الخيرات · وقد استشهد بالاشعار التي وقفت عند هذه الاحداث : الصفحات ١٤٢-١٤٣ ، ١٤٤ ·· وقد انتهى الى حقيقة ثابتة استخلصها من اقوال الشعراء وهي ان الطريق الوحيد للخلاص من الانكليز هو اللجوء الى القوة فهي وحدها الكفيلة بالقضاء عليهم وطردهم من البلاد شر طردة ص ١٤٥ ·

ومن الفصول التي عرض لها المؤلف الفصل الخاص بانقلاب بكر صدقي عام ١٩٣٦ ، وقد استطاع ان يكشف عن رأيه الخاص في هذا الفصل ، وان يتحدث عنه من خلال هذا الرأي ، ويوشك القاريء ان يذهب في كثير من الاحيان مع ما جاء به المؤلف من اسباب الانقلاب ودواعيه والاوضاع التي ساعدت على قيامه ، والايادي التى ساهمت في انجاحه ، وهو سرد غلب عليه الجانب التاريخي ايضا كما غلب على بقية الفصول ، وقد شعرت وانا اقرأ هذا الفصل بشد محكم الى الاسلوب الذى استخدمه المؤلف من حيث العرض والاستنتاج والمتابعة لما كان يدور من خواطر ، ويظهر من اراء ، ويعلو من افكار ·· وقد

عبدالرزاق الهلالي واترك حديث مناقشة المقالتين للمؤلف نفسه لانهما عرضتا لجوانب من الدراسة لا مجال لمناقشتهما في هذا المجال ٠

ومادام الكتاب قد تعرض للاتجاهات الوطنية في الشعر العراقي الحديث ودرس هذه الاتجاهات دراسة مفصلة من خلال ابوابه الخمسة المتعلقة بالاحتلال البريطاني والثورة العراقية والاستقلال وانقلاب بكر صدقي وثورة رشيد عالي الكيلاني وخصائص الشعر الوطني ٠ الموضوعات الوحدة الموضوعية ، الاوزان والقوافي ، اللغة ، المعاني والصور ، العاطفة أقول مادام هذا الكتاب قد تعرض لهذه الابواب المتصلة بالاحداث ، فكان لابد ان يأخذ موقعه عند النقاد المحدثين والمهتمين بشؤون الدراسات الحديثة واخص بالذكر منهم اساتذة الادب الحديث في الجامعات العراقية عامة ، واساتذة الادب الحديث في قسم اللغة العربيـة بجامعة بغداد الذين يعرضون الكثير من هذه الموضـوعات في تدريسهم . ويناقشون كثيرا من هذه المسائل مع طلبتهم ٠٠

ان هذه الظاهرة ملموسة في النتاجات الادبية التي تقدم وهي على الرغم من صلتها المباشرة مع كثير من اختصاصات اساتذة الجامعات الا اننا لم نتلمس المردود العلمي سلبا او ايجابا لهذه النتاجات ، وهي ظاهرة غير صحية تعكس واقعا علميا غير سليم ، وتكشف عن متابعة غير دقيقة لممارسات ذات صلة مباشرة بالعمل الوظيفي ٠٠٠ أن المفهوم النقدي الذى يجب ان يسود هو وضع الكتاب المنشور في الموقع المناسب حتى يكون القاريء والباحث والطالب على علم بالقيمة العلمية للكتاب ، ليستطيع ان يحدد موقفه منه سلبا او ايجابا ان اكداسا من الكتب تطبع ، واكداسا من المقالات تكتب ، وبعضها له صلة مباشرة بموضوعات كثيرة من الاساتذة ــ لا في قسم اللغة العربية وحده ــ وانما في جميع الاقسام ، ولكننا لا نجد اصداء لهذه الكتابات وهى من الظواهر الخطرة التي تمر بها الحركة الثقافية المعاصرة ، لما يحمل بعضها من مضاعفات في تركيز المفاهيم العقيمة ، وتشويه القيم الاصيلة ، وتوجيه الحقائق غير الوجهة المطلوبة. واساتذة الجامعات والمثقفون يتحملون هذه المسؤولية ٠

اعود لاقول انه من الصعب الاحاطة بمثل هذا الكتاب الكبير وهو يعرض لاكثر من قضية ، ويعالج أكثر من موضوع ولكنني ساحاول الوقوف عند بعض المظاهر البارزة التى وقف عندها الباحث ٠٠

ان طابع الدراسة في الفصل الاول طابع تاريخي ، عرض فيـه المؤلف للاحداث التي رافقت استيلاء الانكليز على العراق ، ووضع القوات العثمانية ، وموقف الشـعب العـراقي من الصـراع سلبا وايجابا وانعكاسات الانتصار ، والاخفاق على حركة الشعر العربي وتحديد بعض مواضع الشعراء الذين رحبوا بدخول الانكليز ، واستبشروا بزوال الدولة العثمانية ، ويقف عند الصحيفة التى كانت لسان حال اولئك الشعراء الذين كانوا ينشرون قصائدهم باسـماء مستعارة ٠٠

وهي دراسة تاريخية ، اطارها الاحداث ومحتـواها نوازع الصـراع ودوافعه ، اما الشعر فكان دوره ثانويا يستشهد به المؤلف من خلال الاحداث

قراءات في كتاب

الاتجاهات الوطنية في الشعر العراقي الحديث

تأليف الدكتور رؤوف الواعظ
عرض ونقد الدكتور نوري حمودي القيسي

الكتاب الذى اتحدث عنه كتاب جليل في مادته واسلوبه ومنهجه ، ومن الطبيعي ان يكون جليلا ، لانه رسالة نال بها مؤلفها الدكتور رؤوف الواعظ رتبة الدكتوراه ، وهو كتاب جليل لان مؤلفه عرض لفترة ادبية طويلة تشعبت فيها الاحداث ، وتعددت الاتجاهات ، وتميزت المشاعر ، واخذت ابعادا شعرية متفاوتة ، اختلط فيها الشاعر المبدع والشاعر الناظم ، وتألقت في سمائها الاعلام التي غمرتها الاحداث ، وخمدت في اتونها الاعلام التي ظلت طوال سنين ممجدة محمودة .. وهو جليل لانه عالج قضية حساسة لها صلة وثيقة باحداث التاريخ المعاصر ، وصلة وثيقة بوضع الاسس التي تم بموجبها تحديد الاصوات الجديدة والاصوات الوطنية والاصوات التي ساهمت في هذه الاتجاهات ..

ومن الطبيعي ايضا ان يجر هذا البحث الى متابعة دقيقة للمصادر والمراجع التي تناولت هذه الفترة ، وقد توزعت بين دواوين الشعر ـ وهي كثيرة ـ فيها المخطوط والمطبوع ، وبين الكتب التي وقفت عند احداثها ، او اشارت اليها او عرضت الى جانب منها أو ظاهرة من ظواهرها ، وبين قصائد ومقالات تناثرت في الصحف والمجلات العراقية والعربية ، وهي متابعة يدرك الباحث اتعابها ويعرف الدارس دروبها ومشقاتها ، ومن يحاول تقليب بعض صفحات الكتاب تتجلى له حقيقة هذا العناء وتبرز له قسمات الجهد وليس لي وانا اقرأ هذا الكتاب القيم الا ان اهنىء المؤلف الدكتور الواعظ التهنئة العلمية الكريمة ، واكبر العمل العلمي الجليل الذي استطاع فيه ان يزيح استاراً من الظلام عن فترة ظل كثير من جوانبها مجهولا على الرغم من صلتها القريبة ، وعلى الرغم مما كتب فيها او أرخ لها ..

ان الكتاب لم يكن كتابا ادبيا بحتا ، وانما هو كتاب الاحداث البارزة والتاريخ المتداخل والاتجاهات الوطنية والالمام المستفيض لكثير من الجوانب التي ما تزال المعلومات بشأنها قاصرة ، والاخبار مبتسرة والاحكام غير مستكملة ..

طبع الكتاب عام ١٩٧٤ ، وهو من منشورات وزارة الاعلام ـ سلسلة الكتب الحديثة العدد ٦٤ وقد ظهرت عن الكتاب مقالتان الاولى نشرت في صحيفة طريق الشعب ، في حقل الثقافة يوم الثلاثاء ٢٢ـ١٠ـ٧٤ بقلم السيد عبداللطيف الراوي والثانية نشرت في مجلة البلاغ العدد الاول السنة الخامسة بقلم الاستاذ

للمؤلف مصلحة في تشويه هذه الشخصية او تلك ، وهذا لا يمنع ان يكون للكاتب موقف ما ولكن هذا الموقف لا ينضح من خلال تقرير اسود وانما من خلال الموقف العام للعمل الفني ذاته ٠

وقد ظهرت له غير هذه القصة كتاب باسم « عفيفة » وهو سيرة ذاتية لراقصة معروفة في بغداد احبها المؤلف في شبابه(٢٠) ٠ وقد اثار كتابه ضجة في صحف بغداد لان العراقيين مازالوا ينظرون الى الراقصات نظرتهم الى الساقطات الرخيصات من النسوة ٠ والكتاب لا يحتوي العواطف التي تحملها قطع لطفي في حديثه عن حبه كما فعل في مجموعته « أصداء الزمن » ولا يحوى حبكة القصة الفنية كما هي الحال في قصته « في الطريق » ولكنه أشبه بتلك القصائد يقولها الشاعر لا يحدوه الى قولها الا بحثه عن عطية ينتظرها من الامير (٢١) ٠ وقد رأيته يكثر الحديث عن قوة عفيفة في استحضار النكتة اللاذعة وعن تنزهها عن النكت المفضوحة ويتحدث عن فنها وذوقها في ترتيب حديقتها ٠

ـ للحديث صلة ـ

---

(٢٠) انظر رسالتنا « القصة القصيرة في العراق بعد الحرب العالمية الثانية » ٠

(٢١) انظر جميل سعيد « التيارات الادبية الحديثة في العراق » ص ٣٨ ٠



الشعراء الاخرون الذين وقفوا موقفا صريحا من الملك هم القادرون على استشفاف الحقائق ، واستبطان الاحداث التي كانت تشد الملك بعجلة الاستعمار وكان بودي ان يقف الباحث عند هذه الظاهرة ، ويميز بين هذين الصنفين من الشعراء ٠

٨ – يميل الدكتور رؤف الى شرح النصوص ، ويتخذ من هذه الشروح التي تحيط بالقصائد احاطة آنية احكاما يفرضها على الاحداث ، ويفسر بها الظواهر وقد اصبحت هذه الطريقة منهجا يلتزم به في معظم ابواب الكتاب ، وقد افقدت هذه الطريقة كثيرا من أبواب الكتاب قدرتها على تقديم المعطيات الادبية التى حفل بها هذا الشعر ٠

٩ – هناك ظاهرة اخفاق تبدو من خلال بعض قصائد الشعراء ، فالشعراء على الرغم من الثورة التي تنتابهم ، والعزم الشديد الذى يتميزون به ، والاضطهاد والسجون التى لا يعبأون بها ، نجدهم في كثير من الاحيان يخضعون لظاهرة الحزن ، وتمتلكهم الحسرة على الحق المضاع ، والشرف المستهان فيروحون يندبون الحظ ، ويعربون عن خيبة الامل لما اصاب البلاد من خسران مبين هذه ظاهرة يؤكدها الباحث في كثير من دراساته ٠ وكنت ارغب في ايضاح عوامل الخيبة ، والوقوف عند المسببات الحقيقية ، لان الشعراء كانوا يفصحون عن بعضها من خلال الحسرات ويعربون عن اجزاء من ملامحها من ثنايا الابيات (الصفحات ١٣٨ ، ١٣٩) ٠

١٠ – يذكر الباحث الشاعر محمود الملاح ، وهو يلقى قصيدة يرحب فيها بالملك البرت عاهل البلجيك الذي زار العراق (الصفحة ١٤٢) ولكنه لا يحدد لنا زمن الزيارة واسبابها وما جرى فيها ووقع القصيدة ومن ساهم من الشعراء الاخرين في هذا الاحتفاء ٠٠

١١ – يركز كثير من الشعراء في قصائدهم على نقاط معينة ، تتعلق بوضع سياسى او تمجيد عمل بطولي ، او نقد وضع غير سليم ، او تفنيد سياسة معينة ، وهى ظواهر بارزة وقف عندها الشعراء ، وكنت أود ان يقف الباحث عندها مجتمعة دون تكرير ايرادها في مواضع متعددة كما وقع في رد حجة الانكليز بانهم جاءوا محررين لا فاتحين او دعوى وعودهم في الاستقلال (الصفحات ١٤٢ ، ١٥٢) ٠

١٢– لقد ترك الدكتور الواعظ في نهاية فصل ثورة رشيد عالي الكيلاني سؤالا وهو يتحدث عن الصافي النجفي حيث يقول : ولكن هذا الحصاد يثير امامنا التساؤل التالى ، ترى لماذا لم يتعرض بالمديح لزعيم الثورة ، أو لضباطها الاحرار ، كما فعل بقية الشعراء ، ان امر ذلك غريب ولا جواب عليه هذا التساؤل يمكن ان يكون غريبا ، ويظل غريبا لو انعدمت وسائل الاتصال بالشاعر الصافي النجفي ، والذى اعرفه ان الدكتور الواعظ كتب الرسالة منذ مدة والصافي النجفي حي يرزق وما يزال ، وكان بامكانه الاتصال به والاستفسار منه مباشرة لتبديد علامة السؤال الكبيرة التي ظلت حائمة حول هذه الصفحات ٠٠ (الصفحة ٣٠٨) ٠٠

المتصلة بموضوعات الرسالة دراسة مستفيضة ، وتوحد اعمالهم ، او ينبه اليها ، لتكون موضوعات جديدة في دراسة الشعر الحديث ·

٤ ـ اعتبار رد الفعل الذى يعبر عنه الشعراء ظاهرة عامة ، وهذا الحكم له خطورته في التقييم الوطني ـ الصفحة ١٣٤ ، علما بان الدكتور رؤف قد اشاد بالتضحيات الكبيرة التي قدمها الشعب ، ولكنه اذا وجد شعورا فرديا عند شاعر عممه ـ الصفحة ١٣٩ ، والذى اراه ان الشعراء كانوا يحاولون استثارة الهمم من خلال تصوراتهم ، فهم يريدون ان ينبهوا الشعب ليسترد المجد باتحاده ، ويعتق الحر من استرقاقه ، ويطلق المأسور من اصفاده · ثم يؤكد الباحث ان الشعب العراقي بأسره يعد الطريقة الوحيدة للخلاص هى اللجوء الى القوة ـ الصفحة ١٤٥ ·

٥ ـ يثير الصافي النجفي ـ الصفحة ١٣٦ ظاهرة خطرة كانت من الاسباب التي أدت بالعراق الى ان يعاني من شراذم التجنس (لغير العرب) والاخلاط ما يعانيه ··

لا يعرفونك ان حقولك أجدبت	بل يعرفونك اذ يحين خراج
كم من عدو بالتجنس داخل	بحشا العراق وحكمه الاخراج
كثر الخليط به فان لم تبتعد	اخلاطه لم يشف منه مزاج

كان بودي ان تعالج هذه الظاهرة بما تستحق ··

٦ ـ في موضوعات الرسالة تداخل واضح في الاغراض وطريقة المعالجة لان كثيرا من الشعراء الذين استشهد المؤلف باشعارهم يعالجون مجموعة من القضايا المتداخلة ، فالحديث عن الاستعمار واعوانه والمعاهدة والعبودية واستغلال الثروات والدعوة الى الثورة كلها كانت تأتي في موضع واحد على الرغم من ان المؤلف كان يفرد لكل واحد من هذه الموضوعات بابا او فصلا ، وهذه الظاهرة كانت تتكرر في كثير من الابواب كما هو الحال في فصل الاستقلال ··

٧ ـ الحديث الذى تحدث به المؤلف عن موقف الملك فيصل الاول انه كان بين اثنين بين هذا الشعب الذى يتطلع الى الحرية والاستقلال استقلالا لا شائبة فيه ، وبين الانكليز الذين كانوا يضربون بعرض الحائط هذه الامال والتطلعات ، ولذلك امسك بالميزان من وسطه ، وراح يعالج الامور معالجة جادة حكيمة ويرسم سياسته وفق القاعدة المعروفة (خذ وطالب) ·· الصفحة ٢٠٧ هل هذا الاستنتاج استنتاج ذاتي اهتدى اليه المؤلف من خلال دراساته ، ام هو استنباط استخرجه من اقوال الشعراء الذين بدأوا يحثون الناس على الوقوف الى جانبه ·· (عبدالحسين الازرى ، محمد حبيب العبيدي ، ناجي القشطيني ، ابو المحاسن) ·· اعتقد ان الذى ذهب اليه المؤلف كان بعيدا عن الحقيقة ، لان هؤلاء الشعراء وغيرهم كانوا ينطلقون في مديحهم من مواقع اخرى ، ومقدمات قصائدهم تدل على هذا ، ولكنهم حاولوا ان يبرروا هذا الانطلاق بما ذهبوا اليه من أسباب غير مقبولة ، وكان

المعتمدة في تحديد هذه الاراء لنتبين التطور الحاصل من متابعة التاريخ ، وكذلك الامر بالنسبة للكاظمي ٠

وفي الصفحة ٩١ يقول المؤلف ٠ وقد كان لهذه القصيدة التي اشار اليها اكثر من مؤرخ اهمية خاصة ، لانها تمثل اخطر مرحلة من مراحل الثورة وهي مرحلة الاستعداد والتوثب وقد وصفها احدهم ٠٠ والمعروف ان احدهم هذا يجب ان يسمى لان الرسائل العلمية لا يمكن ان تقبل فيها مثل هذه الرموز لخطورتها في عالم البحث ٠٠

وفي الصفحة ١٢٨ يذكر الاسباب التي دفعت الملك فيصل الى اختيار اليوم الثاني عشر من ذي الحجة ١٣٣٩ ليكون هو اليوم الذي يبايع فيه دون ان يحدد لنا المصدر الذي اعتمده في تفسير ذلك ٠ وهناك مواضع أخرى لا اريد الاطالة فيها ٠٠

ثانيا : المسائل الموضوعية :

في حديث الدكتور رؤوف عن معاهدة ١٩٢٢ انتهى الى نتيجة هي ان الشعر لم يعط هذه المعاهدة كل ما عنده من طاقات ٠ فهو والحق لا يتناسب واتساع الجو الذى اظلمته الدسائس والمؤامرات ، ولا يتمشى مع ذلك التحدي الكبير الذى شاركت فيه جموع الشعب ، وعلى رأسها تلك المجموعات الوطنية الواعية ٠٠ (صفحة ١٧٠) ٠

لقد قال الدكتور رؤف ذلك ، وتركنا حائرين في تعليل الاسباب ، وتحديد المواقع الحقيقية للشعر والشعراء ، وضن علينا بما كان يدور في ذهنه حول هذه الاسباب والذى كنا نأمله ان يسبب لنا الباحث هذه الظاهرة ، وهل حقا استطاع ان يجمع كل ما قيل فيها من شعر حتى يقدم مثل هذا الحكم ٠٠ وهل قدم لنا الدراسة الكافية لطبيعة هذا الشعر حتى يحكم عليه مثل هذا الحكم ٠٠

٢ ـ اطلق الدكتور رؤف عبارة ظاهرة غريبة ، ويريد بها عدم اشتراك الشعراء الكبار ، الرصافي ، الكاظمي ، الشبيبي ، علي الشرقي ، في تأييد الثورة ، وهي حقا ظاهرة ، ولكن الاسباب البسيطة التى اوردها غير مقنعة سواء كانت صادرة عن اصحابها او علل بها الكتاب اسباب نكوصهم كنت آمل ان اجد تفسيراً واضحا لهذه الظاهرة لخطورتها ، وتفسير اسبابها وما ترتب عليها ، وموقف الوطنيين وموقف المحتلين منها ، وهي تفسيرات يمكن التوصل اليها من خلال المتابعة الدقيقة والتفسير السليم والتصور العلمي الصائب ٠

٣ ـ في الرسالة مجموعة من الشعراء المغموزين الذين اغفلتهم الدراسات ، وطويت اشعارهم ، على الرغم من الدور الكبير الذى ساهموا به في الثورة سلبا أو ايجابا ٠ واذا قدر لدواوين بعضهم ان تظهر فهي دواوين خالية من الدراسة والتحليل ، امثال محمود نديم الملاح وكاظم السودالي والحويزي وعبدالحسين ملا احمد وعلي الخطيب وناجي القشطيني وحسين كمال الدين وحسن الجواهري وعبدالرزاق الناصري وعبدالكريم العلاف ومحمد بجهة الإثري ومهدى صالح وغيرهم ٠ وكان بودي ان تدرس ظواهر هؤلاء الشعرية

الخاصة في هذا المجال ، ولعل الاساتذة الافاضل لهـــم اراؤهم الاخرى التي يستطيعون الافصاح عنها والتعبير عن مضامينها من خلال المناقشة او الكتابة ويمكن حصرها في الابواب الاتية :

اولا : المسائل الشكلية او الفنية :

أ – الذي يعاود النظر الى الكتاب ، ويدقق في أبوابه وفصوله يجد اختلافا في عدد الفصول التي تضمنها الابواب ، ويجد اختلافا في عدد الصفحات داخل الفصول نفسها ، فالباب الاول فيه فصلان ، والباب الثاني فيه ثلاثة فصول ، الباب الخامس فيه ستة فصول واما عدد الصفحات فهي تتراوح بين اثنتين واربعين كما وقع في الفصل الاول من الباب الاول ، والفصل الاول من الباب الثاني والفصل الثاني من الباب الثالث والفصل الاول من الباب الرابع وبين سبع وثلاثين صفحة او ما يقاربها كما وقع في الفصل الثاني من الباب الثاني والفصل الثاني من الباب الرابع والفصل الخامس من الباب الخامس ٠

وبين ثلاث عشرة صفحة وعشر صفحات كما وقع في الفصل الثالث من الباب الثاني والفصلين الاول والسادس من الباب الخامس وبين آربع صفحات كما وقع في الفصل الثاني من الباب الخامس ان هذا الاختلاف في عدد الفصول داخل الابواب وعدد الصفحات داخل الفصول يشكل اختلالا وتفاوتا في الرسالة والمفروض ان يكون التناسق هو الذى يسود الفصول وينسق الصفحات ٠

ب – يورد المؤلف بعض العبارات المهمة ، وكان الاولى ان تحدد ، ففي الصفحة ١٦ يقول : وفي هذا الخصوص يقول احد ساستهم والمفروض ان يحدد هذا السياسى ليكون القارىء على علم بهويته ونزعته وموقعه ٠

ويذكر في الصفحـة ١٧ تصريحا لتشرشل في مجلس العمـوم البريطاني في تموز ١٩١٣ ويجعل مصدره كتاب عــلى طريق الهند لعبدالفتاح ابراهيم والمفروض ان يكون الاعتماد على النص الاصيل ٠

ويذكر اعداداً هائلة من الشعراء المغمورين امثال عبدالمطلب الحلي وعطاء الله الخطيب وعلي البنـــاء وعبدالحسين الحويزي وجميل احمـد الكاظم وحسـن الجواهري وعبدالرزاق الناصرى وعبدالهادى الجواهري ومهدي صالح وايوب صبري القيسي وعلي الخطيب ومحمود نديم الملاح وكاظم السوداني وعشرات من الشعراء الاخرين ، ويعتمدهم في تقرير كثير من الحقائق ولكنه لا يقدم لنـا تعاريف بهؤلاء الشعراء ومتى عاشوا ومتى كانت وفياتهم وهل لهم دواوين مطبوعة ٠٠

ويورد في الصفحة ٢٥ قصيدة لابي المحاسن التي حذف منها اسم الخائن المقصود في القصيدة ، وكان الاولى بالدكتور الواعظ ان يشــير الى اسـمه في الهامش خدمة للتاريخ وانصافا للرجال ٠

ويورد في الصفحة ٢٨ لفظة الشعيبة وفي بعض الصفحات مواضع أخرى دون ان يحدد مواقعها في هامش البحث لان الكتاب ليس للعراقيين وحدهم ، وفي الصفحة ٥١ يذكر الباحث في مجال حديثه عن خيري الهنداوي مجموعة م ارائه من خلال شعره ونثره ، وكنت آمل ان يحدد الباحث لنا تاريخ النصوص

١٣ـ اطال المؤلف في حديثه عن الشاعر جميل الكاظمي حتى استغرق من الكتاب عشر صفحات ، وهو استقصاء لم يفعله المؤلف مع أي شاعر آخر ، ولم يكن من الدوافع ما يحمل على هذا الاستقصاء ٠٠ وهي ظاهرة استغربتها وانا اطيل القراءة (الصفحات ٣١٦ـ٣٢٥) ٠

١٤ـ لقد بذل المؤلف جهدا محمودا في حديثه عن خصائص الشعر الوطني ـ كما قلت في المقدمة ويكاد يكون هذا الفصل من امتع فصول الرسالة لما بذل فيه من محاولات في تحديد اطراف هذه الخصائص وقد استطاع المؤلف ان يتوصل الى مجموعة منها ـ وان كانت هذه المحاولة غير مستكملة لاسباب كثيرة تتعلق بالميدان الفسيح الذى شغله البحث والموضوعات المتعددة التي وقف عندها الباحث ، والمواضع المترامية التي نشرت أو طبعت فيها مواد البحث ، واعتقد ان الاساتذة الافاضل يدركون المتاعب الكبيرة لتي تعترض الباحث في مثل هذه الاحوال ٠٠ ومع هذا فقد كشف الباحث عن اتجـــاه واضح عند الشاعرين الزهاوي والرصافي نحو المستقبل الجمهورى ، وهو ما لم يعرض اليه بقية الشعراء ، وقد استطاع هذان الشاعران اظهار خصائص هـذا النظام ، ووقف الزهاوى عند الجمهورية المستقلة واودع رأيه هذا في كتابه المجمل مما أرى المطبوع عام ١٩٢٤ وفيه افرد فصلا خاصا بعنوان الجمهورية المستقلة ، وقد تصور في هذا الفصل امكان قيام نظام جمهوري للحكم في العراق وفي سائر دول العالم (الصفحة ٣٤٠) ٠

اما بالنسبة لخلو الشعر من اللون الحزبي الذى ذكره المؤلف في (الصفحة ٣٤٢) لان الاحزاب السياسية لم يكن لها اثر في هذا الشعر ، فهذا حديث اظنه غير مستوف لشروط البحث ، وان دراسة دقيقة لقصائد الشعراء الذين عرفوا بانتماءاتهم الحزبية او تأييدهم لاحزاب معينة توضح ابعاد هذا الشعر الذى كانت سماته تأخذ حدودها من خلال المفاهيم والمصطلحات والشعارات في بعض الاحيان ٠٠

وسأقف مع الدكتور رؤف وقفة اطول وهو يخوض ميدان وحدة الموضوع لانه عد كثيرا من قصائد الشعراء خارجة عن هذه الوحدة ، ولكنه عد بقيتهم من الذين يستطيعون ان ينفذوا الى الموضوع الاصلي مباشرة ، وينساقوا وراء المعاني التي يريدون ذكرها للتعبير عما يخالجهم من اراء وافكار ، اقول هـذه النظرة لا يمكن فصلها بهذا الشكل ، وان القاعدة التي اعتمدها في اثبات هـذه النظرة يمكن تطبيقها على الصنفين من الشعر الذي استشهده المؤلف ، وعندها يتضح لنا ان كل القصائد متشابهة ، ولو حاولنا متابعة ما ذكره الدكتور رؤف من قوله « ان من ميزة الرصافي في شعره السياسى محافظته على وحدة الموضوع » (الصفحة ٣٥٠) لوجدنا ان ما ذهب اليه الشاعر غير وارد في الميزان الـذى وضعه الدكتور رؤف ، فاول قصيدة سياسية في ديوان الرصافي الى الامـة العربية تتضح هذه الحقيقة ، فالشاعر يتحدث عن مسائل كثيرة فيقول :

بيتر مصافحا :
ـ هاى ٠٠ كيف حالك ؟
ـ بخير
ـ التعب يلوح على محياك
ـ خرجت توا من المكتبة ٠
ـ ماذا تقول في قدح من الشاى ؟
ـ ضرورى ٠
وعندما دخلنا البيت ، قدم لي زوجته التي فتحت الباب ، والتي كانت في اواسط العمر :
ـ السيد عراقي يدرس هنا في الجامعة ٠٠ زوجتي روزميرى ٠
كان يقدمني الى زوجته بلهجة رسمية ، ورغم انها حيتني بمرح وسرور ، الا اني شعرت ان زيارتي فاجأتها ، فاوضح الزوج :
ـ حبيبتي ٠٠ كوبان من الشاي يردان الينا الحرارة ٠٠ هل جاء توم ولوسي من المدرسة ؟
واشار الي بالجلـــوس ، واســـرع الى مدفـــأة غازيـــة فاشـــعلها
ـ الجو قاس في بلادنا ٠٠ لابد ان بلادكم دافئة على كل حال ٠
ـ هي كذلك ٠٠ هل عملت في بلد خارج انكلترا ؟
ـ في الحقيقة لم تسنح لي الفرصة ، فانا اسكتلندي ولكنني تربيت في دوفر ، حيث كان ابي موظف كمارك في الحدود وعملت بعدها في لندن ، حيث التقيت بزوجتي ، وهي ويلزية كما ترى ٠
واشار الى مكتبة في ناحية الغرفة ، قد قسمت الى رفوف عدة ٠
ـ اشترى الكتب بين الحين والاخر ٠٠ عندى من الكتب حديثها وعندي ما خلفه لي ابي ٠٠ ولكن من يجد الوقت الكافي للقراءة ؟ لابد من راحة بعد عمل يوم كامل ٠
وابتسم عندما دخلت زوجته ، اذ تناول كل منا كوبـــه ٠٠ وجلست روزميرى وبيدها كوبها ايضا حيث قال :
ـ يا حبيبتي ٠٠ السيد عربي من العراق ، جاء الى هنا ليدرس الفلسفة العربية كما اخبرني ٠٠ كم هي عجيبة كمبرج ؟
١٥ـ١ـ١٩٧٠
لم تكن زيارة مفاجأة ، قدوم بيتر في الثامنة من مساء هذا اليوم ٠ اذ كنت قد التقيت به مصادفة قبل يومين ، وانا في طريقي من الكلية الى مكتبة الجامعة ، حتى سمعت من يصيح بصوت عال :
ـ هبيبي !
ـ او ٠٠ بيتر
ـ لم نرك من مدة ؟
ـ الا ترى هذا الجو البارد والعمل المتواصل يجعـــلان الانسان ينسى الاصدقاء ؟ اليس كذلك ؟

وداعاً يا صديقي ..

الدكتور ناجي التكريتي
عضو اتحاد المؤلفين والكتاب العراقيين

٢٥ـ١١ـ١٩٦٩

ابتسم وهو يشير الى ملابسي المبتلة ، اذ كنا قد اخذنا مكاننا في مقعدين متجاورين ، في الباص الذى اسرع ، ورذاذ المطر ينفث على الزجاج رشقات متسارعة ، وتصفح وجهي ، فميزت سحنة وجهه الحزينة وخصلات الشعر البيضاء التي كان قد مشطها باناة الى الوراء :

ـ لابد انك غريب عن البلد ؟

ـ نعم

ـ لا تترك مظلتك ، فجو هذا البلد لا يرحم ٠٠ هل مضى عليك زمن طويل هنا ؟

ـ اكثر من سنتين

ـ عظيم ـ انك تأقلمت ، ولكن جونا يخدع في اغلب الاحيان ٠٠ هل اعجبك البلد ؟

ـ احب كمبرج ٠

ـ هل هي جميلة في عينك ؟

ـ جدا

ـ انها مدينة سياحية لاشك في هذا ٠

ـ ومدينة علم ايضا ٠

ـ اين تسكن ؟

ـ في ٢٨٧ شارع التلال ٠

ـ عظيم ٠ انني اسكن في نفس الشارع ٠٠ الا انني انزل في منطقة قبلك ٠٠ ها ان الباص يقترب ٠٠ نراك

ـ نراك ٠

٣ـ١٢ـ١٩٦٩

كان الباص مزدحما ، حيث كنت اقف وسط كتلة بشرية تتمايل مع تارجح السيارة ، ولم اتوقع وجود بيتر الذى لوح بيده من فوق الرؤوس :

ـ آلو

ـ هلو بيتر

وما ان اقتربت السيارة من مناطق سكنانا ،حتى خفا الزحام قليلا ،فاقترب

الغالب ـ وراء البحور الطويلة ، لان فيها مجالا واسعا لاستيعاب المعاني والافكار التي تحتوي على المحاجة والجدل ، والمفاخرة والمناظرة ، واذكاء روح الثورة في الجماهير ، فهذه البحور ذات الاتساع الموسيقى هي اكثر قدرة على التعبير عن هذه الافكار ، في حين انهم لم يلتزموا في الفنون الاخرى مثل هذا الالتزام (الصفحة ٣٥٦) والذى اراه ان هذه القاعدة لا يمكن تطبيقها على الرصافي باعتباره شاعر سياسة وقد وجدت ان كثيرا من قصائده السياسية نظمت على أوزان البحور القصيرة ولعل اشهر هذه القصائد قصيدته :

يا قـــوم لا تتكلموا ان الكـــــلام محرم
نامـوا ولا تستيقظوا مـا فـاز الا النوم
وتأخروا عن كل مـا يقضي بـان تتقـدموا

وهناك قصائد اخرى مثل قصيدته يا محب الشرق التي كرم بها المستر كراين الثري الامريكي :

يا محب الشـــرق اهلا بـــك يـا مستر كراين
مرحبـــا بالزائر المشــــهور في كـــل المــدائن
مرحبـــا بالقادم المشـــــكور في هـــذي المواطن
فضلكم بـــاد عـــلى الشـــرق وشكر الشرق عالن

وقصيدته :

دار ذا الدهـــــر مداره فـــرأى الناس أزوراره
كل فعـــل الدهر فعل فيــــه للحـــر اثاره
اهــل بغـــــداد أفيقوا من كرى هـــذي الغراره
ان ديــك الدهر قد با ض ببغـــــداد وزارة

وهي قصائد سياسية معروفة ، الا انها جاءت على أوزان مجزوءة ..

لقد بذل المؤلف جهدا في متابعة احرف الروى في القوافي ، وقدم نماذج استطاع ان يدلل فيها على نجاح او اخفاق الشعراء في استخدام هذه الحروف ، كما استطاع ان يوفق بين هذه الحروف ، والاغراض التي استعملت فيها ، وهى دراسة جيدة لها مدلولها العلمي ..

اما الفصل الذى تحدث فيه المؤلف عن اللغة فكنت المس فيه اثر التعسف لان الباحث حاول ان يمنح الاوصاف لبعض القصائد ، ويلبسها من الالفاظ ما يصورها قادرة على قبوله .. ومن الانصاف ان أعد فصل المعـاني والصـور والعاطفة من الفصول التي انفق في اعدادها جهوداً محمودة .

ان الباب الخامس من الكتاب (خصائص الشعر العربي) يعد قمة العمل في الرسالة ، وغاية المتاعب الطويلة التي انفقها الباحث .. اهنيء الدكتور رؤف الواعظ على هذه الرسالة الجليلة والسلام .

هو الليل يغريه الاسى فيطول ويرخي وما غير الهموم سدول
ابيت به لا الغاربات طوالع علي ولا للطالعات أفول
وينشر فيه الصمت لبدا مضاعفا فتطويه مني رنة وعويل
ولي فيه دمع يلذع الخد حره وحزن كما امتد الظلام طويل
بكيت على كل ابن اروع ماجد له نسب في الاكرمين جليل
يليح من الضيم المذل بغرة لها البدر ترب والنجوم قبيل
من العرب : أما عرضه فموفر مصون ، واما جسمه فهزيل ٠

ويستمر الرصافي في هذه القصيدة معرجا على مواضع كثيرة يرعى الله فيها أهل الفصاحة ٠٠ وينظر الى عرض البلاد وطولها ٠٠ ويرسل دمع العين فينهل جاريا ٠٠ فيعبر ثلثي القصيدة ٠٠ حتى يصل الى قوله :

أأمنع عيني ان تجود بدمعها على وطني اني اذن لبخيل ٠٠
فان تعجبوا ان سال دمعي لاجله فان دمي من أجله سيسيل

ومثل هذه القصيدة قصيدة في معرض السيف ٣٩١ ، وفي ليلة نابغية ـ ٣٩٧ وفي بعد براح الشام ـ ٤١٢ وغيرها من القصائد التي اصبحت سمتها واضحة عنده وانها لا تباشر الموضوع في الوهلة الاولى ولكن يمهد لها ما يقرب الاتصال ويفتح الطرق ويهيء الاذهان ٠

ومثل هذه الوقفة اقف عند فصل الاوزان والقوافي الذى قدم له الدكتور رؤف ببحث مستفيض عن أوزان الشعر وذكر رأي الزهاوي واطال في ذكره ثم اشار الى رأي الرصافي وبعدها عقد مقارنة بين نسبة شيوع الاوزان الشعرية بعد ان استقرأ ما لديه كما يقول « فان قسنا هذا نرى ان الكامل قد هزم الطويل الذى كانت له الصدارة عندهم ٠ وكان يؤلف ما يقرب من ثلث الشعر العربي ، وان بحر الخفيف قد تقدم على بحر البسيط الذي كان أكثر منه في نسبة الشيوع اما نسبة الوافر فظلت واحدة تقريبا (الصفحة ٣٥٦) ٠

ولعل الدكتور الوعظ يدرك قبل غيره ان هذه العبارات تظل حائرة حتى تستطيع الوقوف باحصائية دقيقة تكشف عن ذلك ، وقد سبق الى هذا الميدان الدكتور عبدالله الطيب المجذوب في كتابه المرشد الى فهم اشعار العرب وصناعتها ، وحسن صنعا الدكتور رؤف لو جعل كتابه مصدرا من مصادر دراسته في هذا الباب لانه من رواده ٠

ومن الغريب ان يقول الدكتور رؤف بعد سطرين من هزيمة الطويل واندحار البسيط وتقدم الخفيف وانتصار الطويل ٠٠ يقول « ويتضح من هذه النسب ان هؤلاء الشعراء ظلوا محتفظين بنسب القدماء تقريبا ٠٠ (الصفحة ٣٥٦) وهي عبارة توحي بوقوع التناقض وتداخل التضاد في جملتين متقاربتين ٠٠

ووقفة اخرى اقفها عند حديث المؤلف عن اختيار الاوزان حيث يقول ويظهر اثر الاحداث السياسية في هذه الاوزان بوضوح ، اذ انساق الشعراء في

ـ لا ٠٠ لم اقصد هذا ٠٠ في الحقيقة انا دائم ال ٠٠
ـ ماذا ترى لو تزورنا ذات مساء ؟
ـ انا ؟ انت الذى دعوتني في المرة الماضية ، وارجو ان تقبل دعوتي انت ٠٠ اليس كذلك ؟
ـ هل سأزورك بعد غد ، في الساعة الثامنة ٠٠ هل الوقت مناسب ؟
ـ مناسب
ـ باى
ـ باى

: ⊙ :

وما ان استقر على كرسى قريب للمنضدة حتى استأذنت لاعداد القهوة في المطبخ وما ان رجعت احمل فنجاني القهوة بيد ، وادفع الباب داخلا باليد الاخرى ، حتى الفيته يقف مواجها خريطة للعالم ، معلقة على الجدار ، وهو يمرر طرف اصبعه بحركة مضطربة غير منسقة ، وشفتاه تتحركان ، اذ بدأت اسمع منه كلمات متناثرة يستعصى علي تارة سماع كلمة او كلمتين منها ٠٠ الا انه كان يتلفظ وهو يشير باصبعه على مواضع معينة ، ايه ٠٠ مسكينة انت ٠٠ نعم ٠٠ بريطانيا ٠٠ ماذا سيقول عنك التاريخ غدا ٠٠ ؟
روديسيا٠٠ فئة قليلة تتحكم بشعب باكمله، وفي ارضه وموطنه ٠٠؟ هناك٠٠ هنا٠٠ جنوب اوو ٠٠ كشمير ٠٠ لم تكتف باستغلال هذه القارة اربعة قرون كاملة حتى تركت اهلها جياعا عراة في اغلب الاحوال ٠٠ واخيرا قصمت ظهرهم ٠٠ وكشمير في الوسط ٠٠

وغلبني الفضول على امرى عندما ناديته وانا اضع فنجان القهوة على المنضدة :
ـ او بيتر ٠٠ قهوتك جاهزة ٠
والتفت وقد غلفت وجهه ابتسامة واسعة :
ـ لابد انها قهوة ممتازة ٠٠ هل هي قهوة عربية ؟
وابتسمت وانا أرد مداعبا :
ـ لا ٠٠ اسكتلندية
ـ شكرا ٠
وعندما جلس سدد نظراته الى الخارطة من جديد :
ـ الحقيقة ان السؤال الذى يحيرني وانا انظر الى الخارطة ٠٠ هو ماذا سيقول عنا التاريخ غدا ؟
فرفعت فنجان القهوة واشرت الى فنجانه وقلت مازحا :
ـ صحتك ؟

وجاراني برفع فنجانه وارتشافه رشفة خفيفة اذ اعاد فنجانه الى مكانه وعيناه معلقتان في قلب الخارطة وهو يتمتم : خارطة كان مكتوب على مكان منها اسم بلد هو : فلسطين ٠٠ وفي ارض واسعة كان يسكن شعب اسمهم : عرب جئنا في القرن العشرين ، فحذفنا الاسم من الخارطة ـ تصور ـ وكتبنا بدلا منه

وضحكت مداعبا :
ـ هذه التي تريد ان تذهب اليها ؟
ـ نعم هي
ـ ما بها ؟
ـ انني اراها امامي ولكن ليس كما تراها انت ٠
ـ كيف لا ؟ استراليا استراليا في نظري وفي نظرك وفي نظر غيرك ؟
ـ ابدا ٠٠ انت تراها جزيرة عائمة وسط البحر ٠٠ او ربما تراها ملونة بالوان جميلة على الخارطة ٠٠ استراليا هذه عندما غزاها اجدادي كانت ملأى بالوطنيين الاصليين ٠٠ اتدري ماذا عمل لهم هؤلاء الاجداد ؟
اجبت لامزا :
ـ نقلوا اليهم الحضارة الاوربية !
ـ اوه ٠٠ لا تمزح ٠٠ انت تعرف جيدا انهم قتلوا كل من وقع تحت ايديهم ، ولم ينج الا الذى توارى في اعماق الصحراء ٠٠ وحتى هؤلاء استعبدوهم حتى الان حيث يمنعونهم من مواصلة الدراسة ٠٠ اتدري لماذا ؟ حتى يبقوهم خدما في الفنادق وسعاة في المصالح الاخرى ٠٠ ارأيت استعبادا شرا من هذا الاستعباد ؟
ـ فلماذا انت ذاهب الى هناك يا صديقي ؟
ـ انا ؟
ـ نعم انت ؟
ـ اشعر ان هدفا ينتظرني هناك ٠٠ لا معنى للحياة بدون هدف ٠٠ لابد ان اعمل شيئا من اجل هؤلاء ٠٠ ادافع عنهم ، او اكون جمعية للدفاع عن حقوقهم ، او اطالب بتثقيفهم والسماح لهم بالحياة كبشر ٠
ـ وما يمنعك من ان تناضل هنا في بلدك ضد الاستغلال والاستعباد ؟
ـ هنا في بلدي ؟
ـ اجل ٠٠ فهنا أصل الداء ، فانت نفسك تدرك هذا ٠
ـ معك حق ولكن هذا البلد قد تحجر ٠٠ نعم تحجر ٠٠ لا فائدة منه ٠
ـ فانت اذن ذاهب من اجل هدف ؟
ـ الانسان بلا هدف حيوان يمشي على قدمين ٠ اما عندما يكون له هدف ، يصبح شيئا اخر ٠
ـ يستمر المشي على قدمين ٠
قلتها اعتباطا ، فاعتدل بجلسته وانتفضت عروق رقبته ، ولاحظت ان شعرات من جهة رأسه اليسرى قد تهدلت الى الامام :
ـ لا لا ٠٠ لا يا صديقي ٠٠ انه يصبح كائنا اخر ٠٠ لا ادرى ماذا اريد ان اقول بالضبط ٠٠ الكلمة الملائمة هنا ربما غير موجودة في قواميس الحياة ٠٠ انه يصبح على كل حال كائنا جديدا ٠٠ تستطيع ان تقول انه يشعر بانه قد نبت له جناحان يستطيع أن يحلق بهما الى الاعالي ٠
واردت ان ابدى له ملاحظة : « ورغم ذلك فسوف لن يقدر على الطيران » ،

تعنيه لولا شهادتي ـ التي ارسلني بلدي لاحصل عليها ـ لما عرفني ، وربما لما قبل ان ادخل ارضه ايضا ٠٠ انا مقتنع تمامـــا ان القضية هي ابعد من الحساب والاخذ والعطاء ٠

وطاف بنظراته عبر زجاج المقهى سارحا وهو يقول :

ـ يخيل لي انني لا افهمك يا صاحبي بعض الاحيان ٠٠ هل نسمى هذا تعصبا لابناء وطنك ؟

ـ لا

ـ اذن ماذا نسميه ؟

ـ سمه حبا واخلاصا ٠

ـ ولكن حب الكل أشمل

ـ حب الكل يأتي عندما يفنى الانسان نفسه في خدمة الجزء ٠٠ ولكل انسان موطن قدم في هذه الدنيا يجب أن يتحرك منه بثقة كاملة ٠

ـ لا افهم فلسفتك في الحياة ٠٠ استراليا تنتظرني يا صديقي ٠٠ الان الساعة الثانية بعد الظهر تماما ٠٠ آن رجوعك الى كتبك ورجوعي الى عملي ٠

٣ـ٥ـ١٩٧٠

ـ هل قرأت صحف الصباح ؟

سألته بعد ان أنتهينا من لعبة شطرنج اخذت من وقتنا اكثر من ساعتين ، كان النصر بجانبه الا انه بدا يطيب من خاطرى عندما بدا يذكرني ان الوزير قتل فجأة ، والفيل هو الاخر تداعى لعدم حراسته جيدا ٠٠ وبعدها غرق نظره في اديم النهر لحظات اذ اردنا ان نقضي بعض الوقت على حافة النهر حيث الارض تزهو بلونها الاخضر ، اما صاحبي فقد بدأ ينقر بسبابته اليمنى على علبة الشطرنج نقرات رتيبة هادئة ٠

ـ نعم

اجاب دون ان يلتفت ، الا ان يده كفت عن النقر ، فاضفت قائلا :

ـ ان رئيس المعارضة قد اقترح بمنع هجرة الاجانب الى انكلترا ٠

وسكت وسكت ٠٠ فحلا لي ان امدد رجلي فوق الحشائش لاتمتع بشمس الاصيل التى بدأت ترسل اخر سهامها الدافئة قبل ان تتوارى خلف قمم الكاتدرائية المنتصبة عن شمالنا فضرب صندوق الشطرنج بقبضة يده بشدة وعندما التفت ضحك ضحكة خفيفة لا لون لها ، وهو يتمتم بكلمات تناهت الى سمعي متداخلة الحروف :

ـ نعم قرأت هذا الهذر ٠

ـ كيف ؟

ـ لقد نسى هذا الرأس المفكر ، الذى يزعم انه رئيس كتلة كبيرة في البلد ، ان الانكليز الان مبثوثون في كل مكان من الارض ٠٠ وقد نسى ان هؤلاء الذين يأتون الى هنا قد امتصت انكلترا خيراتهم عشرات السنين ٠٠ هل تذكر استراليا ؟

ـ ولكن الا تعتقد ان التغرب عن البلد ضريبة باهضة ؟
ـ ابدا ٠٠ الوطن ما تصنعه انت نفسك ، والبيت ما تبنيـــه بيديك ، والاصدقاء انت تكونهم ٠٠ لاشك انك تحن الى بلدك والى معارفك هناك ، ولكن لا ريب في انك كونت هنا معارف واصدقاء ايضا ٠٠ وبمرور الايام يزدادون ، وعندما ترجع الى بلدك ستذكرهم : اتذكر عندما التقينا اول مرة مصادفة في يوم بارد تتساقط فيه الثلوج على الرؤوس ؟ ولكن هنا انا خارج من عملي وانت من كليتك ، التقينا في عرض الشارع واذا كل منا يدعو الاخر الى تناول الشاي ، وها نحن نجلس في اقرب مقهى لنتبادل الحديث ٠
ـ لا اذكر انك ذكرت استراليا من قبل ٠
ـ قررت نهائيا ، وزوجتي متحمسة للفكرة ٠٠ اترى الناس تسير الهوينا عبر الشارع ؟ انظر من خلف زجاج نوافذ المقهى ، انهم يتمتعون بقليل من اشعة الشمس ٠٠ حتى الشمس هنا تعطي الحرارة بعد ان تأخذ الضرائب مقدما ٠٠ لابد انني ساجد شمسا كافية في استراليا لي هناك اصدقاء واقارب هاجروا قبلي ، فلست اول من فعل ٠٠ على فكرة ، ماذا تقول اذا وجدت هناك لك عملا في احدى الجامعات ؟ الا يسرك ان تعمل هناك ؟
ـ الحقيقة ٠٠ لا يسرني
ـ كيف ؟
ـ انني اشعر بانني مدين بدين عظيم لحكومتي التي ارسلتني الى هنـــا لاواصل دراستي ، ولابد ان ارجع الدين مضاعفا ٠
ـ مضاعفا ؟
ـ اى نعم ٠٠ مضاعفا
ـ وكم تصرف عليك حكومتك سنويا ؟
ـ حوالي الف دينار ٠
وحك رأسه بطرف اصبعه وهو يردد :
ـ الف دينار ؟
ـ وتزيد قليلا ٠٠ وان ما تصـــرفه علي حكومتي ، ما هو الا حصيلة الضرائب التي تأخذها من الاباء ، ولذا فعلي ان افي لهؤلاء الاباء بان ارجع حتى ادرس الابناء ٠
ـ ولكن كثيرا من ابناء وطنك يستقرون في البلد الذى يدرسون فيه ٠
ـ ليس طريقهم طريقي ، ولا طريقي طريقهم ٠٠ لهم دينهم ولي ديني ٠
ـ طيب ، عندما تستقر في استراليا ابعث من هناك لحكومتك جميع مـــا صرفته عليك ٠
ـ ليست القضية قضية حساب يا صديقي ، انما ربما تكون قضية اخلاق اكثر مما هي اخذ وعطاء ٠٠ فعندما ارسلوني الى هنا وضعوا في حسابهم ان مكانا في بلادي ينتظرني ، ولابد ان ارجع لاشغله ، وانهم انما ارسلوني لاجل هذا المكان الخالي فليس من الاخلاق ـ كما ترى ـ أن ابحث عن بلد لم يعرفني من قبل فاذهب لاخدمه لمجرد انه يدفع لي اكثر ، مع العلم ان هذا البلد الذى

اسما اخرا ٠٠ تصور ـ ومن الارض اخرجنا سكانها الاصليين ، وجلبنا اناسا غرباء من كل حدب وصوب واسكناهم في هذه الارض تحت سمع الامبراطورية البريطانية وبصرها ٠ ليس الذى يحز في نفسي جهل او تجاهل الانكليز لهذا الذنب الذي ارتكبناه ٠٠ ولكن الشيء الذى يقلقني دائما ، ماذا سيكتب التاريخ عنا بعد قرن من الزمان ؟

والتفت الى مؤكدا :

ـ لا تصدق ابدا ، اذا قال لك الاوربي اننـــــا مخدوعون بالدعايـــات الاسرائيلية ، لاننا نسمع منهم دائما انهم استوطنوا ارضا لم تكن ملكا لاحد ، وعندما جاءوا اليها لاول مرة وجدوها صحراء قاحلة وزرعوها ٠٠ الا تسمع مثل هذا الكلام من الاوربيين بين حين واخر ؟

ـ احيانا

ـ لا تصدق ٠٠ الاوربي ذكي ٠٠ اعني انه يعرف كل شيء ٠

ـ لماذا اذن يصدق مثل هذا الكلام ؟

ـ انه مربوط من حيث لا يدرى ـ بماضيه الاستعمارى ٠٠ ان عددا من من القرون جعلت الاوربي يجوب الارض شرقا وغربا سيدا مطاعا وبحرية تامة ، ليس من اليسير ان ينساها ٠٠ انها ذكريات تنساب في دمه ، رغم انه يتظاهر بنسيانها والخجل من ذكرها ٠٠ انه متمثل بها ٠٠ تذكر مثلا كيف ان بريطانيا قتلت شعوبا باكملها ليستوطن انكليز بدلهم ٠٠ اين سكان تسمانيا الاصليين ؟ هل تعرف كم قتلت وطنيين اصليين في جنوب ووسط افريقيا ؟ في امريكا ٠٠ ؟

ـ اعرف هذا جيدا ٠٠ اذ لم يعد خافيا على احد ٠

ـ ارض العرب ايضاصالحة لاستيطانهم ٠٠ وقد نسوا انهم في القرن العشرين ، حيث ان الجريمة لاتخفى على احد ٠٠ كما انهم نسوا ان العرب شعب لا يقبل مثل هذا التحدى ٠٠ انهم لازالوا يذكرون كيف استقبلتموهم في العراق ابان الحرب العالمية الاولى بالفالة والرمـــح والمكـوار ٠٠ ولكن لا يتعضون بدروس الشعوب ٠

والتفت الى التفاتة خجلة ، ربما اراد ان اسعفه بالجواب ، لكنني لـــم استطع ، الا ان ارفع فنجان القهوة ثانية وانا اجيبه :

ـ صحتك !

فمد يده الى فنجانه وهو يدارى ابتسامة شاحبة ٠

٢٠ـ٢ـ١٩٧٠

ما ان جلسنا في مقهى الانكر المطل على النهر حتى شرع يبدى لي مشروعاته الجديدة ، وما فكر به من ترك البلد والهجرة الى استراليا وما ان اعترضت من ان الحياة طيبة والحقوق مكفولة في بريطانيا حتى بدا يشرح وجهة نظره :

ـ انتم لا تشعرون بما نعاني نحن اهل البلد من فداحة الضرائب التي تفرض علينا بين حين واخر والاسعار ترتفع في كل موسم ، والاجور هي هي : فانت مثلا تدفع لك حكومتك مرتبا ، فليس هناك ضريبة مفروضة عليك هنـا حتى تشعر كم هي باهضة ٠

الا انني ابتسمت عندما اشرت له على سرب من البط يتسابق في عرض النهر ، فالتفت ٠٠ ثم ابتسم ٠

١٨_٥_١٩٧٠

قبل ان نشرب القهوة في غرفة الاستقبال ، بدا بيتر يشير الى كتب مكتبته :

ـ هذا كتاب عن بلادكم ما بين النهرين ، عمره اكثر من مائة وخمسين عاما ٠٠ انه من مخلفات والدي ٠٠ وهذا الكتاب المقدس مخطوط منذ اكثر من ستمائة سنة ٠٠ هل يعجبك ان تستعير بعض نسخ من الانسكلوبيديا البريطانية ؟ انك واجد فيها كل شيء ٠٠ لا تعجب ٠٠ منذ نعومة اظفاري وانا اقرأ في كل فرصة ٠٠ لقد اوصاني ابي ان أواصل دراستي ، ولكن الظروف لم تسمح ٠٠ الا تعتقد ان الانسان بلا درجة علمية يستطيع ان يصل الى درجة لا بأس بها من الثقافة ؟

ـ لا اشك في هذا ٠٠ بل يستطيع ان يصل الى درجات عالية من الثقافة ٠

ـ انني اقرأ كثيرا ٠٠ وانظر للمستقبل ٠٠ كما انني دائم التفتيش في أوراق الماضي ٠٠ الا تعتقد ان على الانسان ان يعتبر من سيرة غيره ؟

ـ طبعا

ـ اذن لماذا لا تعتبر الشعوب الحاضرة بمآسى الشعوب التى اندثرت ؟
ومن قال لك انها لا تعتبر ؟

ـ هذه بريطانيا ٠٠ لماذا لا تفتح عينيها لترى ماذا حدث للامبراطوريات من قبلها ؟

ـ لا حاجة لها ان ترى ٠٠ لانها الان تعيش ايام اندثار امبراطوريتها ٠

١٤_٦_١٩٧٠

استنشقنا الهواء ملء رئتينا بيتر وانا عندما وجدنا نفسينا خارجين من الغرفة التى تكاثفت سحب الادخنة في سمائها ، فقد كان الليل هادئا والنجوم تتلامع على افق السماء البعيد ٠

ـ آه ليل جميل ٠٠ ما رأيك ؟

ـ انه حالم

ـ انه الصيف ٠٠ او قل ان ايام الصيف بدأت تقترب ٠٠ فكرة جميلة ان تخلصنا من الجميع ٠٠ ما رأيك ؟

ـ فكرة ممتازة

ـ هل تتعب لو واصلنا السير ؟

ـ المشي اروع في مثل هذه الساعة المتأخرة من الليل ٠٠ فالسكون يشمل الكون ٠

ـ كيف كانت الامسية ؟

ـ صاخبة

ـ اعجبتني مناقشتك للامور هذه الليلة ٠٠ تصور ان جماعة من مختلف

شيء عن الشعر الاردني
والشعر الفلسطيني

عمران خضير الكبيسي
عضو اتحاد المؤلفين والكتاب العراقيين

من خلال اتصالي واحتكاكي ببعض الاخوة الادباء الاردنيين والفلسطينيين وبالاخص الشعراء منهم والمهتمين بقضايا الشعر ومراقبتي لاحاديثهم ومناقشاتهم بدت لي ظاهرة ازاها جديرة بالاهتمام فقد وجدت أكثر من علامة استفهام ترتسم على اكثر من شفة وعين تستفهم عن هوية الاديب الاردني ومن هو الاديب الفلسطيني **وما مدى تأثير كل منهما على الاخر** *

وقبل الاستطراد بالحديث عن هذا الموضوع لابد من الاشارة لبعض الآراء التي تدين هذه الظاهرة وتراها بادرة سلبية . وعلى نقيض ذلك تقف مجموعة أخرى فترى الموضوع جديرا بالاهتمام والبحث ولا ارى في ذلك من بأس فلا وجود للسلبية في النهج العلمي والموضوعي في البحث الادبي وأي بأس بالحديث عن شعراء قطر او مدينة معينة فلا يتعدى الموضوع في نظرى عن كونه احدى طرق البحث والدراسة الادبية .

فمن حق الباحث ان يسلك المنهج الذى يراه كفيلا ان يفى بالغرض الذى يتناوله وطرق البحث ومناهجها متعددة فمنها ما يعتمد على الفترات الزمنية ويستعين بالحقب التاريخية ومنها ما يعنى بالظواهر والمذاهب ومنها ما يسلك اسلوبا جغرافيا فلكل باحث منهجه واسلوبه ولا يعني بالضرورة الحديث عن شعراء قطر او منطقة مساسا بكرامة شعراء الاقطار والمدن الاخرى ولا الانتقاص من قيمتهم ومنزلتهم الادبية أو مدعاة لاثارة بعض الحساسيات والمشاكل .

وعندما اتحدث عن الشعر الفلسطيني أو الاردني او العراقي اضع في نظري وفي نظر الجميع اعتبارا اساسيا هو ان كلا منهما شعر عربي ولا يمكن ان نفرط باهمية شعر اى قطر ولا بدوره في بناء النهضة العربية الشاملة مؤكدا قول الشاعر العربي :

بلاد العرب اوطاني   من الشام لبغدان
ومن نجد الى حلب   الى مصر فتطوان

فتاكيد عربية الشعر الاردني او الفلسطيني هو بالذات تأكيد لوجود الشعر العربي واعتراف بكيانه فالعرب امة واحدة وان اختلفت بهم المسالك والمذاهب والشاعر يقول :

ـ اخ الفتاة وزوجته من بين المهاجرين ٠

وبدأت الباخرة تتحرك ، حيث اشتدت كلمات الوداع مصحوبة بالاشارات ٠

ـباى ٠٠ باى ٠٠ باى

وعندما ابتعدت الباخرة قليلا ، خفت الصياح ، لاسيما وان صوت محرك الباخرة طغى على اصوات المودعين ٠٠ وتعالت الامواج على الجوانب ، ورفعت المناديل من الجانبين ، وتعالت الايدى فوق الرؤوس ملوحة ٠٠ وميزت يد بيتر تتحرك بهدوء ٠٠

وخيل الى ان شفتيه تتحركان من بين افواه الامواج وهو يقول :

ـ وداعا يا صديقي ٠

١٩٧٠



الذي كان ينفخ وجه الجموع المحتشدة في عرض رصيف الميناء ٠٠ والامواج هي الاخرى تتدافع الى الشاطىء حيث تلعق الحوافي المرمرية بنهم وشراهة ، حتى ليطغى صوتها على اصوات المودعين في لحظات التأمل ٠٠ وانتشرت عدة بواخر في عرض البحر على مرمى النظر ٠٠ الا ان اقربها مرسى كانت تنفث دخانها بقوة واستمرار ٠٠ او هكذا خيل للناظرين ٠٠ اذ كانت تتمايل منقادة مع الامواج المتدافعة الى الشاطىء ٠

لم يكن بين مودعي بيتر غير امه التي كانت تمزح مع حفيدها ، عندما ذهب بيتر لاكمال ختم الجوازات :

ــ ماذا سترسل لي من استراليا يا عزيزي توم :

ــ باخرة صغيرة !

اجاب الصغير فرحا ، وهو ينظر الى جدته بعين ، ويرمق الباخرة التي كادت تمس رصيف الميناء بالعين الاخرى ٠٠ والتفتت المرأة العجوز الى حفيدتها :

ــ ولكن لوسي سترسل لي سيارة ٠٠ اليس كذلك يا عزيزتي ؟

فاجابت الطفلة ببراءة :

ــ معطف فرو يا حبيبتي

وابتسمت الجدة مسرورة ٠٠ ولفت نظري قدم معطفها ، حيث التفتت الي وهي تضيف :

ــ ستكون سفرة مريحة ٠٠ فالباخرة ضخمة ٠٠ والمهاجرون كثيرون ٠

ــ ايسعدك هذا ؟

ــ ولم لا ؟ يسعدني ان اكون بين المودعات ٠٠ الا انني كنت اتمنى ان يكون جورج هنا ليودع اخاه ٠٠ انه يعمل في دائرة السكك الحديد في كلاسكو ٠٠ اظن انه ارسل برقية وداع ٠

وتدافع المسافرون الى جسر خشبي يرتقون منه الى باب الباخرة ٠٠ واقبل بيتر :

ــ موم ٠٠ مع السلامة :

وبنفس الابتسامة التي يحيطها ذات الاطار الحزين التي اعهدها فيه مد لي يده :

ــ مع السلامة ٠٠ راسلني ٠٠ وداعا يا صديقي ٠

وسمعت خلفي من يكبت بكاء ٠٠ فالتفت الى الوراء ، اذ تصورت انها ام بيتر ٠٠ الا انها كانت تقف الى جانب ، ونظراتها معلقة بافق الباخرة ، وتشدها الى هناك ابتسامة حائرة ٠٠ اذ كان مصدر البكاء فتى وفتاة ، وكل يمسح دموع الاخر بمنديله ، رغم انهما كانا يتوكأ احدهما على الاخر ٠٠ ويعينه على البكاء ٠٠ وعندما سألت شابا يقف الى جانبي عن سبب بكائهما قال :

المشارب يلتقون حول مائدة شاي بغتة ٠

ـ لم يكن اكثرهم مع الحق

ـ الحق ٠٠٠؟ ماذا تعني ٠٠٠؟ انظر يا صديقي ٠٠ الذى اعجبني منك هذا المساء ، انك لم تكن صاحب مشكلة ٠٠ وانما كنت تطرح الاسئلة وكأن المشكلة مشكلة الجميع ٠٠ ولهذا كل يجتهد ان يجد الحل في قعر رأسه ، فينقـــاد من حيث يدري او لا يدري الى الطريق السوى عندما تطرح المشكلة امام الجميع ٠

ـ ولكن كلا ينظرها من زاويته !

ـ هذا صحيح ٠٠ ولكن تذكر انها وجدت امامه ٠٠ وهذا نصف النصر

ـ هناك شيء اود ان اقوله لك ٠

ـ ٠٠٠ ؟

ـ انني قضيت اكثر من ثلاث سنوات في هذا البلد ٠٠ انت البريطاني الوحيد الذي قلت اليوم على مســمع الجميــع ، ان خلـق اسـرائيل هو خطـأة انكلترا ٠٠

وسرنا صامتين في شارع تتلامع مصابيحه ، مكلل الجوانب باشـــجار متكاثفة الاغصان ، شذية الاعطاف والتفت بيتر وقد لاح لي شبح يده يرفع الى الاعلى مؤكدا :

ـ بعد سنين سترى كل بريطاني يقول هذا

ـ كيف ٠٠٠؟ هل ان الجريمة مستترة عن العين ؟ ام ماذا ؟

والتقت عيناه بعيني لحظة وابتسم ٠

ـ نعم ، كانت مغطاة ٠٠ اتدري من الذى ازاح عنها الستار ؟

ـ من ؟

ـ فوهات بنادق الفدائيين ٠

وواصلنا المسير ٠

٧ـ٨ـ١٩٧٠

لم اتوقع مخابرة بيتر في هذا الصباح الباكر والساعة لما تتجـــاوز الثامنة ٠٠ اذ ما ان رفعت سماعة التلفون حتى كان يصب كلماته المتدافعة صبا :

ـ صباح الخير ٠٠ لا بأس ٠٠ ربما ازعجتك بمخابرة غير متوقعة ٠٠ هل تناولت فطورك ٠٠٠؟ كيف حال الدراسة معك ؟ اعني ٠٠ اريد ٠٠ اريد ان اقول ٠٠ ها انني استلمت في بريد الصباح رسالة مكتب الحجز برفقة بطاقات حجز كاملة للعائلة ٠٠ ستتحرك البـاخرة في الواحـدة تمـاما بعـد ظهر يوم ١٥ـ٨ ٠٠ باي ٠٠

١٥ـ٨ـ١٩٧٠

اختلطت اصوات المودعين بقبلات المسافرين مع صوت الريح الجنوبي ،

كتابان في الشعر الجاهلي

الدكتور احمد الربيعي
عضو اتحاد المؤلفين والكتاب العراقيين

١ ـ كتاب وحدة الموضوع في القصيدة الجاهلية ٠
تاريخ المقدمة والطبع ١٩٧٤ ـ ١٣٩٤
نشرته جامعة الموصل ٠ طبعته مؤسسة دار الكتب التابعة لجامعة الموصل
١٥٠ صفحة ٠

٢ ـ كتاب دراسات في الشعر الجاهلي
تاريخ المقدمة ١٩٧٢ ، تاريخ الطبع ١٩٧٤
ساعدت جامعة بغداد على نشره ٠ توزيع دار الفكر بدمشق ٠ لا يوجد اسم المطبعة ولا مكان الطبع ٠ ٢٣٢ صفحة ٠

تأليف الدكتور نوري القيسي

* * *

زعم بعض الدارسين ان القصيدة الجاهلية تقوم على وحدة البيت وتعدد الموضوعات ٠ فالشاعر الجاهلي يستمد شيطانه ليواتيه ببراعة الاستهلال ولطف الانتقال وحسن الختام ٠ ويستنفد قريحته على تجويد البيت المفرد ليرسله مثلا شرودا ٠ وانها قصيدة تقتصر على نعت الاشياء المرئية دون ان تتجاوزها الى التحليل العميق ، أو تحلق في آفاق الخيال ، أو تستخدم الاسطورة ، أو تصطنع التجريد ٠ فهي مجموعة أبيات مبعثرة متراكمة مفككة في بنائها الفني لا وشيجة بين ابياتها ، مجردة من الخيال ، ساذجة الفكرة ، وقد خلص اصحاب هذا الرأي الى انها قصيدة بدائية ، واتخذوا من بدائيتها دليلا على بدائية العرب انفسهم ، وهذا هو بيت القصيد عندهم ٠ وقد دخل هذا الرأي الكتب المدرسية والجامعية ، فتخرجت به أجيال حملته دون ان تسأل عن هوية أصحابه الذين كان رأيهم في الادب العربي معبرا عن انتمائهم السياسي الذي كان وراء كل ما بثوا من أراجيف في اصالة التراث ورقي خصائصه الفنية التي تشكل في نظرهم أخطر ركيزة تستند عليها ثقة الشباب المثقف بشخصيته القومية الحضارية المبدعة الرائدة ٠

ولقد نزل اليوم الى الميدان فرسانه الذين عرفوا هوية تلك الجماعة التي كان جلها من المستشرقين وتلاميذهم الذين يمثلون امتدادا لخططهم السياسي ، فكشفوا عما في آرائهم من تضليل وسطحية ٠ ولقد رجحهم روادنا الجدد في مستوى كفاءة البحث العلمي ، فهم ابعد نجعة في شعابه ٠ واشد التزاما لمبادئه ، واقوم

الفلسطيني الا النزر القليل وهو ما تحاول السلطات المحتلة طمس معالمه واخماد روحه وتشويه معالمه وتبذل المزيد من الحذر لاسدال الستر عليه والوقوف حائلا دون نشر الجيد والاصيل منه ٠

وبدلا من ان نقوم بتشجيع الادب الفلسطيني في الارض المحتلة وابراز وجهه المشرق نقوم بطمس جزء اخر من هذا الادب الحي وبتجاوز غير مشروع ادبيا ولا علميا ٠

ان الواجب الوطني والقومي يدعو كل العرب للعمل البناء الجاد المدروس وبتعاون رسمي وشعبي على تدعيم اركان الادب الفلسطيني ما كان منه في الارض المحتلةاو المنفى وبهذا نؤكد وجودنا القومي فتأكيد الجزئي تأكيد للمجموع ولا اعتقد ان في هذا انتقاصا منشأن الاردنولا ادبه وادبائه فللاردنيين مكانتهم ودورهم الفعال في حركة النهضة والبناء في الادب العربي مما يفند من وجهة اخرى الرأي القائل بان لا وجود لادب أو شعر اردني بمعزل عن الشعر والادب الفلسطيني ويتطرف الى ما هو ابعد باعتبار الشعر الاردني لا يستطيع ان يقف على قدم ثابتة بركته وضعفه وان الادباء والشعراء الفلسطينيين بهروا بقوتهم وجديتهم ومسايرتهم لروح العصر المتطورة الشعراء الاردنيين مما ادى الى قتل روح الابداع فيهم وبالتالي الى غمر وطمس كثير من الاسماء والنتاجات لعدم مجاراتها في القوة والاصالة للادب المقابل وهذا رأي متطرف فيه كثير من التجني فالشعراء الاردنيون اثبتوا وجودهم على مر العصور وفي مناسبات عديدة ولهم اسماء لامعة لا نريد التطرق لذكر بعضها لكي لا يكون ذلك سبيلا للحصر وبين شعرائهم وادبائهم المبرز وفيهم من يقصر عن المستوى شأنهم في ذلك شأن كل ادباء العالم وربما حالت ظروف سياسية واجتماعية واقتصادية وعوامل سوء النشر والتوزيع دون التعرف على الكثير منهم كما ان الدعم الذي أولى للادباء الفلسطينيين واحتضان اخوانهم العرب لهم علىالمستويين الرسمي والشعبي ساعد علىشيوع كثير منالاسماء التي هيدون المستوىاحيانا ولكن مع كل هذا يبقى الجيد جيدا فما ينفع الناس يمكث في الارض واما الزبد فيذهب جفاء ٠

ان التطرف شأنه دائما تعقيد الامور وعدم وضع الاشياء بمواضعها الطبيعية كما ان البت القطعي السريع واخذ الاشياء على ظواهرها دون تبصر يعطى غالبا وفي اكثر الاحيان نتائج عكسية ٠

وفيما عدا ذلك يبقى الشعر الاردني اردنيا والفلسطيني فلسطينيا ولكل منهما دوره ومكانته وخصائصه واثره في الشعر الاخر مما يستوجب افراد ابواب ودراسات واسعة في الحجم والكم ومتشعبة الاطراف وعلى اساليب وطرق بحث متنوعة ويبقى التحام الشعب الفلسطيني بالشعب الاردني والشعوب العربية الاخرى قويا متينا وتبقى روح التشابك والتشابه والتمازج والاشتراك ظواهر أدبية واجتماعية وسياسية ونفسية واقتصادية وهذا احدى الميزات والخصائص التيتؤكد وحدة الشعب العربيواصالة الامة العربية وقوة وجودها في الادب وسواه ٠

« الوان من الشعر الاردني » قدم له وجمعه المرحوم سيف الـدين الايراني ولا اعتراض لدينا على جهد الاديبين الفاضلين ولا على مركزهما الادبي وفضلهما على الثقافة والفن والادب ولا على دائرة الثقافة والفنون لو انهم سلكوا منهجا علميا واقتصروا على نشر نماذج لقصاصين وشعراء اردنيين فعلا او على الاقل كان الاجدر نشر مقدمة بسيطة عن حياة كل من نشروا له والاشارة الى كونه اردنيا او فلسطينيا مما يزيد من قيمة العمل الادبي الذى قاموا به · والذى نستمده من عنوان المجموعتين ان ما نشر من الوان قصصية وشعرية في المجموعتين كان من نتـــاج قصاص وشـعراء اردنيين وفي الحقيقـة ان الغالبيـة العظمى من النماذج والالوان المثبتة لقصاصين او شعراء فلسطينيين نستطيع ان نقول انهم في المنفى هجروا موطنهم او ابعدوا عنه تحت عوامل القسر والاستاذ عبدالرحيم عمر واحد من هؤلاء ولم ترد أي اشارة اهذا المدلول الواضح ·

ان دائرة الثقافة والفنون الاردنيـة اعتبرت مجرد اسـتقرار الشاعر أو الاديب في الاردن ردهة من الزمن مبررا كافيا باعتباره اردنيا دون اخذ جذور ثقافته وعوامل تكوينه النفسي بنظر الاعتبار · وحتى لو جاء ابتعـاد الاديب عن وطنه خارجا على ارادته أو لعوامل تعسف واغتصاب ·

وقد حدث أن هجر كثير من الادباء مواطنهم واستقروا باوطان واقاليم اخرى لعسر كان ذلك او يسر وبقيت اشعارهم ونسبتهم الى اوطانهم الاصليـة فلم يقل احد عن الشيخ عبدالمحسن الكاظمي ولا عن الصافي النجفي انهما غير عراقيين ولا زال الاختلاف قائما بشأن اعتبار الشاعر توماس اليوت الذي ولد في أمريكا وتعلم فيها ثم هجرها الى انكلترا ليقول الشعر باللهجة الانكليزية انكليزيا او أمريكيا رغم انتمائه الى الكنيسة الانكليزية واكتسابه الجنسية الانكليزية ·

وكذا الحال بالنسبة للشاعر اودن الانكليزي المولد والثقافة الذي هجر وطنه الى امريكا وتجنس فيها وجاءت آثاره جميعا بالامريكية مع الفارق الكبير بين من يهجر وطنه وبين من يبذل دمه في سبيل العودة اليه ويقول عن نفسه (فلسطيني كحد السيف)(١) ·

ولا يكفي ان نبرر عمل دائرة الثقافة والفنون الاردنيـة هـذا بالايمان بوحدة الشعراء في القطر الاردنى وعـــدم التفريق بين الاخـــوة الاردنيين والفلسطينيين فهذا لا ينفي ضرورة الاشارة الى كون الشاعر الفلاني فلسطينيا وبنفس الوقت لا يمكننا التجني او التسرع باعتبار مثل هذا العمل نوعا من انواع فرض الوصاية على الادب الفلسطينى ·

ان الواجب الوطني والقومى يفرض علينا تأكيد كل ما هو فلسطيني والعمل على ابرازه وبلورته لتحتـــل الشخصية الفلسطينية مكانتها وتفرض نفسها وواقعها وبمثل هذا نكون قد اكدنا قولا وعملا دعمنا للحق الفلسطيني·

اما اذا سلخنا عن الادب الفلسطيني نتاج وفعاليات الادباء والشعراء في المنفى سواء من كان منهم في البلاد العربيـــة او الاجنبيـــة فلن يبقى للادب

(١) ديوان الشاعر الفلسطيني علي فوده ، وهو احد الشعراء الذين نشرت لهم دائـــرة الثقافة والفنون الاردنية في مجموعتها (الـوان من الشعر الاردني) ولم تشر الى انه فلسطيني·

في الشام اهلي وبغداد الهوى وانا بالرقمتين وبالفسطاط اخواني

والموضوع هذا بالذات يجب ان يمنح حقه بالبحث والدراسة مع اخذ امور عديدة بنظر الاعتبار منها تشعب الجذور وضرورة التعمق في الخصائص والمقومات والاحاطة بشعر الجانبين والالمام الواسع بادب العربية وشعرها قديما وحديثا .

فالشعر الاردني او الفلسطيني سواء ما كان منهما في الضفة الغربية او الشرقية عربيان في الفطرة وقد خضعا لظروف وعوامل ومؤثرات متشابهة هذه المؤثرات والعوامل ما كان سياسيا منها او اجتماعيا جعل تلاحم الشعبين الاردني والفلسطيني تلاحما قويا متينا فليس من البساطة ولا السهولة الحديث عن اي منهما بمعزل عن الاخر فقد امتزجت الدماء في النسب والكفاح واصبحت بيئتهما بمثابة بيئة واحـــدة وتشابهتا الى حـــد بعيد في الفنون الشعــبية والعصرية وأدى كل منهما اثره في الاخر سلبا او ايجابا .

والحديث عن فلسطين واثرها في الشعر العربي والعالمي حديث متشعب الاطراف والجوانب عميق بالجذور وغنى بالفروع ، لقد اصبحت ولاتـــزال القضية الفلسطينية وفلسطين ارضا وشعبا غرضا حيا ورئيسيا من أغراض الشعر فلا نجد شاعرا من شعراء العربية لم تستأثر القضية بنصيب واسع من شعره ان لم تكن اخذت حصة الاسد فضلا عن ان كثيرا من الشعراء احتص بالقضية وترك ما سواها من اغراض الشعر الاخرى . فشبح المأساة وهيكلها وبشاعة الجرم نجده يلاحق الجميع فالقضية الفلسطينية كانت ومـــا انفكت ينبوعا لا ينضب بفيض المعانى الانسانية ويترجم عواطف المغلوب على امرهم ويؤكد اصرار الانسان على تأكيد وجوده وصراعه وتفاعله مع الارض والطبيعة وقد مد ذلك شعرنا بطاقات جبـــارة من الاشعاعات والارهاصات والتصورات والعواطف فلا يمكن تجاهل مثل هذا الاثر او تناسيه ومن الطبيعي ان تهـز الكارثة المحيطين بها وان يكون المجنى عليهم الصق الناس بمشاكلهم فوقف الشعراء الفلسطينيون يؤكدون وجودهم واصرارهم عـــلى المضى في الـــكفاح والالتصاق بالارض .

عندما اعمل حجاراً وعتالا وكناس شوارع
يا عدو الشمس لكن لن اساوم
والى اخر نبض في عروقي سأقاوم

وقد فتح ابناء العروبة صحفهم ومجلاتهم كما فتحوا احضانهم وصدورهم وجميع ابواب النشر للمناضلين وللكلمة المقاتلة .

وتجاوب القارىء العربى مع الكلمة المواكبة لمسيرة الكفاح وتعاطف مـع اخيه مما حثه على المواصلة ومده بطاقة الاستمرار فلمعت الاسماء واشتهرت الالقاب فتأكيد وجود الادب الفلسطيني تأكيد لوجود شعب وارض فلسطين .

وفي عام ١٩٧٣ قامت دائرة الثقافة والفنون الاردنية في عمان بطبع مجموعة قصصية بعنوان « الوان من القصة الاردنية » قدمها رئيس رابطة الادباء الاردنيين الاستاذ عبدالرحيم عمر ثم تلتها مجموعة شعرية اخرى عام ١٩٧٤ بعنـــوان

دليلا ، وادق حكما ، لانهم أكثر خبرة بشاعرهم ، واوسع دراية بطرائق حياته ، وافضل فهما لدقائق قصيدته ٠

ويأتي أساتذة جامعاتنا في طليعة هؤلاء الرواد ، لا لانهم حصلوا على اعلى الشهادات ، بل لانهم قدموا أكثر من جهد بكر استحقوا به معنى هذه الريادة التي كان الحصول على لقبها اعز منالا من الحصول على شهاداتهم جميعا ، وتزداد اعباء الملحمة كلما توغلنا في مراحل التاريخ وانها لتتضاعف اذا وصلنا الى الادب الجاهلي ، لضياع جمهرة نصوصه وتشتت ما بقي منها ، واختلاف رواياتها ، واضطراب نسبتها ، وجهل بواعثها ٠ وغرابة الفاظها ٠

وللدكتور نوري القيسي من التحقيقات والدراسات في الشعر الجاهلي ومن الاسلوب الادبي المطعم باللغة العصرية ، ومن الممارسة الشعرية ما جعله خير مثال للاستاذ الجامعي ، وأهله لان يكون الرائد العلمي الجدير بتوجيه الاجيال الجامعية وجهة متفتحة مؤمنة بالآراء الجديدة التي اعلنها خلال تحقيقاته ودراساته المدهشة بغزارتها ومتانتها والتي تخيل لمن لا يعرفه انه أكبر الاساتذة سنا فقد قام بجمع وتحقيق ودراسة أكثر من اثني عشر ديوانا من دواوين الشعراء الجاهليين ٠ كالنمر بن تولب العكلي والمرقش الاكبر والمرقش الاصغر وربيعة بن مفروم الضبي وخفاف بن ندبة السلمي ومالك بن الريب المازني وابي زبيد الطائي وزيد الخيل الطائي ومزاحم العقيلي وحارثة بن بدر الغداني وعبيد بن ايوب العنبري والخطيم المحرزي ٠ كما حقق كتاب الخيل للاصمعي ، وكتاب البئر لابن الاعرابي ٠ وقدم ست دراسات وهي الفروسيه في الشعر الجاهلي والطبيعة في الشعر الجاهلي وهما رسالتا الماجستير والدكتوراه من آداب القاهرة ، والانواء في الشعر الجاهلي ودفاع عن النابغة الذبياني ، وهما بحثان نشرهما في المجلات ٠

اما كتاب وحدة الموضوع في القصيدة الجاهلية ، وكتاب دراسات في الشعر الجاهلي فهما في الاصل بحوث نشرت في المجلات ٠ ولقد اثبت الباحث في الكتاب الاول ان القصيدة الجاهلية تقوم على وحدة الموضوع لا وحدة البيت ، واعطى التفسير المقنع المدعم بالادلة التي استقرأها بنفسه وساقها من القصائد العديدة المشهورة أو المجهولة التي كان هو أول من جمعها وحققها ودرسها ، وقد بين المبرر لتعدد فصول القصيدة الجاهلية ٠ وتعلق ذلك بغرضها الاصلي الذى كان هو الباعث على نظمها ، والسلك الذي ينتظم فصولها وتتلخص النتائج التي توصل اليها في كتابه الاول :

١ ـ قصيدة المديح هي النموذج الاطول أو الاكمل للقصيدة الجاهلية ٠

٢ ـ وجود منهج فني مرسوم معلوم ينظر اليه الشاعر قبل ان يبدأ بنظم قصيدته يطبقه عن تصور واع ، وادراك واضح لمراحله وجزئياته ٠

٣ ـ ولمراحل هذا المنهج تسلسل موضوعي منطقي فني ٠

٤ ـ تمثل هذا التسلسل في ابتداء القصيدة بلوحة الطلل ثم بلوحة الناقة ثم بلوحة الصيد ثم بلوحة الغرض ، ثم بلوحة الحكمة ٠

٥ ـ قد ترد لوحة الحكمة بعد لوحة الطلل ، او بعد لوحة الصيد ٠

٦ ـ قد تسقط لوحة الناقة ولوحة الصيد ، اي لوحة الرحلة من قصيدة

من بغداد وقد تولى هذا الاخير اخراج مجلة في تركيا تنادي بهذه الدعـوة ٠ واضيف : سماها « لسان العرب » ثم جعل عنوانها « المنتدى الادبي » ٠

وأضيف الى النص الذى اقتبسه من « نقد وتعريف » لعبدالله الجبوري ص ١٤٤ الذى قال فيه : وكان الاول يسمى شاعر الثورة ٠٠ قال مؤلف نقد وتعريف : انه انظم اليها (الثورة) وراح يثير بأشعاره الحماسة في النفوس ويؤجج النخوة والحمية فلقب ب (شاعر الثورة) ٠ ان ذكر هذا الشرح في تلقيبه بشاعر الثورة مهم يجب اثباته ، للتعرف على اسباب ألقاب الشعراء ٠

والنص الثاني الذى أود توضيحه في تعريف هـذا الشاعر (رشيد الهاشمي) ان الكاتب قال عنه ٠٠ اتهمه الاتراك بشتى التهم ففر الى البصرة ومنها الى الحجاز ليشارك في الثورة العربية في عام ١٩١٦ ، وبعد ان انكشف زيفها رجع أدراجه الى بلاد الشام وبعدها قفل راجعا الى بغداد ٠

والصحيح انه توجه الى مصر قبل الشام قال محقق ديوانه : ولما بان له زيف هذه الثورة يمم وجهه الى شطر كنانة العرب والاحرار ، القاهرة ، وكان ذلك في بداية سنة ١٩١٨ وبعد أن استوقى مآربه فيها غادرها الى دمشق الشام عند تأسيس الحكم العربي فيها فوظف في المجمع العلمي العربي بدمشق في اول أيام تأسيسه في عام ١٩١٩ ومكث في دمشق حولا كاملا ثم نادته الام الحنون بغداد ، فلباها عجلا وظل فيها الى ان توفي فيها سنة ١٩٤٣(١) ٠

وعن ظاهرة الارتجال في شعر الكاظمي نقل الكاتب خبرا عن الاسـتاذ قاسم الخطاط بالجامعة العربية ، الذى نقل عن الاستاذ امين سعيد المؤرخ العربي السوري ٠

اقول : ان ظاهرة الارتجال هي اكبر واشهر مزايا الكاظمي ولو أفاض الكاتب الفاضل في الحديث عنها لامكن ان يفيد القراء اكثر مما أفاد ٠ وللمزيد من الحديث عن هذه الظاهرة يمكن الرجوع الى مقـدمة مصطفى عبدالرازق للمجموعة الاولى من ديوان الكاظمي ومقدمة الشيخ عبدالقادر المغربي للمجموعة الثانية ٠ والعراقيات ص ١٧٩ ٠

وأود ان اضيف الى ما ذكر الكاتب حول العروبة في شعر الكاظمي بانـه كان من أوائل الشعراء العرب الذين نادوا بالوحدة العربية الشاملة قال (٢) :

ليس لنـــا من بلد   أحـــق منـــه بلد
كل بلادنـــا لنـــا   أغوارهـــا والانجد
لارف الا عـــلم   عـــلى الجميع مفرد

ولنسمعه يقول(٣) :

ايهـــا العرب تعالوا نلتقي   في طريـــق المجـــد حتى نصلا

(١) ديوان رشيد الهاشمي ٠ تحقيق عبدالله الجبوري ٠ مط٠ المعارف بغداد ١٩٦٤
(٢) الديوان ١/٢١٤ ٠
(٣) الديوان ١/٣٢٣

قرأت نثر العدد الماضي

الدكتور سامي مكي العاني

ضم العدد الثالث من مجلة الكتاب اكبر مجموعة من الابحاث منذ ان صدرت المجلة بثوبها القشيب قبل اكثر من عام ٠ وكانت هذه الابحاث متنوعة في اتجاهاتها الفكرية ، متعددة في ألوانها الادبية ، فقد ضمت الترجمة والبحث والتحليل والنقد والاستدراك والتحقيق والتعقيب ٠ وقد يصعب على اي قارىء ان يتابع هذه الابحاث متابعة الفاحص المدقق ليبدي رأيه فيها ، ولذلك اراني ملزما بأن أقصر كتابتي حول الابحاث التي استوقفتني وأثارت لدي بعض الافكار ، وهي بمجموعها لا تخرج عن اطار الرأي والملاحظة ٠

١ – التيار القومي في الشعر العراقي الحديث وأشهر اعلامه ٠

هذا المقال هو الحلقة الخامسة في سلسلة المقالات التي يكتبها الناقد الاديب مصطفى السحرتي ، وقد سبق ان عقبت على الحلقة الاولى من هذه السلسلة الذهبية في العدد الثاني عشر من السنة الثامنة من المجلة وقلت : أن الحديث عن التيار القومي في الشعر العراقي الحديث ليس جديدا ، فقد كتب فيه كثير من الباحثين ٠٠٠ ومع ذلك يظل الحديث عن هذا الموضوع مفيدا ، وتزداد فائدته كلما نشر من الشعر المطوي جديد ، وتكشفت من سير اعلامه زوايا وخفايا ، وشعرت الامة بدور الشعر والادب في بناء نهضتها الحديثة ٠

وقد حاول الاستاذ السحرتي أن يسهم في رصد هذا التيار والتنبيه على أشهر اعلامه ٠ وهو في هذا الجزء من البحث يتحدث عن أرهاص الوعي القومي، وقد وفق في حديثه أقصى حدود التوفيق، فقد اعتمد العبارة الواضحة المشرقة ، والفكرة الصادقة المخلصة ، والحس العربي المرهف الاصيل ، والعقيدة الوطنية الرائقة الصافية ٠

وضم هذا القسم من البحث لمحات واراء ذكية ، فقد أوضح الدور المشرف الذى قام به ادباء وشعراء العراق في مساندة الدعوة الى اليقظة « باثارة الماضى العربي العريق وأمجاده ، وابراز كنوز الادب العربي وبعثه واحيائه ، والكشف عن تقاليده الكلاسيكية العريقة ، والرجوع الى التأثير الحضاري لابائهم ، ووضع هذا كله امامهم مثالا حيا دفاعا الى الكفاح من اجل العقيدة ، فكانت اللغة والتاريخ جناحي هذا الارهاص القومي » ٠

وقد اقتبس الكاتب نصا من القومية العربية للامير مصطفى الشهابي ص ٧٠ ٠ وأود تصحيح واضافة بعض العبارات في هذا النص قال : يوسف صدر ٠ وقد يكون خطأ مطبعيا اذ اسمه يوسف سليمان حيدر ٠ وقال : وعزة الاعظمي

الحاضر ، والممدوح رمز المستقبل ، والحكمة اشارة الى ما بعد الموت والى ان مآثره ستكون امتدادا لعمره وخلودا لذكراه . والقصيدة تبدأ بداية طبيعية منطقية وتطرد اطرادا متناميا متصاعدا حتى تبلغ ذروتهـــا مع نهاية اخر لوحاتها .

وقد ساق المؤلف في كتاب « دراسات في الشعر الجاهلي » نماذج اخرى من وحدة الموضـــوع في القصيدة كقصيدة الشعراء الفرسان ، فالشاعر الفارس يستهل قصيدته بأثارة حوار بينه وبين امرأة تلومه مشفقة على ماله من جوده ، وعلى حياته من نجدته . وهذه المرأة مرأة وهمية لا وجود لها ، استعملها الشاعر الفارس رمزا فنيا ، فأحلها محل نفسه التي تنازعه للبخل او الجبن حينما يدعوه داعي الايثار . ومن خلال لومها وتبريره يعبر عن فلسفته في الحياة فالعمر قصير والبخل والجبن لا يخلدان المرء ، بل يخلده حميد اعماله وقد يدير الشاعر في مستهل قصيدة الرثاء حوارا بينه وبين امرأة وهمية تسائله عن سبب شحوبه وحزنه ، فيتخذ من هذا التساؤل مدخلا للتعبير عن اسباب حزنه وألمه ، ومنه يمضي في مرثاته .

فلوحات قصيدة المديح تمثل فصولا متتابعة من حياة الشاعر وتطلعه الى الخلود . واستهلال الشاعر الفارس قصيدة الفروسية بالحوار الذى يديره بينه وبين المرأة اللائمة ، انما هو تكتيك فني دفعته لابتكاره نزعته الى تجويد قصيدته ، كذلك الامر في قصيدة الرثاء . فقصيدة الفروسية وقصيدة الرثاء قد عرفتا التجريد . كما عرفت قصيدة المديح الاسطورة فالثور الذى يقتـل الكلاب في قصيدة المديح وتقتله الكلاب في قصيدة الرثاء كان اله المطر والخصب والخير عند السومريين والساميين[1] وكان أهـل مكة في الجاهلية اذا ارادوا الاستقاء حزموا السلع والعشر وهى نوعان من النباتات البرية ، وربطوهما في اذناب البقر « دون الابل والخيل وغيرهما من حيواناتهم » واضرموا فيها النار وصعدوا بها جبل ابي قبيس وساقوها الى جهة الغروب من دون الجهات الاخرى ولبسوا ملابسهم بالمقلوب مع خطبة الاستسقاء وهي دعاء للاستمطار ، تيمنا بغروب الشمس والبرق وانقلاب الحال وكانوا يغاثون بذلك[2] .

وقد عقد المؤلف فصلا في كتاب « الدراسات » عن استخدام الشاعر الجاهلي للاساطير كزرقاء اليمامة ولسور لقمان وما الى ذلك من اساطير العرب التـي استخدمها الشعراء في قصائدهم . ان المرء لتأخذه هزة اعجاب واعتزاز بهذه الريادة الجديدة التي توسمناها في كتابي الدكتور القيسي والتي سيكون لنهجها الدور الكبير في ترسيخ ايمان الشباب العربي المستنير بأصالة تراثه وقيمته الموضوعية والفنية ، وبذاته القومية الحضارية .

---

(١) الدكتور عبدالجبـار المطلبي : قصـة ثور الوحش وتفسـير وجودها في القصـيدة الجاهلية مستل من مجلة كلية الاداب ـ جامعة بغداد ١٩٦٩ ، الدكتور فاضـل عبدالواحـد : الهة واله الخصب عند السومريين : مجلة سومر سنة ١٩٧٣ ص ٣٨ .

(٢) ابن ابي الحديد : شرح النهج ٧ـ٢٦٥ ـ ٢٧٠ ، ١٥ـ٢١١ ، ١٩ـ٢٨٢ .

الفخر والهجاء ، لان الشاعر لا يرحل حين يفخر ويهجو ، وقد تقتصر القصيدة على لوحة الطلل وحدها ، وهي لوحة المرأة ، وما يفيض حولها من حب وغزل وذكريات كما في قصائد المتيمين ٠

٧ ـ للشعراء صيغ متشابهة لابتداء كل لوحة ، وصيغ اخرى يستعملونها جسورا تؤذن بانتهاء اللوحة وللتخلص الى اللوحة التالية ٠ فالشاعر انما يبدأ بلوحة الطلل لثلاثة اسباب ٠

١ ـ لان الطلل هو نقطة البداية ٠٠ نقطة الاستثارة التي تقدح في قلبه كوامن الحنين الى « الحبيب والوطن » اللذين اضطرته حياة الترحال الى مفارقتهما ، وسرعان ما تستحيل انفعالاته التي اججها الطلل وامتلأت بها افكار نفسه غناء واقعا ، وبذلك يكون الطلل قد شحن خواطره ، وخلق بواعث القوافي التي ستنتظم القصيدة لوحة اثر لوحة ٠

٢ ـ حديث الطلل هو حديث الحب الذى لا يخلو احد من أن يكون متعلقا منه بسبب كما يقول ابن قتيبة ، ٢٧٦ هـ ٠ وبذلك يكون عنصر تشويق وجذب لاصغاء السامع ٠

٣ ـ تشترك لوحة الطلل مع لوحة الرحلة التي تضم لوحة الناقة ولوحة الصيد بمخاطبة الممدوح من طرف بعيد بان الشاعر فارق احبابه واهله ودياره وطوى القفار وعرض نفسه للاخطار حتى وصل اليه ، ليعظم عليه حق القصد والقصيد ٠ كما ان في لوحة الرحلة من حديث المجازفة وتوقع المفاجآت ما يشد السامع ويجعله يتابع المنشد ، وتستبد بالشاعر في وقفته على الطلل سحابة حزن ولوحة يأس ، لان الطلل بات طلل الايام المدبرة ٠ وما هو حتى ينتبه الى واقعه فيكفكف دموعه ، ويزجر نفسه عن الاسترسال في حسراته على الماضي ويلتفت الى ناقته التي سيسري همومه بالرحلة عليها الى الممدوح ، فتكون لفتة من الماضى الى الحاضر الذى سيسلمه الى المستقبل ، ويكون ذلك ايذانا بانتهاء لوحة الطلل وابتداء لوحة الناقة التي يطنب في وصف عظم سنامها وضخامة هيكلها وقوتها وسرعتها اللتين يشبهها بقوة الثور الوحشي وسرعته او بسرعة الحمار الوحشى عندما تطارده كلاب الصيد ٠٠ كلاب الحتف ٠ وبهذا التشبيه يخرج من لوحة الناقة الى لوحة الصيد والمطاردة ، فاذا كانت القصيدة مدحا كان الثور هو الذى يقتل الكلاب ، واذا كانت رثاء كانت الكلاب هى التي تقتل الثور ، وهذه الناقة التي بالغ في وصف ما كانت عليه اول الرحلة من عظم السنام وضخامة الهيكل والقوة والسرعة ، لا تكاد تقطع هذه الرحلة البعيدة المهلكة وتبلغ ساحة الممدوح الا وقد غدت كالقوس وسقطت من الاعياء ٠

وبذلك تنتهي لوحة الصيد ، او قل لوحة الرحلة التي تجمع لوحتي الناقة والصيد التي يأخذ بعدها بلوحة الغرض وهو المدح ، او الرثاء او غيرهما ٠ وقد يختم القصيدة بلوحة الحكمة التي توجز نظرته في قصر الحياة ، ونزوعه الى تخليد الذكر الجميل بالعمل المجيد ، وبذلك تستغرق قصيدته حياته من اقصاها الى اقصاها ٠ وهكذا يكون كل فصل من فصول القصيدة انعكاسا لكل فصل من فصول حياته ، فالطلل رمز الماضى والناقة والصيد اي الرحلة رمز

نلتقي تحت لواء واحـــد سجل النصـــر له اذ سجلا
ونولي الامر فينـــا قائـــدا يبعث العـــزم ويحيي الاملا

وكنت اتمنى ان يتحدث الكاتب الفاضل عن جوانب اخرى من حياة شاعر العروبة الكاظمي ، وان يتحف القراء بسطور موجزة عن ترجمة الشاعر الذى قد يجهله كثير من قراء العربية في غير العراق ٠

٢ ـ البابكية وفكر القرن العشرين :

الحديث عن هذا الكتاب ذو شجون لانه شجي في حلق العلـــم والادب والوطن ، ولذا فاني مع كاتب المقال الدكتور فاروق عمر في تعليقه الذى توج به مقدمة بحثه الرائع حيث يقول : خضعت وقائع التاريخ العربي الاسلامي ومظاهره الذاتية المختلفة الى معالجات استندت على تفاسير متنوعة ولا يضير هذه الوقائع والمظاهر ان تفسر بهذا التفسير او ذاك فربما كشفت لنا التفاسير المختلفة جوانب مختلفة من الظواهر التاريخية فأغنت معلوماتنا وزادت فائدتنا ٠

على ان الشرط الاساس هو ان تعتمد هذه التفاسير الطريقة المنهجية في البحث التاريخي ـ ولا تعتمد « النظرة المسبقة » التي تخضع الاحداث لتفسير محدود لتخرج بنتائج مقصودة ربما تصل الى مستوى التزوير الواعي واللاواعي للظاهرة التاريخية ٠

واقول : ليس في تاريخ العرب ما يخشى منه اي عربي ان يفسر أو يوضح

اما ان تلقى عليه الظلال من خلال عدسة سوداء معتمة كما يريد البعض ان يفعل فليس ذلك من حق اى باحث مهما تشدق بالحرية الفكرية والتقدمية العلمية ٠ لان ذلك أشبه ما يكون بمحاولة ادخال المارد العملاق في قمقم صغير ٠

ان حركة بابك الخرمي ليست انتفاضة الشعب الاذربيجاني ضد الخلافة العباسية كما يحلو لمؤلف الكتاب ان يسميها بل هى حركة هدم لما بناه الاسلام وتفتيت للصرح الذى أقامه الفكر العربي الخلاق قال المؤرخ العباسي صاحب العيون والحدائق في اخبار الحقائق(٤) :

« لم يكن في الاسلام حادث أضر بالاسلام والمسلمين من ظهـــور بابـك الخرمي بتلك المقالة التي تفرع منها القرامطة والباطنية » ولا ادري كيف أباح مؤلف الكتاب لنفسه ان يتهجم على مؤرخي العرب كافة من غير استثناء ٠ هـل كان يتصور ان تفسيره يمكن ان يقول به احد منهم او اي مؤرخ منصف من غير العرب ؟

نعم كان يتوقع ذلك فلما عجز عن الحصول على ذلك صب كلما في جعبته من شتائم ونعوت قاسية على هؤلاء المؤرخين ولم ينج من ذلك المؤرخون السريان والارمن والفرس وكثير من المستشرقين الاوربيين والسوفيت ٠

ان منطق التاريخ العلمي يقتضى من المؤرخ النزيه والباحث العلمي ان يناقش الافكار لا أن يتشنج ويلقي التهم جزافا يمينا وشمالا وليس بين يديه

(٤) العيون ج ٤ ق ١ ص ١١٢ تحقيق الاستاذة نبيلة عبدالمنعم ٠



هلال ناجي

ديوان العكوك

حظي أبو الحسن علي بن جبلة الملقب العكوّك (١٦٠–٢١٤هـ) ، باهتمام الدارسين والمحققين في الاعوام الاخيرة ، فخصه الاستاذ أحمد نصيف الجنابي بدراسة لم تطبع للآن ، ونشر ما جمعه من شعره وعدته ٥٦١ بيتا مصدرا اياه بدراسة مفيدة عن الشاعر استغرقت الصحائف ١١ – ٨٢ من كتابه المعنون « شعر علي بن جبلة المعروف بالعكوك » – مطبعة الآداب بالنجف ١٩٧١ – ص ٢١٦ ، وقد ساعدت وزارة الاعلام على نشره ٠

وفي عام ١٩٧٢ نشرت دار المعارف بمصر « شعر علي بن جبلة الملقب بالعكوك » – جمع وتحقيق وتقديم الدكتور حسين عطوان في ١٤٤ صحيفة مصدرة بدراسة مفيدة عن الشاعر وشعره استغرقت الصحائف ٩ – ٢٧ ٠ وعدة ما جمعه من شعر العكوك ٥٦٣ بيتا ، فجهد الاستاذين متماثل تقريبا ٠ وقد تميزت طبعة عطوان بالضبط بالشكل ، ولكنه وقع فيما سبق التنبيه اليه من جمعه الشعر المتشابه بحرا وقافية وضمه الى بعضه في قصيدة واحدة دون سند من نص قديم ٠

وقد رأيت تحية لجهود العراقيين في خدمة التراث ان اضيف الى طبعة الجنابي بعض ما فاته من شعر العكوك ، آملا ان يستفيد منه في طبعة قابلة ٠

(١)

قال العكوك في الخيل :

١ – في كل منبت شعرة من جلده ... خط [٠٠٠٠] الحسام اللهذم
٢ – ما تدرك الابصار أوفى جريه ... حتى يفوت الريح وهو مقدم
٣ – وكانما عقد النجوم بطرفه ... وكانه بعرى المجرة ملجم

(٢)

ومما يستدرك قوله في وصف سفينة :

٤ – ومغلولب الآذي يسمو لمده ... غوارب فيها الموت بالموت يرتمي
٥ – كأن اعتلاج الماء في حجراتها ... تراطن عجم رجعت بالتطمطم

وحبذا لو اتحفنا الاستاذ الكاتب بمزيد من هــذه الذكريات والحقائق والوقائع • مما اختزنه في رسائله الخاصة وذاكرته القوية المترعة بهــذه الذكريات •

٦ ـ مستقبل اللغة العربية هنا وهناك :

هذه المقالة للاستاذ الدكتور فتحي احمد عامر تشخيص مصيب لما تعانيه اللغة العربية من ادواء مميتة في اغلب اجزاء العالم العربي •

تحدث فيه بلغة المجرب الخبير الذى عايش هذه المأساة وعاناها في ثلاثة اقطار عربية هي مصر والجزائر والسودان • وأحب ان اضيف الى هذه الاقطار العراق ايضا • فان ما تعانيه اللغة العربية في مدارسنا وجامعاتنا لا يقل عما تعانيه في تلك الاقطار من تخلف في أساليب التعليم وجمود في اكثر مناهج التدريس ، وعزوف عن المتابعة وضعف ظاهر لدى الطلاب •

يضاف الى كل ذلك قبول اقسام اللغة العربية لافواج هائلة من الطلاب غير الراغبين في دراسة العربية بل ممن قعدت بهم درجاتهم عن الدخــول الى اقسام او كليات اخرى ، مع عدم اخضاعهم لاى اختبار لقدراتهم اللغوية والادبية، وهو ما كانت تفعله اقسام اللغة العربية في الجامعة ايام كنا ندرس فيها •

ومع ذلك فنحن غير يائسين من اصلاح هذه الاوضاع املين ان يحظى مستقبل اللغة العربية بما حظيت به جوانب الحياة الاخرى من عناية المسؤولين وقادة الرأي والفكر في عراقنا الحبيب •

وتحية مخلصة لجميع كتاب الكتاب •



٤ ـ الزمخشري شاعرا :

هذا البحث القيم هو الحلقة الاخيرة من سلسلة مقالات كتبتها الدكتورة بهيجة الحسني عن الزمخشري ٠

تحدثت في هذه الحلقة عن سمات شعر الزمخشري ٠ صدرته بوصف هذه السمات فوضعت بين قوسين صغيرين اوصافا له منها : « عدم الايغال في الاستعارة ٠٠ التحام اجزاء النظم والتئامها » ٠

ولم تشر الباحثة الى معنى هذين القوسين ، اذ ليس فوق النص رقم ولا تحته هامش فلا يدرى أهو نص مقتبس أو رأيها ؟ والسمة البارزة في حديث الدكتورة في هذا الباب التنبيه على وجوه البلاغة في شعره ، وهي غير مؤاخذة في ذلك لانها مختصة بهذا الفن ، ولكن كان بودي ان تتطرق الى سمات اخرى في شعره مادام ديوانه الكبير بين يديها لا ان تكتفي بالعبارة التي ختمت بها حديثها عن هذه السمات ٠ ومما يجب الاشارة اليه ان مما لاحظناه على شعره بصورة عامة جزالة اللفظ وفخامته ، ورصانة الاسلوب وقوته وصفائه ومرد هذا الى ثقافته العربية الواسعة العميقة ٠

وقد استوقفني تخريج الباحثة لابيات مما نسب للزمخشري ولم تعثر عليها في ديوانه المخطوط ٠

فقد احالت في تخريج القطعة الثالثة القافية على مقدمة كتاب الفائق ومقدمة كتاب الجبال والامكنة والمياه ٠

وهاتان المقدمتان لمحققين محدثين والاحالة على مثل هذه المقدمات غير جائزة (كما ارى) في منهج التحقيق العلمي ٠ اذ لا يمكن ان نعد مقدمة اي محقق معاصر ـ مهما علت منزلته العلمية والادبية ـ مصدرا لتخريج نص قديم ٠ وقد فعلت المحققة مثل هذا في غير هذا الموضع ايضا ٠

٥ ـ الرصافي بين مشايعيه ومناهضيه :

من المقالات الطريفة الممتعة هذه المقالة التي كتبها الاستاذ وحيد الدين بهاءالدين المعروف بمثل هذه الكتابات القيمة والمفيدة لما تحتويه من اخبار طريفة واراء نادرة قل من سمعها او قرأها ٠ وقد أماط في هذه المقالة بعض ما ألصق بالشاعر الوطني الرصافي من اتهامات باطلة تخفي وراءها احقادا مختلفة ٠ ومن خير ما يمكن ان يلقي الضوء على مثل هذه المسائل اراء معاصري الشاعر وشهاداتهم الشخصية ٠ وقد أحسن الكاتب حين اعتمدها مصدرا لحديثه فكانت خير ما يمكن ان يحيى ذكرى الشاعر بعيدا عما الفناه من كلمات في مثل هذه المناسبات ، وكانت هذه المقالة كما اراد لها كاتبها حين قال : « لا أريد ان اكتب في هذه الذكرى (الذكرى المئوية لميلاد الرصافي والثلاثين لوفاته) ما اعتاد الكتاب والشعراء ان يكتبوه وينظموه » ٠

دليل تاريخي واحد يستقيه من غير هؤلاء المؤرخين ·

ونحن في انتظار القسم الثاني من دراسة الدكتور فاروق عمر العلمية الممتعة حيث لم يكمل بحثه بعد (*)

٣ ـ مع الدواوين المحققة :

دأب الاستاذ هلال ناجي منذ مدة طويلة على الاستدراك على الدواوين المحققة فلا يكاد يمر شهر وأحيانا دون ذلك الا ويتحف الاديب او الاقلام او المورد او الكتاب باستدراك جديد · فيقدم خدمة كبيرة للتراث ، ويسدي يدا كريمة الى العاملين في ميدان التحقيق وبعث التراث الشعري ·

ومثل هذا العمل يحتاج من الوقت والاطلاع والتتبع والدقة والفطنة ما لا يتيسر لكثير من كتاب وباحثي عصرنا ومع ذلك من الله بذلك على أخينا الاستاذ هلال ناجي يقدم هذه الحلقات الممتعة ·

والذى استوقفني في هذه الحلقة عند حديثه عن شعر ابن لنكك انه وصف تمرد عبدالصمد بن المعذل وابن لنكك البصري بتمرد الثائرين على الواقع الفاسد ·

وأود ان اسأل : هل التمرد على الادب والمثل العليا هو تمرد على الواقع الفاسد ؟ ام هو امعان في افساد الواقع وتمزيقه ·

لم يكن ابن لنكك كما وصف الاستاذ هلال · فالثائر الحق من يثور على واقع سيء ويقدم بديلا عن ذلك منهجا لمستقبل أفضل ، وفكرا لحياة حرة كريمة كما فعل اكثر قادة الثورات التحررية الكبرى ·

ان هذا المعنى لم نجده عند اي من هذين الشاعرين ، فابن لنكك كما وصفه الاستاذ المحقق زهير غازي : كان قلقا سريع الغضب لذا فهو يثور لادنى سبب ولابسط الاشياء ، ومثل هذا الخلق يترك صاحبه تعبا في صراع مستمر وفي ندم مستمر ايضا ::

اما ابن المعذل فقد وصفه الاستاذ زهير بقوله :

فهو قد تمرد على الحياة بمجونه ، وثار على الاحياء بهجائه ، ونراه في موضع اخر يصفه بما وصف به ابن لنكك فيقول : وكان ابن المعذل سريع التأثر سريع الغضب ، وهذا دليل على رهافة حسه وتوفز أعصابه ، ولذا نرى سخطه وسخريته بوضوح في شعره ·· فشاعرنا تمرد على الحياة بعدم الاكتراث بها والسخر منها ·

سردت هذه الاقوال لاصحح فكرة تمرد الشاعرين على الواقع الفاسد ففي ديوانيهما من الشعر ما يؤكد الحكم الذى ذهبت اليه في اول تعليقي من ثورة كل منهما على الادب والمثل والاخلاق لا على الواقع الفاسد ·

(*) كملت الدراسة في هذا العدد (التحرير)

والصواب : يوما كما خط « لا » في سائر الصحف ٠
انظر العقد الفريد ١/٣٠٧
والبيت التالي ص ١٢٧ :

يا ايها العابي ولم ير لي عيبا أما تنتهي فتزدجر

صوابه :

يا ايها العائبي ولم ير لي

والبيت التالي ص ١١٠ :

فكأنها وسنان اذا نظرت أو مدنف لما يفق بعد

صوابه : فكأنها وسنى اذا نظرت ٠
والبيت التالي ص ١٥٩ :

فمن اين ما استعطفتها لم ترق لي ومن أين ما جربت صبري يُضَعَّفُ

والصواب : يَضْعُفُ ٠ كذلك كان الادق علميا لو قسم الجنابي شعر العكوك الى قسمين : ما صحت نسبته له ، ثم ما نسب له ولغيره ٠ لكنه لم يفعل٠

تخريج القطع المستدركة :

(١) مخطوطة الانوار ومحاسن الاشعار للشمشاطي الورقة ٩٧ ٠
(٢) المصدر السابق الورقة ١٣٠_١٣١ ٠
(٣) محاضرات الادباء ٢_١٣٤
(٤) البيت (١٩) في الشعر والشعراء ص ٨٦٥
والبيت (٢٠) في الوساطة ص ٣٧٢ ٠
(٥) سمط اللالي ص٥٦١ ٠
(٦) الموازنة ٢/٢٣٨_٢٣٩
(٧) الاغاني ١٧/١٥٥ ٠
(٨) التبيان في شرح الديوان ٢/١٤٦
(٩) الحماسة البصرية ٢/٣٦٥
(١٠) التبيان في شرح الديوان ٢/١٨٧ ٠
(١١) محاضرات الادباء ٢/١٩٦
(١٢) المثل السائر ٣/١٤٨ ٠
(١٣) المثل السائر ٣/١٧٥ ٠
(١٤) المختار من شعر بشار ص٢ ٠
(١٥) المحاسن والاضداد ص٦٤ وفي نثر النظم ص١٨ وفي المحاسن والمساويء ص٢٠٩ ٠
(١٦) المثل السائر ٣/١٤٨
(١٧) المثل السائر ١/٣٥٥
(١٨) طبقات ابن المعتز ص٤٣٣ ٠
(١٩) غيث الادب في شرح لامية العجم والعرب ص١٠_١١

(١٥)

وقـــال :

٣٨ـ أبا دلف ان السماحة لم تزل مغللة تشكو الى الله غلهـــا
٣٩ـ فبشرها ربي بميـــلاد قاســم فارسل جبريلا اليها فحلهـــا

(١٦)

وقال في أبي دلف العجلي :

٤٠ـ أيـــم المهـــير ونكاح الايـــم
٤١ـ يومـــاك يوم أبؤس وانعـــم
٤٢ـ وجمع مجـــد وندى مقســـم

(١٧)

وقـــال :

٤٣ـ وكم لك من يوم رفعت بناءه بذات جفون أو بذات جفـان

(١٨)

٤٤ـ ومما يستدرك على القطعة (٦٩) ص ١٨٨ ـ ١٨٩ البيت التالي :
٤٥ـ من لم يكن منك موصولا الى سبب لم ينزل الارض الا منزل الهـــون

(١٩)

ومما يستدرك على القصيدة الدعديه رقم (١٥) ص ١٠٨ ـ ١١٤ قوله :
٤٦ـ وتلـــث ســـارية وغـــادية ويكر نحس خلفـــه ســـعد

★

٤٧ـ فكأنـــه مـــن كبـــره قـــدح أكـــل العيـــال وكبـــه العبـد

★

٤٨ـ ما شـــانها طـــول ولا قصر في خلقهـــا فقوامهـــا قصـــد

★

٤٩ـ متجلبب ثوب العفـــاف وقـــد غفـــل الرقيب وامكـــن الورد
٥٠ـ ومجانب فعـــل القبيح وقـــد وصـــل الحبيب وساعد السعد

★

٥١ـ ثـــم اغتـــدى ورداؤه نعـــم أســـديتها وردائي الحمـــد
٥٢ـ يا ليت شعري بعـــد ذلكـــم ومصير كـــل مؤمل لحـــد
٥٣ـ أصريع كلـــم أم صريع ضنى أودى فليس من الردى بـــد

★

وثمة أبيات قلائل وقع فيها تحريف فاختل الوزن أو المعنى ، من ذلك :
البيت التالي ص ١٦٠ :

ما خط « لا » كاتباه في صحائفه يوما كما تخطط « لا » في سائر الصحف

٢٥ـ ولو ان خلق الله في جسم فارس | وبارزه كان الخلي من العمـر
٢٦ـ أبا دلف بوركت في كل بلدة | كما بوركت في شهرها ليلة القدر

(٨)

وقـــال :

٢٧ـ سما فوق الرجال فليس يخفى | وهل في مطلع الشمس التباس

(٩)

وقـــال :

٢٨ـ مالي ومالك قد كلفتني شططا | حمل السلاح وقول الدارعين قف
٢٩ـ أمن رجال المنايا خلتني رجلا | أمسي واصبح مشتاقا الى التلف
٣٠ـ أرى المنايا على غيري فاكرهها | فكيف أمشي اليها بارز الكتف ؟

(١٠)

وقـــال :

٣١ـ خلفتني نضو أحزان أعالجهـــا | بالجزع أندب في أنضاء أطلال

(١١)

وقـــال :

٣٢ـ ولما انقضى عصر الشباب وعهده | ذوى ورق الدنيا واغصانها الهدل

(١٢)

وقـــال :

٣٣ـ هو الامل المبسوط والاجـل الذي | يمر على ايامه الدهر أو يحلو
٣٤ـ ولا تحسن الايام تفعل فعلـــه | وان كان في تصريفها النقض والفعل
٣٥ـ فعش واجدا أما الشراء فمسلم | مباح ، واما الجار فهو حمى بسل

(١٣)

وقـــال :

٣٦ـ فتى وقف الايام بالسخط والرضا | على بذل عرف أو على حد منصل

(١٤)

وقـــال :

٣٧ـ فرجت سدفتها بوجهك معلمـاً | وجعلت عالية الرماح ذبالهـــا

٦ ـ مطـونا على اقرابـه جرمقيـة بعيدات قربى من جديل وشدقم
٧ ـ من الدهم لم تنتج لأم ولا أب ولا تشتكي اين السرى والتجشم
٨ ـ موكـــدة الاسماع لا يستحثها بزجـــر ولا يرتاحهـا بالترنم
٩ ـ اذا ما المطايا قومت من رؤوسها فاذنابها منهـا هـدى للتقوم
١٠ـ تسير اذا سارت بأرواح غيرها مركبة من غـير لحم ولا دم
١١ـ يسابق لحظ العين أفتر سيرها ولا تقتفى آثارها بالترسـم
١٢ـ نواج اذا كفكفن ذرع بطيحـة رددن شبا آذيهـا المتعجـم
١٣ـ باجنحة قد ركبت في رؤوسها مرنقـة كالمضـرحي المـدوم
١٤ـ يمر هوي الريح تحسب شقها بحيزومها في الماء منساب أرقم
١٥ـ ترامى بها الامواج وهي تصكها برأس يفري هامة الموج صلدم
١٦ـ كأنا ، وقد دارت بنا الريح تحتها متاييه في داج من الليل مظلم

(٣)

وقــال :

١٧ـ أغـر توالد الشهوات منـه فما تعدوه أهـواء القلـوب
١٨ـ وما اكتحلت به عـين فتبقى مسلمة الضمير مـن الذنوب

(٤)

ومما يستدرك على القصيدة رقم (١١) ص ١٠١ ـ ١٠٣ البيت التالي :

١٩ـ وان حـــاربهـا حلـت بهـا راغيـة السـقب

ومِوضعه بعد قوله : اذا سالم أرضا ...
ومما يستدرك على القصيدة ذاتها قوله :

٢٠ـ ومـا يشـفى صـداع الرأ س مثـل الصارم العضـب

(٥)

وقــال :

٢١ـ يا عصمة العرب التي لو لم تكـن حياً اذاً كانت بغـير عمـاد

(٦)

وقــال :

٢٢ـ ألا رب هم يمنع النوم دونه أقام كقبض الراحتين على الجمر
٢٣ـ بسطت له وجهي لأكبت حاسدا وابديت عن ناب ضحوك وعن ثغر
٢٤ـ وشوق كأطراف الاسنة في الحشا ملكت عليه طاعة الدمع ان يجري

(٧)

ومما يستدرك على القطعة (٢٣) ص ١٢٤ قوله :

القرية في الليل

عدنان مردم بك

أومأ الليل فألقت من أساها ... بيـد الذل ، وسالت مقلتاهـا
شفها أن ألجم الطـير بهـا ... عن غنـاء ، وعراه ما عراهـا
والازاهير أرتمت من شـجن ... تتنزى من تبـاريح شـجاها
أطبقت أجفانهـا مذعـورة ... من قتام عاصف ملء رباهـا
جحفل لليـل طـام غـربه ... يترامى زاخرا دون حماهـا
نشـر الرعبُ لواء ، ومضى ... ينهب الارض ويجتاح سـماها
قتَمٌ حيث جرى ، أطبـاقه ... تترامى وهي ليسـت تتاهى
نفضت أثمـدها ، فاصطبغت ... مُقَلٌ للروض من نفض دجاها

* * *

بُحَّتِ الأنسامُ في غمر الدجى ... عـن نداء وثنى الجهد خطاها
وغـدت همساتها من سـقم ... جهشة المضنى التي شف صداها
نأمـة للـبريح أنى جلجلت ... تستثير النار في الصدر لظاهـا
أرهفت بالسـمع أطيـار لها ... وأعارتها من الذعر انتباهـا
واسـتفاقت مقـل وسـنانة ... لأقاحٍ ، واستفاضت في بكاها
ساورتهـا رعشـة فانتفضـت ... تنثر الطـل عقيقا من أساها
وقيـان الدوح ألقت بيـد ... من ذهول ، فوق أطباق ثراها
أطرقت سادرة مـن حـيرة ... وهي نهب لسادير رؤاهـا

* * *

جثم الصـمت عـلى اعطافهـا ... والدجى من دونها شف لواها

البحتري

محمد العدناني

في مهرجانه الكبير في منبج
بلد الشاعر الخالد

سال يحكي الغيوث وحي القصيد   أريحيا ، في مهرجان الوليد
حار لبي ، ومرقمي راح يشكو   لاهثا فوق طرسي المعمود
ليس يدري من أين يقتنص الالهام ، والروض حافل بالنشيد
رتلته حور القريض لحونا   شغفتنا ، رخيمة التغريد
بحتريّ ايقاعه ، معبدي   مثل أهزوجة على فم عود
منبجي فتونه ، ذو بيان   عربي الاشراق والتضيد[1]
صغت منه النظيم كالفجر وشيا   أو كدر على نحور الغيد
قابسا من أبي عبادة وحيا   كان فيه كحاتم في الجود
من أزاهيره ضفرت أكاليلي ،   ونمقت طارفي وتليدي
وخيالي نسوره بعد لأي   حومت حول قمة ابن الخلود
رانيات الى يتيم القوافي   ولعا باصطياد معنى شرود
تتمنى اهداءه لأريب   ساحر الشعر ، رائع التجويد
تأخذ المزن ماءها من خضمّ   ثم تهديه للخضم المديد

★

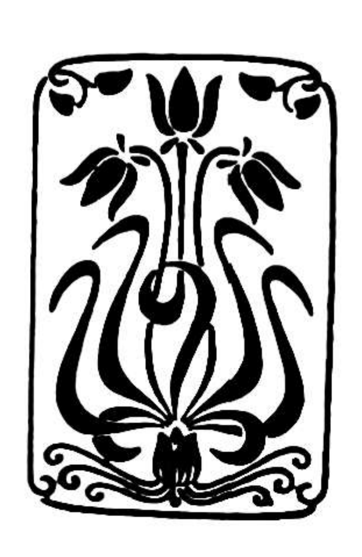
يا فريد الوفاء ! ما زال قومي   يتغنون بالوفاء الفريد
وردوا نبعك الزلال ، فعبوا   دون أن يصدروا بُعَيْد الورود

(١) يقول النحاة ـ غفر الله لهم ـ ان النسبة الى منبج : منبجاني أو انبجاني ، ولا أرى مسوغا منطقيا لهذا الشذوذ حتى أتقيد به .

الى فلان

عبدالمجيد لطفي

طير من الغاب ، مشدود الى القفص
ماذا يهمك ما جرعت من غصص ؟
خالي الوفاض ، ثقيل العبء ، ارهقني
فقد الصحاب وما ضيعتُ من فرص
طوبى لصمتك ، عندي ما يؤرقني
من الكلام ، وما اطوي من القصص
فَنَحِّ ظلك عن شمسي فقد قربت
ايدي الرماة من المطرود في القنص

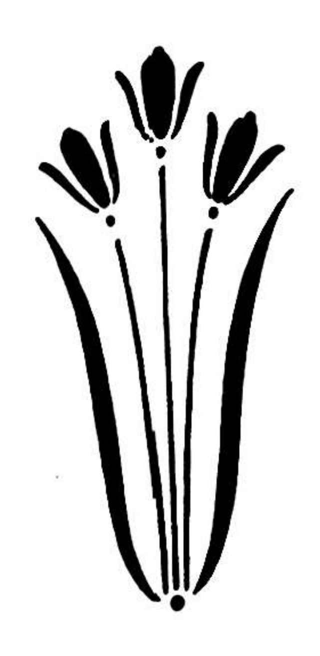


الليـــل

الدكتور كمال نشات

عندما تأتي الينا
أيها الليل الحريري المجنح
تشرئب الروح •• تستيقظ في النجم
وفي النسمة •• في عشب الحقول
أيها الليل الذي يأتي
وما من مرة ضل الطريق
يا عجوزا عمره كالنيل
لا نعرف عمره •• !
قادما يحمل تاريخ الوجود
راحلا فوق المدائن
والقرى •• والبيد •• سحرى ً العباءه
كم شعوب •• ومعارك
ودموع •• وانتصار
لفها جنحك عبر الزمن الجاري وسار !

حينما يفتح فجر الفجر عينيه وتهفو
زقزقات الشجر الملتف نصحو
نفتح الشباك ••
لكن لا نراك !
أين تذهب ؟
أين مأواك البعيد
أيها الشيخ المسافر ؟
أيها الشيخ الذي يعرف دربه
والذي لا يخلف الميعاد
إذ يمضى النهار •!
سوف تأتى كل يوم
بينما نحن سنمضى
فوق أمواجك حلما من غبار ••!!



سكن الحي فمـــا من همسة لسمير ، ترجع الريح صداها
وسجا الليل ، فلم تطرف له مقـل ، عـاث بجفنيهـا كراها
مقـــل لليل ليســـت تتناهى وعســـير يسبر الظـــن مداها
أيقظتهـــا فتنـــة ، فانتبهت تنفض الجفنين من بوح مناهـا
ما وَنَتْ ، والكون مغض ساكت تغمر الكون بفيض من سناها
نصب الصمت رواقـا للرؤى حارت الرؤيا بروقيه اتجاهـا
والسمادير جرت من دونـه تنهب الارض على الصمت خطاها

* * *

هبت الاشباح تعـدو شـطـطا تحت جنح الليل ما شاء هواها
رتعــت ، سارحــة مارتعت في جهام ، وهي جذلى بدجاها
جعلت ، من كل أفق حلبة لسباق ، دون أن تلقي عصاها
حركات زاغت العــين لهـا من أفانين ، وحارت من سُراها
تنهب الظلماء عـدوا عمرهـا دون أن يقصر عدو من خطاها
وتراها العـين ، باتت دونهـا قاب قوسين لوسواس عراهـا

* * *

أغفت القرية وهنـا وارتمت شلو اعيـاء وغطت في كراها
واســتفاقت رغبــات كاللظى في صدور الناس مشبوب لظاها

دمشق **عدنان مردم بك**



ما قضى جعفر الخليفة غــدرا بسيوف الاتراك ، سم الوجـود
وتلاه وزيــره الفتـح حتـى ثرت في وجه كل عات حقـود
ونضوت القريض تضرب فـردا بقوافيه ، ما لهم من حشــود
لم تبال الردى يكشر عن أنيابه الزرق في أكــف الجنــود
ووفــود الخطوب ترتجـل الآ لام حمرا ، مصحوبة بوفـود
والدواهي سودا تجلجل في الافق غضــابا لطمس زأر الصـيد
ودوي البركان في أنفس الاتراك شُمْساً ، يزري بقصف الرعود
نُذُرُ الشـر هـذه ، لم تنهنه من سـجايا قدسيّها في الجدود
فعيــون التاريخ لم تر نـدا لوفــاء في أمتــي معهــود
والمروءات جمعــت ، وأقــامت في حمى العرب خافقات البنـود
مَنْ بنى حصنه من الخلق طودا عاش في قمــة أبيـد الابيـد
وجثت ، عنــد سفحه بخشوع سرمدي ، جبـاه شم النجـود

★

شاعر الحسن ! كم تصباك سحر في عيــون ، ومارج في خدود
وقوام لدن ، وخصـر نحيـل وجمــاح في كبرياء النهـود
وصباح أغــر فــوق جبـين عبقري النهى ، ولفتــة جيـد
ونداء من حسن عَلْوَةَ تصغي بحنين اليــه ضــافي البرود
والى قلبــك المتيـم يسـري دافئـا كالنجيع طـي الوريـد
شغفت علــوة ابن صدرك حتى خلت في ريقهـا ابنـة العنقود
حفلت يعــرب بسـحر الصبايا وفتون منــزه عــن نديـد
فــاذا كانت النســاء قصيـدا من جمال لكاعب ، وخرود[٢]
فغواني قومي شــأون الغــواني بدلال ، ورقــة ، وقـدود
وحــديث منمــق ، ومزايا كشذا روضــة ، وظـل برود

(٢) الخرود : المرأة البكر الحيية ·

قصائد متداخلة

عبدالاله الصائغ
عضو اتحاد المؤلفين والكتاب العراقيين

١ ـ حبيبي أراك ـ على طائر الشوق تنأى ـ يوحدني وجهك البدوي بظل الهجير ـ وأناى وحين يمور النعاس باحـــداق أمي الحزينة ـ وحـين السكينة ـ اجيئك حاملة وردة للقاء واخرى لوجهين عند الوداع ٠ * واذ يطبق الشاطئان على موجة في المساء ـ أراك أراك تعانق وحدك لغو الدماء ـ وشوقك حبر وماء ـ أراني على الطين عارية ترتمي لصدرك ـ أنا الآه والذاكرة ـ أيا مبحرا هات حلما يجيء بي الساعة السطح هذي دمائي ـ تذكرني لحظة لا أراك حبيبي أراك ٠

بوجه معلمتي ٠٠ استحي ـ تسائلني اين أنت ـ ويصفر وجهي ـ ويملأ سمعي صفير ـ واذاك يختلج السر بين الذى خضني مرة ثم ألوى وبين الذى يسائلني أين أين ٠

* مباركة انت دون الصبايا ـ مباركة هذه اللحظات الخطايا ـ خـذي دارتي للنجوم ـ أعش هكذا دون أمس ـ وانسى الذى بـاع قلبي ـ وأدركني الشيب قبل الزفاف ـ ومن لي سواك أيا ثورة العشق اني جديد ـ معي الحب والرعب والكلمات الجديدة ـ لدينا جديدة

٢ ـ وفي البدء كانت حكاية ـ على شفة النسوة المقعدات الى كل باب ـ محلتنا آه يا للرجال يغيبون في التيه بين الرغيف وبين الليالي ـ يقولون هذا غريب ـ أطل كما السر اذ يطلع الهمهمات على حفنة من رماد ـ فاي الصبايا تفرس حتى كأن المدينة ـ ولا من رجال ـ الى لحظة جاء وجه الغريب ـ فأرخ في كل بيت حكاية حب ـ يباركها الوجل القروي ـ ويا كبرياء اتئد ان لون النهار ـ يذكرني بالذى ـ يطل نبيا ـ ويطوي المساءات طيا ـ ويبصق في السر ـ ليت لفتيتنا رغبة كالتي رذذت مقلتاه ـ وفي البدء يا شرخا في الدماء ـ رأيت الذى ملء عيني ـ حتى الضنى والدموع ـ على شرفة العمر ـ لا تتكىء ـ أناديك سعديك هذي شموعي ـ نثرت أطفؤها شمعة شمعة ـ لوعد على شفة المستحيل ـ ويا قلبها ان همس الوباء ـ يوحد اهواءنا قطرة قطرة ـ وعندي الذى لو تطله النساء ـ لخيمن في ساحتي وارتمين ـ سلاما اليك معللتي مر عرس واخر ـ ومر التي واللتيه ـ وأنت نديه ـ وأنت وأنت ـ مخباة بين كل النساء ـ أرى كل وجه ـ وثمة وجهك بين الغيوم ـ يباهلني الصمت ـ قيثارتي

ويُعَفّون كالعواصف شعبا ماله عن فجوره من محيد
ويلمون في فلسطين جرحا نزف البأس في القتال المبيد
وعلى رأس أمتي يضعون الغار يزهى براية التوحيد

★

يا أخا منبج ! ذرعتَ الفيافي وركبت الاوداء بعد النجود
ونظمت البلاد شرقا وغربا راحلا بينها كساعي البريد
والى الأم منبج عدت شيخا ولفظت الانفاس غير شريد
وتواريت في ثراها عظيما كحسام بعد الوغى مغمود
يا فلسطين ! هل تطول حياتي فأرى العرب في اتحاد وطيد
وأرى الصل زال عن عدن قومي وأرى النيل مائجا بالاسود
وأراني رجعت للقدس أحبو فوق صدر التراب ، والجلمود
ثم أزْجى مكرما طي لحد في ثراها ، ما مثله في اللحود ؟

بيروت

محمد العدناني



كنت تحيا ، وشرهم في اضطرام ... ولظى ثأر قومنا في خمود
واماتينّا تهاوى ، فتفنى ... كفناء الاحلام غب الرقود
ورجالاتنا استساغوا المخازي ... ليفوزوا بمنصب ، أو نقود
وأباحوا الحمى لكل دخيل ... ناكث العهد ، مستبد ، لدود
أعملوا السيف بينهم ، وتهادوا ... بفتور ، لصده بالغمود
ودم العرب في عروقك دوى ... يا فتى طيىء ، لحطم القيود
وتلظى فيك الاباء ، وعزم ... قد توارثت منذ عهد عهيد
من أعالي أمجاد قحطان هبت ... عاصف طي صدرك المرِّيد
وبيان فذ لعدنان سالت ... نفثات في شعرك الغريد
كرمت نبعتاك ؛ عما ، وخالا ... وعن الاصل نم طيب العود

★

أمس كنا نستنجز الوعد ذلا ... برجاء الى العدى ممدود
فغدونا نجلجل اليوم صيدا ... بوعيد للغرب اثر وعيد
يا فتى الضاد ! يا أمير القوافي ... ورسول المنى ، و « غيظ الحسود »
قرّ عيناً ، فقومك اليوم هبوا ... كالاعاصير في متون البيد
كحلوا مقلة السها بيراع ... من ذكاء ، ومرود من زنود
وأناخوا بالفرقدين نسورا ... بطماح عدا جميع الحدود
وخميس عرمرم ، لو تصدى ... لجبال ، لمرغت بالصعيد
وصدور فيها البراكين ثارت ... وقلوب مسرودة من حديد
وأتون مؤجج في عروق ... ليس تمنى جحيمه بخمود
ونفوس الى النضال ظماء ... وضلوع مجبولة من حقود
تذعر الجن من صرير المنايا ... تحت أشداقهم ، وومض الزرود
ربضوا للوثوب أسد عرين ... يعربي على وجار اليهود(٤)
سوف يمحون كل نسل ، وحرث ... من أفاعيهم بقصف شديد

(٤) الوجار : جحر الذئب والضبع .

فازدهى يعرب الجمال ، وأضحت غيدها في الجمـال بيت القصيد
والوليد الولهان لم يـر منهـا قلبـه غير علوة في الخـود
نال منه غض الشباب ، وقد يتثنـى تثنـي الأملـود
وسـبته حـوراؤه ببيـاض كمحيا الضحى ، وقلـب ودود
فاذا هـام في الشباب ابن جنب أذعـن اللب دون مـا تفنيـد

★

كلمـا كرت السنون ، رأينـا شعرك الفذ آخـذا في الصعود
نحـو أفق من الخلود رفيـع يتحدى بالسبك كـل جـديد
سبق الدهر مثـل سبق الاماني من مشى خلفهـا بخطو وئيـد
طار عبر القرون يطوي الليالي مسرعا شـطر جنـة التخليـد
نحن كنـا ، ولم نزل تتغنى بعقـود نظمت تلـو عقـود
قد تحلى بها من الدهر نحر راح يزهى بدرهـا المنضـود
ان نمتها الفصول ، كانت ربيعا طاب نفحا ، ونضرة في الفنود(٣)
أونمتها الحسان ، كانت كعـابا وقلـوب الانـام بعض العبيـد
أونمتها الالحان ، كانت نشيدا يزرع الفأل في النفوس السـود
أونماها الزمان ، كانت صباحـا رددته الاطيار فجـر العيـد
أونماها المكان ، كانت جنـانا ذات ظـل من الاماني مديد
ليس كالشـعر للقلـوب نعيـم تتمـلى فيـه بعيش رغيـد
واذا نابهـا الزمـان بجـرح خـف آسي القلـوب للتضميد
كم حسبت الشباب كَلَّ ، ولما هزه الشعر ، عاد ماضي الحدود
ان بيتـا احتـازه بخيـال هائم في دنى المعاني ، صيـود
هو أغلى من كنز قارون عندي ملء قصـر مـن النضار مَشيد

★

يا فتى العرب ! بين روم وفرس ثم ترك تسـربلوا بالجحـود

(٣) الفِنْد : الغصن ٠

إختلاط

المقطع الاول والثالث من القصيدة لا يخضعان لنظام وحدة التفعيلة ، وليسا ما يسمى بالشعر المنثور . انني استلهمت وزنهما من عروض الشعر الفرنسي : الاقدام . فكل سطر يخضع لوحدة التفعيلة الرباعية الاقدام . وللقراء الكرام الحكم على هذه الموسيقى .

محمد علي الرباوي

– ١ –

حملتني من قفاي الثرثار شهوة الترحال .
قوادم الظلال خلف أسوار السحب
تدوس ذيل الشهوة الممتد كالحبال
وألحانُ العودة لا تعزفها قيثارتي التي
عضتها العنكبوت .
كان أمامي الظل واقفا
والبحر خلفي كان واقفا
وسفني تحت رقص النار تموت
وأنا في كل دقيقة أموت
في كل أرض أو مدينة أموت

– ٢ –

شوارع مدريد(١) تزرع أقمارها الخضر وسط العيون
تعفن لحن الطيور
وساحات وجدة(٢) ضاعت عبيراً

(١) مدريد : عاصمة اسبانيا .
(٢) وجدة : مدينة مغربية على حدود الجزائر .

أهب الحزانى دفء روحي طالما | أجد الحزين رهين يأس جائر
أشبعت قلبك من حناني علـه | يعطى الدواء لكل جرح غـائر
لطف مواجـــع حرقتي لتيشمى | أنا ومضة تهدى ضلال الحائر
الحب في صدري فما أنا بالغ | منه الاماني أو غرامك غاذري
شـع الحنان فبات ضـوءً ساطعاً | يضفى على دنياك كل مشاعري
واريتك الآمـال ظـلا للهنـا | ورفعت ذكرك فوق أفق طاهـر
مهلا أليفي لا تحرك سـاكني | حـاذر فان القلب ليس بشـاغر
نور ونار في الضـلوع لهيبهـا | يجتاح دنيا الحب خلف سـتائر
هي لهفة الظامى لنجوى ساهـر | وأنين مشـتاق لحـب صـابر
انا كأسك الظامي لنشوة عـابد | فاملأ فؤادك من رحيق عاطـر
انا ظلك النادي على زهر الربى | فارشف عبير الطهر غير محاذر
لكـن تمهل حين تلمح مهجتي | تشدو لشعر من كمين جواهري
تفضى لـك الاشعار سـرا خافتا | قد عاش طي عواطفي وسرائري
اني احـب الله جـل جـلاله | وأحب فيك الحب حب الطاهـر
فاعذل او اعذر ان لمست ترفقى | بالحائرين لعـل فيهـم شاعري
ما كنت الا رمز روح ملهـم | أيضيق صدرك بالغـرام النادر

* * *

انـي وأنـت هـداية لمحيّرٍ | ولقانط ولكـل قلـب عاثـر

القاهرة

جميلة العلايلي



همسات روح

« الى المحلقين في سمائي »

جميلة العلايلي

هيهات تدرك عمق نبع مشاعري ... هيهات تدرك كنه وحي خواطري
أترى تظن عواطفي يا سامري ... أنفاس عطر أو حنين الثائر
انا ان حبوتُ فؤادك الحانى الرضا ... فالروح لا تصفو لغير الطاهر
ما كان حبي مثل غير سلوة ... لكنه حب اليقين السافر
لا تنس أن الله شاء لحكمة ... أن يجمع الروحين بعد تناكر
لا تنس أني قد رفعتك خلسة ... نحو السماء ونحو خلد باهر
وأريتك الحب العفيف مطهرا ... وأريتك الفكر الكمين بخاطري
أبدا يناجيك الفؤاد وليته ... يلقى بقربك نبع حب وافر
ان كنت تحسب أن صوت عواطفي ... نغما يصور بالرنين الساحر
والله يعلم أن حبي نفحة ... تسمو بحبك فوق شك طافر
فاسأل الهك كيف بات غرامنا ... قبسا لاطياف زهت في الغابر
واسأله أن يعطى فؤادك ومضة ... لتكون نورا في الظلام الغامر
واسلك سبيلك في الحياة مسالما ... وحذار أن ترضى حياة الخائر

* * *

حاولت أدرك كنه حبك ملهمى ... فغرقت في بحر عميق زاخر
أصدق فؤادي كيف أنت جذبتني ... وأسرت روحي دون عنف قاهر
وسلكت بي أفق العوالم هائما ... مترفعا عن كل اثم باتر
لك ما تشاء من الوجود فما أنا ... الا سفينك نحو شط عامر
أنا ان حبوت فؤادك الحاني هوى ... فالله أرسلني ذخيرة شاعر

على القاع مرسومة ـ يا تعالي ٠٠ احن الى بسمة ـ تعلمني الصمت عند الوباء ـ احن الى آهة خلسة ـ فأنسى الشوارع والمدن الذكريات ـ وانساى انساك ـ في لحظة ـ توحد ظلين تحت الهجير ـ مباركة أنت ما ليلة ـ تجيء ولا وجهك البدوي يقبلني ـ اثنتين اثنتين ـ تعالي ـ يوشوش لي الساحر الهمجي ـ بأنا سنمضي ونمضي ونمضي ـ وان كان في خاطر الشوق وعد اللقـــاء ـ فتحت الدماء ـ وفوق الدماء ٠

٣ ـ يموت اشتهاء الى وجنتيك ـ هو الاحدب ـ الأشر ـ المرتمي ـ على الثلج يا زفـــة الطـــير ـ ليلـــة تهمي (المرازيب) ماء ـ أناديـــك ـ تمنيت هذا الذى تحملين ـ وكنت صبيا رسمتك في خاطر الطفـــل أما تجيء الى حارتي ـ وتسأل عن ذلك (العنجهي) ـ أباهل كل الصغار ـ وأرقص من فرح ـ أي هذي ـ وها هي حوليتي كالرصاص ـ يمر ثقوبا على جبهتي ـ واذكر ـ وكانت سماء مطرزة بالرصاص ـ وفي الطرقات الرصاص ـ يطبـل معتوه حارتنا للسحور ـ وأفرك عيني ـ أعبيء صـــدري دخانا ـ يحاورني الصبر ـ خذها اليك ـ وأهلع ـ حتى تنام البطـــون ـ وتطفأ في الحجرات العيون ـ فآوي اليك ـ واكتب شعرا على ناهديك ـ واهبـط في كل بيت ـ وشعرا وشعرا ـ وهذا الـ ٠٠ يموت اشتهاء ـ يموت ارتواء ٠

٤ ـ ترافقني الليل حتى الصباح ـ وتملأ سجادتي بالنجوم ـ وحـين أذكرها مرة في الظهيرة ـ !!! ـ تزم شفاها ضبابية كالسراب ـ وتنكرني ـ تساءل من أنت ـ يا حالما باللذاذات ـ يا طارقا أي باب ـ ألا كف عني يديك ـ نجوم السماء لاقرب مني اليك ـ فأهرب عن جسدي ـ وعيوني ـ تقبل أقدامي الطرقات ـ وأنأى ـ واذ يطرق الليل باب محلتنا ـ وينسرب الضـــوء خلف عذوق النخيل ـ نهر الكلاب ـ اشم رائحة الخبز محترقا ـ ان تنورنا الدموي ـ يفطر احشاءه ـ واســعل ـ آوي وقلبي ـ أراهـــا وينفجر النعر في الذاكرة واصرخ يا أم سعد ـ تعالي ـ لجنية في فراشي ـ تبادلني القبلات ـ وأنسى الذى كان ـ يا ألف آه ـ ألا أينا الحالم ـ تعاليت يا خدرا يتبدا ـ ويلعقني ـ هكذا هكذا ـ لا أفيق وما الفجر منسكبا في البراري ـ يلون داري ـ تلملم اشياءها ثم تنأى ـ بعيدا بعيدا واغرز في جسدي اظفري ـ أتحلم يا أنت أم ٠٠ ـ لست أدري ٠

نظمت :

(*) المقطع الاول في ٢٥ـ٩ـ١٩٧٤ ٠
(*) الثاني في ٢٨ـ٩ـ١٩٧٤ ٠
الثالث في ٢ـ١٠ـ١٩٧٤ ٠
الرابع في ٣ـ١٠ـ١٩٧٤ ٠

صموتا يهز الجثث

ـ ومن بينها جثتي

تموت صباح مساء ـ

شوارع سنتياكو[٣] تنشر من حولها الملح

يزعرد ديك مؤنث !

ـ ٣ ـ

في الافق طنجة[٤] تمد لي ذراعها الابيض

ترحل ـ مثلي ـ رحلة صامتة

ترحل رحلة عمياء

ترحل •• رحلتي بيضاء

لكنني ـ كل دقيقة ـ أموت

وفي كل المدن العمياء أموت •

المغرب

(٣) سنتياكو : عاصمة الشيلي •
(٤) طنجة : مدينة مغربية شمال المغرب •



السكاكي والزملكاني وابن الاصبع والعلوي ، بايجاز يعطي الدليل المقنع أن للرجل ومنهجه البلاغي ، أثرا اتبع واثر ٠ فكان تقسيمه بحث البلاغة الى جملتي المفردات والنظم ، وما يتبعهما من محسنات بديعية ، أساسا في انضاج مباحث البلاغة وعلومها الثلاثة التي استقرت عليها أخيرا ٠

هذه خطة بحثي في بلاغة الرازي ، اعتمدت فيها كتابيه « نهاية الايجاز » و« التفسير الكبير » أساسا للبحث ، اما كتب التراجم والسير والكتب البلاغية الاخرى فكانت روافد أمدت البحث بمعين من المعلومات أفادني في رسم صورة واضحة لشخصية الرازي وبلاغته ٠٠

وبعد ، ورغم الجهد الذي بذلته في مواجهة عقلية الرازي الفذة ، وسعة الدائرة العلمية التي تحرك فيها ، لم أقف الى جانبه هذا الموقف الصعب الا وقفة مع الحق ٠٠ ليأخذ الرازي مكانته بين البلاغيين وتوصل الدراسات ببعضها ولا ادعي اني قلت الكلمة الاخيرة فيه ٠ بل يقينا بأني لم الق عن كاهلي جهدا ، ولم ادخر في سبيل استكمال جوانب الموضوع وسعا ٠٠٠

وختاما ٠٠٠ أشكر استاذي الدكتور جميل سعيد الذي اشرف على اعداد هذه الرسالة فقد افادني الكثير برأيه السديد وحسن توجيهه ٠٠٠

ولكم اساتذتي الافاضل الشكر والتقدير لتفضلكم بالموافقة على المناقشة -

ومن الله التوفيق ٠٠٠

وتلخصت ملاحظات الدكتورة بهيجة باقر الحسني ، رئيسة لجنة المناقشة وعضو اتحادنا بما يلي :

أ ـ الرسالة مؤلفة من (٢٩٩) صحيفة ، تناول في (٦٤) صحيفة منها :

اسمه ، ولادته ، نشأته ، اسرته ، رحلاته وأسفاره ، أساتذته ، تلامينه ، وفاته ، رأي الاقدمين والمحدثين فيه ، شعره ، ثم آثاره ٠

حبذا لو بذل الجهد هذا في موضوع الرسالة نفسها « فخرالدين الرازي بلاغيا » وليس في أمور جانبية ومدروسة دراسة علمية واسعة ووافية ، وقد اعتمد الطالب عليها فنقل فصولا كاملة منها بحيث اختفت شخصيته خلالها ، تلك الدراسات :

١ ـ دراسة الدكتور علي سامي النشار في كتاب « اعتقادات فرق المسلمين والمشركين » دراسة وتحقيق ٠

٢ ـ دراسة الاستاذ جورج شحاته قنواتي في مقالة بعنوان « فخرالدين الرازي » مهداة الى الدكتور طه حسين في عيد ميلاده السبعين ٠

٣ ـ دراسة الاستاذ محمد صالح الزركان في رسالته « فخرالدين الرازي وآراؤه الكلامية والفلسفية » ٠

٤ ـ دراسة الدكتور محسن عبدالحميد في رسالته « الرازي مفسرا » ٠

ففي دراسة الطالب ماهر لآثار الرازي مثلا نقل الثبت الذي عرضه قنواتي في مقالته كاملا دون زيادة أو نقصان ، وأردفه بالثبت الذي وضعه الدكتور الزركان في رسالته ، ولم يزد على ما قدماه من معلومات بخصوص « نهاية الايجاز » و « التفسير الكبير » في الاشارة مثلا الى المطبوع سواء أكانت الطبعة

المفردات التي حدد فيها مصطلحات علم البيان . ويقع الفصل في قسمين : الاول في بيان حد البلاغة والفصاحة ، واحكام الدلالات اللفظية والمعنوية وحد الخبر ..

وفي القسم الثاني بينت تحديد مصطلح الحقيقة والمجاز ، والتشبيه واغراضه والتمثيل والاستعارة والكناية ...

اما الفصل الثالث : فكان لدراسة جملة كتابه الثانية التي عالج فيها قضية النظم وضمنها مصطلحات علم المعاني فبينت فيه تحديد حقيقة النظم ، والتقديم والتأخير والفصل والوصل والحذف والاضمار والايجاز .

اما الفصل الرابع ، فكان لبحث المحسنات البديعية ، وقد استخلصت هذا الفصل من ذكر الرازي هذه المحسنات في جملتي كتابه ، فقد ذكر المحسنات اللفظية في جملة المفردات الاولى وذكر المحسنات المعنوية في الجملة الثانية .

وقد بينت في هذا الباب ما لعبد القاهر الجرجاني ، وكتابيه أسرار البلاغة ودلائل الاعجاز من اثر في تأليف كتابه ، فقد كان كتابا عبدالقاهرة عمدة الرازي في تأليف « نهاية الايجاز » : وقد اشرت الى مواطن متابعة الرازي لعبدالقاهر ومخالفته اياه في معالجة موضوعات البلاغة وتقرير مصطلحاتها . واستضاءته بذوق عبدالقاهر الادبي في تعزيز كتابه بالامثلة والشواهد على الرغم من سيطرة النزعة العقلية على اسلوب الرازي . اذ استطاع بمقدرته العقلية تلك . ان يضع الخطوط الاولى لعلمي البيان والمعاني ، وان يحدد مصطلحاتها في جملتي الكتاب ، وان يخضع بلاغة عبدالقاهر الى أسلوب تقريري تنضبط به القواعد والاصول ...

اما الباب الثالث فكان لتطبيقات الرازي البلاغية في تفسيره الكبير استقصيت فيه بيانه الصور البلاغية في القرآن الكريم ، واستخلاصه مصطلحات البلاغة في تفسير الآيات المتضمنة صور تلك المصطلحات وجعلته ثلاثة فصول :

اولها : لبيان الرازي اعجاز القرآن في تفسيره الآيات الدالة على ذلك ، وقد اشرت الى ميل الرازي في تفسيره لبعض الآراء التي نقدها في « نهاية الايجاز » .

الا انه قرر أخيرا وتمسك بان الاعجاز كامن بفصاحة القرآن وبلاغته وافاض في تفسيره بالبرهنة على ذلك .

وفي الفصل الثاني عرضت تطبيقات الرازي مصطلحات البيان وتفصيله صور التشبيه والاستعارة والمثل والعبرة من ضرب الامثال في القرآن الكريم والكناية ووجوهها ..

اما الفصل الثالث فجعلته لتطبيقات الرازي المعاني واهتمامه في بيان وجه النظم وتركيب الآيات وترابطها متوخيا بذلك النظر الى ان القرآن الكريم وحدة مترابطة في نظمه ، فتعامل من خلال هذه النظرة مع الالفاظ والمعاني ، وراعي التقديم والتأخير والحذف والاضمار ، والايجاز ، وبذلك ابرز النظم وحسنه في القرآن الكريم .

كما ضمنت هذا الفصل ما اهتم الرازي بتطبيقه من مصطلحات بديعية ، فاوردت ذكر الالتفات والتوكيد والتعجب والسجع والشرط والجزاء .

وجعلت أثر الرازي ومنهجه خاتمة لبحث بلاغته ، فتتبعت آثره عند

مشهورة ، وكانت كتبه ممتعة ، فانتشرت في البلاد العربية والاسلامية ، ورزق فيها سعادة عظيمة ، اذ انشغل بها الناس ورفضوا كتب المتقدمين . وقد اسهم الرازي في ميدان البحث البلاغي بكتابه « نهاية الايجاز في دراية الاعجاز » ، قد غطت قيمة كتابه العلمية وشهرته البلاغية فذهب السبق بين الدارسين للسكاكي الذي لم يعرف له في البحث غير « مفتاح العلوم » .

لذلك فدراسة الجانب البلاغي عند الرازي كشف عن حقيقة جوهرية في تطور البلاغة العربية ، وتحولها الى الصورة التي تحددت بها أصولها وقواعدها اخيرا ، وقد تعرض لهذه الحقيقة تعرضا جانبيا بعض الدارسين المحدثين ، ولم تتعد قيمة تلك الدراسات ، الكشف عن اهمية الرازي البلاغية ، فلم توفه حقه بلاغيا . فقد وجدت من خلال الدراسات البلاغيـة القديمة والحديثة ، ان بين عبدالقاهر الجرجاني الذي تعده هذه الدراسات امام البلاغيين وبين حصر المسائل البلاغية وتقنينها : حلقة وصل صاغها فخرالدين الرازي بتاليفه « نهـاية الايجاز » الذي كان بلا ريب الخطوة الاولى في تقنين قواعد البلاغة العربية وضبط مسائلها .

من هنا تهيأت لي الاسباب لدراسة « فخرالدين الرازي بلاغيا » فقد وجدته يحتل مكانة بارزة ومهمة في تحول البلاغة العربية ، اذ بدأت بكتابه « نهاية الايجاز » مرحلة جديدة من مراحل تبويب البلاغة وتقنين مصطلحاتها ، هـذه ناحية ، وناحية أخرى هامة ، صبرت لها ، واطلت النظر فيها ، تلك هي اسلوب الرازي ومنهجه في مخض زبدة البلاغة العربية وحصرها في كتاب واحد ، حدد فيه مصطلحاتها على أساس منهجي واضح ، ولكنه اخضع الاصول الذوقية في البلاغة العربية لاحكام عقلية وقواعد تقريرية .

وقد جعلت خطة بحثي في تمهيد وثلاثة أبواب ...

تحدثت في التمهيد بايجاز عن البلاغة قبل الرازي ...

وكان الهدف من هـذا التمهيد استخلاص فكرة واضحة عن البلاغـة العربية ، من خلال استعراض أغلب كتب البلاغة والنقد ، ومعالجة موضوعاتها ، والخطوط الرئيسية في مناهج مؤلفيها قبل الرازي ، لتكون مدخلا هاديا لدراسة بلاغته ...

اما أول الابواب فكان للتعريف بالرازي ... وجعلته فصلين ، تناولت في أولهما ترجمة حياته ، وتناولت في الفصل الثاني تراثه ، من خلال أهم الدراسات التي عكفت على تبويب هذا التراث وتصنيفه .

وخصصت البابين الثاني والثالث لدراسـة بلاغـة الرازي ، عرضت في الباب الثاني كتابه « نهاية الايجاز في دراسة الاعجاز » ومنهجه في تحـديد مصطلحات البلاغة فيه ، وجعلته أربعة فصول .

كان الاول منها لاعجاز القرآن ومعالجة الرازي اياه لتعرضه لآراء سابقيه وتفنيده بعضها وخلوصه الى القول بأن القرآن معجز بفصاحته .

اما الفصل الثاني : فكان لدراسة الجملة الاولى من الكتاب . وهي جملة

رسائل جامعية

فخرالدين الرازي بلاغيا

بالعنوان المتقدم نوقشت الرسالة التي تقدم بها السيد ماهر مهدي هلال الى كلية الآداب بجامعة بغداد لنيل درجة الماجستير وذلك مساء يوم الاربعاء المصادف ٢٦-٣-١٩٧٥ وكانت لجنة المناقشة مكونة برئاسة السيدة الدكتورة بهيجة الحسني عضوة اتحادنا وعضوية السادة المشرف الدكتور جميل سعيد والدكتور عمر ملا حويش عضوى اتحادنا والدكتور مهدي السامرائي وقد انجلت المناقشة عن منح صاحب الرسالة الماجستير بدرجة جيد جدا وقد تميزت بالاصالة والدقة العلمية • وفيما يلي نص خطبة الدفاع الملقاة بين يدي الرسالة :

تعنى كتب البلاغة العربية في العصور المتأخرة بتقسيم البلاغة الى علوم ثلاثة هي :

البيان والمعاني والبديع ، ثم ما يتفرع عنها من مصطلحات ، ويكاد موضوع البلاغة في مدارسنا الآن ينحصر في حدود هذه التقسيمات والفروع ، التي يتصورها الطالب كأنها بديهيات ولدت البلاغة مصورة بها •

ومن المسلم به أن أدب الامة ، صفحات متتابعة ، ومراحل مترابطة الوشائج بحياتها وتطورها ، ويعني ذلك بكلمة موجزة : ان الأدب سجل الامة وانفعالها الانساني عبر الزمن •

والبلاغة ، تلك الملكة الذوقية التي تترجم جمال القول الادبي الى صور فنية محسوسة ، هي احق عناصر الادب بالدرس والعناية •

ولاشك في ان بلاغتنا العربية كان لها من ارهاصات التحول والتطور ما كان لتراث الامة عبر مراحل تطورها •• ودراستها تقتضي مواكبة تطور مفهوم مصطلحاتها ، وتتبع اولئك الذين بذلوا جهدا في تقرير تلك المصطلحات ، من المؤلفين الذين اغفلتهم الدراسات الحديثة التي اتخذت من المنهج التأريخي سبيلا لتصوير حياة البلاغة •

والامام فخرالدين الرازي : يحتل صفحة مطوية في ترات الامة العربية والاسلامية الضخم ، وقد كان نصيبه من عناية الدارسين لبعض جوانب حياته العقلية بقدر يستحقه فقد درست مناظراته واراؤه الفلسفية والكلامية ، كما درس مفسرا •

وكانت تلك الدراسات جامعية حصل أصحابها على درجات علمية بها ، الا انه لم يكن لدراسة جانب من تراثه امكانية الايفاء بجوانبه الاخرى ، والكشف عنها ••

فقد درس الرازي من العلوم والفنون ما عرف عصره ، وكتب فيها تصانيف

علمية أو تجارية ، والى المخطوط منهما ، المفقود والموجود ٠

ب - الباب الثاني من الرسالة ، عنوانه « كتابه نهاية الايجاز في دراية الاعجاز » دراسة وتحليل ٠ هذه الدراسة تقع تحت العناوين الآتية :

١ - الفصل الاول : « لم الف الرازي كتابه » ص ١٠٤ - ١١٤ ٠
٢ - الفصل الثاني : « تحديده مصطلحات علم البيان » : ص ١١٤ - ١٥٣ ٠
٣ - الفصل الثالث : « النظم وتحديده مصطلحات علم المعاني » : ١٥٤-١٧٢ ٠
٤ - الفصل الرابع : « البديع » : ١٧٣ - ١٩٤ ٠

حبذا لو عالج الطالب في الباب الثاني والذي هو دراسة وتحليل الموضوعات الآتية :

١ - لم ألف الرازي كتابه ؟
٢ - متى ألفه ؟ قبل كتابه التفسير أم بعده ؟
٣ - الغرض من تأليفه ٠
٤ - وهل الكتاب تلخيص أم تأليف ؟
٥ - مصادره ٠
٦ - منهجه ومفهومه للدلالات وأقسامها ٠
٧ - موضوعاته ٠
٨ - أسلوبه ٠
٩ - تطبيقه لنظريتي عبدالقاهر الجرجاني ومدى نجاحه ٠
١٠- هل الرازي أول من وضع الصيغة النهائية للبلاغة العربية أم السكاكي ؟ وما هو مفهوم الرازي للبلاغة والفصاحة والبيان والمعاني ؟
١١- أثر المدرسة الكلامية في الكتاب ٠
١٢- قيمته البلاغية ٠
١٣- مدى علاقته البلاغية بكتاب مفاتيح الغيب أو كتاب التفسير الكبير ٠
١٤- أثره فيما بعده ٠
١٥- رأي البلاغيين الاقدمين والمحدثين فيه ٠

ملاحظاتي حول الباب الثاني : لم ألف الرازي كتابه ؟

ص ٩٨ تقول « ثم أوضح الرازي سبب تأليفه لكتابه بقوله ٠٠٠ » ثم أوردت القطعة التي توضح منهج الرازي وليس سبب التأليف ٠

ص ١٠٠ « لا سيما العلم الذي هو أرسخ العلوم أصلا ، وأبسقها فرعا وفصلا ، وأكرمها نتاجا ، وأنورها سراجا ، وهو علم البيان » ٠ لقد أهملت توضيح مفهوم الرازي لعلم البيان ، ومدى تأثره بعبدالقاهر الجرجاني اذ النص هذا لعبدالقاهر يورده في دلائل الاعجاز ص (٤) وكما تشير أنت في الهامش (وينظر دلائل الاعجاز) ولكن دون شرح وتعليق ٠

ص ١٠١ تقول « ثم نوه بجهده في استخلاص زبدة ما مخضه عبدالقاهر فيقول ٠٠٠ » والقطعة توضح منهج الرازي وليس جهده ٠

ص ١٠٣ عرضت شاهدا يمثل الهدف التعليمي من الكتاب ٠٠ فاوردت

أحد على ان ينتقصها أو يضيف اليها شيئا له أهمية الا ماحدث في ترتيب مسائلها، وتهذيب أبوابها على يدي السكاكي » ٠

ويقول ابن خلدون(٦) : « ثم لم تزل مسائل الفن تكمل شيئا فشيئا الى ان محص السكاكي نسبته ، وهذب مسائله ، ورتب أبوابه » ٠٠٠

ويقول الدكتور بدوي طبانة(٧) : « وتبقى الحقيقة بعد ذلك ، وهي ان البلاغة العربية لم تعرف تلك الاقسام ولا ذلك الحصر الا في القرن السابع الهجري على يد أبي يعقوب يوسف السكاكي ٠٠٠ وقد جعل البلاغة علمين ، هما : علم المعاني ، وعلم البيان ، وجعل علم البديع تابعا لهذين العلمين » ٠٠

ويذكر الدكتور شوقي ضيف(٨) : « وشهرته [السكاكي] انما دوت بالقسم الثالث من الكتاب الخاص بعلمي المعاني والبيان ، ولواحقهما من الفصاحة والبلاغة والمحسنات البديعية اللفظية والمعنوية ، فقد أعطى لهذا كله الصيغة النهائية التي عكف عليها العلماء من بعده يتدارسونها ويشرحونها مرارا » ٠

ان الطالب لم يفرد بابا لهذه الآراء ومناقشتها مناقشة علمية ليثبت فيما اذا كان الرازي المؤسس الاول أم السكاكي فهو قلق متذبذب لا يدري أيهما الاول حتى التبس عليه الامر فقال في ص ١٢٩ : « وهذا هو تعريف علم البيان الذي ذكره الرازي في القسم الثالث من مفتاح العلوم » ٠

وقال في ص ٢٧٧ : « وقبل ان ننتهي من أثر الرازي في السكاكي ، لابد لنا من بيان حقيقة غاية في الاهمية ، أغفلها الباحثون وتناقلها الدارسون ، تلك هي ان السكاكي أول من حدد علمي المعاني والبيان وعرفهما ، ولعل هذا الاغفال كان بسبب بقاء كتاب « نهاية الايجاز » بعيدا عن متناول يد الدارسين » ٠

ومما يجب قوله : ان السيد ماهر صرح في مناقشته : بان السكاكي هو المؤسس الاول وليس الرازي ٠

الفصل الرابع : « البديع »

ولا ندري هل البديع بالمفهوم العام أم بمفهوم السكاكي أو الخطيب القزويني ؟

واذا بالطالب ماهر يدين نفسه فيصرح :

« والرازي الذي جهد في تقنين مصطلحات البيان والمعاني وتحديدها ، نظر في المحسنات البديعية في عصره ، فوجدها تعني البلاغة بمصطلحاتها العامة » ٠

ولكن الرازي نحى في مفهوم المحسنات البديعية منحى آخر ، فقد قسمها بين جملتي كتابه « نهاية الايجاز » فتحدث في الجملة الاولى المتضمنة لمصطلحات البيان عن المحاسن والمزايا الحاصلة بسبب الالفاظ وما يتبعها وذكر منها : التجنيس ٠٠ الخ وتحدث في الجملة الثانية المتضمنة لمصطلحات المعاني عن

---

(٦) المقدمة : ٥٥٢ ٠

(٧) علم البيان : ١٢ ٠

(٨) البلاغة تطور وتاريخ : ٢٨٨ ٠

السكاكي في حديثه عن الدلالات سيما يتعلق بالخبر ... بعد أن أخذ التحديد والتعريف لعلمي المعاني والبيان من كتاب الرازي .

ويقول : « والسكاكي لم يكن أول من حدد مصطلحاتها وحصر موضوعاتها لان تحديدهما قد ورد في أول حديث الرازي عن الدلالات » .

ويقول في ص ٢٨١ :

« وبذلك يتضح لنا أن السكاكي قد تأثر بالرازي واستضاء به في تحديده مصطلحات البلاغة » .

ولا أريد أن أطيل في عرض كلام الطالب ماهر اذ تهنـــا بين السكاكي والرازي .

كم تمنيت لو أفرد السيد ماهر فصلا بعنوان « مَنْ الذي حدد مصطلحات البلاغة وحصر موضوعاتها ، الرازي أم السكاكي ؟ » .

فالسيد ماهر يقول بصريح العبارة « والسكاكي لم يكن أول مَنْ حدد مصطلحاتها وحصر موضوعاتها » بل الرازي . فعليه اذن ان يورد ما يذكره علماء البلاغة العربية اليوم ، من « ان البلاغة العربية لم تعرف تلك الاقسام ولا ذلك الحصر الا على يد السكاكي » فيناقش هذه الحقيقة مناقشة علمية قائمة على أساس الحجج والبراهين ليفند الحقيقة هذه ويثبت رأيه ، .. كان عليه ان يحاجج الدكتور أحمد مطلوب الذي يقول[3] : ولم تأخذ البلاغة دلالتها المعروفة عند فخرالدين الرازي » .

ويقول[4] : « وذكر فخرالدين الرازي مصطلح « علم المعاني » و « علـم البيان » ولكنه لم يعرفهما أو يوضحهما ولم يحدد موضوعاتهما » .

ويقول أيضا[5] : « وظلت كلمة البيان تحمل هذه المعاني العامة ... حتى استقرت على يد السكاكي » .

وقال الدكتور أحمد أيضا في « القزويني وشروح التلخيص » ص ٢٩٢ :

« وذكر فخرالدين الرازي . مصطلحي « علم المعاني » و « علم البيان » ولكنه لم يعرفهما ، ويوضحهما ، ويحدد موضوعاتهما ... يقول [الرازي] وهو يتحدث عن الخبر ... ثم يعلق الدكتور أحمد : « ان عبارة علم المعاني والبيان غامضة لا يفهم منها الا معنى عام ، وهو البلاغة بصورتها الواسعة .. أما معانيها الخاصة التي حصرها السكاكي فلم يشر اليها الرازي ، وكأن المعاني والبيان عنده يرادفان البلاغة » .

ويذكر أيضا الدكتور مطلوب . في كتابه « البلاغة عند السكاكي » ص ٩٨ :
« .. حتى وصلت الى عبدالقاهر ففلسفها ووضع أسسها التي لم يجرؤ

---

(٣) مصطلحات بلاغية ، الطبعة الاولى ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م ، ص ٤٧ .
(٤) المصدر نفسه ص ٥٧ .
(٥) المصدر السابق ص ٦٧ .

الطالب ، اذ في ذكرها يبسط خلط الرازي بين مواضيع المعاني والبيان والبديع ، وهذا لا يريده الطالب ، الموضوعات هي : في معنى اسناد الفعل الى الفاعل ـ في الافعال المتعدية ـ الفرق بين الجملة الاسمية والفعلية في المعنى ـ في حقيقة المبتدأ والخبر ـ في الفرق بين قولنا : زيد منطلق ، وقولنا : زيد المنطلق ، وقولنا : المنطلق زيد ـ في ان الصدق والكذب يتوجهان الى خبر المبتدأ لا الى صفته ـ ثم في الحقيقة والمجاز ـ فالطالب غض النظر عن تلك الموضوعات وتناول بحث الرازي للتشبيه والمجاز والكناية فقط .

ـ يقول الطالب في صحيفة (٢٤) من رسالته : استطاع عبدالقاهر أن يضع نظريتي « علم المعاني والبيان » وضعا دقيقا ، ثم وضع نظرية النظم الا انه لم يوضح « النظرية البيانية » ومدى تطبيق الرازي لها في باب البيان ؟

ـ لم يوضح الطالب ماهر الفرق بين معنى « علم البيان » في مقدمة الرازي وبين « البيان » الذي ضيقه الطالب ماهر ـ وليس الرازي ـ فحصره في (المجاز والتشبيه والاستعارة والكناية ؟) .

الفصل الثالث ـ « النظم وتحديده مصطلحات علم المعاني » .
تناول الطالب ماهر في هذا الفصل :

حقيقة النظم ، التقديم والتأخير ، الفصل والوصل ، الحذف والاضمار والايجاز وتجاهل الابواب الاخرى : فالرازي جعل أقسام النظم ثلاثة وعشرين قسما تناول فيها :

المطابقة ، والمقابلة ، والمزاوجة ، والاعتراض ، والالتفات ، والاقتباس من القرآن ، والتلميح ، واللف والنشر ، والتعديد ، والابهام ، ومراعاة النظير ، وتأكيد المدح بما يشبه الذم ، والاغراق في الصفة ، والجمع والتفريق والتقسيم ، والمتزلزل ، وحسن التعليل .. ثم تناول بعدها التقديم والتأخير ...

ولكن الطالب ماهر وضع هذه المحسنات مع القسم الاول من المحسنات في باب منفرد تحت عنوان البديع ..

وفي ص ١٧٢ من الرسالة يقول الطالب خاتما فصل علم المعاني : « هذه هي المصطلحات التي حصرها الرازي في جملة النظم وهي « الجملة الثانية في كتابه « نهاية الايجاز » والتي تحددت بها مصطلحات علم المعاني ، كما تحددت في جملة كتابه الاولى مصطلحات علم البيان » ..

« وبذلك يكون الرازي من أوائل الذين حددوا بوضوح مفهوم علم المعاني عن البيان ، وأفرده في البحث عنه في جملة مستقلة ... وجاء الرازي فخطا الخطوة الاولى نحو ترتيب وضبط بحث المصطلحات البلاغية وتحديدها في جملتين منفصلتين ، تحددت بهما أصول علمي البيان والمعاني ، وما يتبعهما من محسنات بديعية » ..

ويعود الطالب فيقول : « فالرازي قد سبق السكاكي في وضع كتابه « نهاية الايجاز » الذي حدد فيه علمي المعاني والبيان » .

ويقول في ص ٢٧٩ : « لذا فقد ذكر الرازي مصطلحي البيان والمعاني بعد تعريفهما بوضوح وبيان حديهما في حديثه عن الدلالات » الى أن يقول : فتابعه

الراي الذي يطرحه الرازي لمناقشته فقط ، واهملت مناقشة الرازي له فجاء الكلام ناقصا لم يوضح الغرض •

ص ١٠٢ كتبت بيت البحتري :

بخلت جفونك ان تكون مساعدي   شحت جفـونك ان تكون مرافقي

أشبه بنثر اذ العجز « شحت جفونك » بسطر و « ان تكون مرافقي » بالسطر الذي يليه •

الفصل الاول : « اعجاز القرآن » •

١ – لقد تناولت اعجاز القرآن في التمهيد « البلاغة قبل الرازي » وفي الفصل الاول من الباب الثاني ، ثم في الفصل الاول من الباب الثالث • لا حاجة للتكرار •

٢ – أوردت المذاهب التي دارت في البحث في اعجاز القرآن الكريم ، واعتمدت علي مصادر حديثـة في عرضها وتلخيصها • علمـا بان الرازي نفســه يطرحها ويناقشها مناقشة علمية ثم ثبت رأيه في وجه الاعجاز بفصاحته •

– أهملت الاشــارة الى كتــاب « سر الفصاحة » لابن سنان الخفاجي ، ومدى اعتمــاد الرازي عليــه ، ومدى التقائهمـا واختلافهمـا ، اذ الكتـابين يمثلان مدرستين مختلفتين ، الادبية والكلامية •

– الفصل الثاني من الرسالة – عنوانه « تحديده مصطلحات علم البيان » تناول فيه الطالب : مفهوم الرازي للدلالات ، « في حقيقة البلاغة والفصاحة » ، « حدود البلاغة » – كان يجب ان يكون العنوان « حدود الفصاحة » اذ الكلام في الفصاحة وليس في البلاغة – ثم « حد الخبر » ، « الحقيقة والمجاز » ، « التشبيه » ، « التمثيل » ، « الاستعارة » و « الكناية » •

لقد بوب الطالب الكتاب وفصله حسبما يريد هو لا كما يريد الرازي ليثبت ان الرازي أول من وضع حدود علم البيان ، ولكن كتاب « نهاية الايجاز » يفند هذا الرأي ، اذ بحث الرازي في الجملة الاولى موضوعات تقع في علم المعاني وعلم البديع ، وموضوعات تقع في علم البيان : فأول ما عالج في كتابه بعد الفصاحة: المحاسن والمزايا الحاصلة بسبب الالفاظ وما يتبعها : في التجنيس ، والاشتقاق ، ورد العجز على الصدر ، والقلب ، والسجع ، والمزدوج ، والترصيع وهذه من فنون البديع • ثم انتقل الرازي في القسم الثاني الى احكام الدلالات المعنوية فقال بصريح العبارة(١) :

« ولكن الخبر هو الذي يتصور بالصور الكثيرة ، وتظهر فيــه الدقائق العجيبة ، والاسرار الغريبة من علم المعاني والبيان » •

فالطالب اهمل مناقشة مفهوم الرازي للخبر ، واتخذ من هذا النص حجة ليثبت أن الرازي أول من وضع حدود علمي المعاني والبيان •••

كما بحث الرازي في الجملة الاولى المواضيع الآتية(٢) ، والتي أهملهـا

---

(١) نهاية الايجاز : ٣٦ •

(٢) المصدر نفسه : ٣٧ – ٤٦ •

المحسنات المتعلقة بالنظم وهي عنـده وجـوه شتى ذكر منها ثلاثة وعشرين وجها »(٩) ٠

ـ أطلق الطالب ماهر لفظة « البديع » على « المحسنات » في الوقت الذي لم يستعملها الرازي ولا السكاكي ، وانما أول من أطلقها بدرالدين بن مالك (٦٨٦هـ) في كتابه « المصباح » ص ٧٥ ٠

كما أغفل الاشارة ـ في أول الفصل ـ الى تأثير كتاب « حدائق السحر في دقائق الشعر » لرشيدالدين الوطواط في كتابه « نهاية الايجاز » ولم يوضح ما أخذه الرازي من كتاب الوطواط ٠

الباب الثالث وعنوانه : « تطبيقاته البلاغية في تفسيره الكبير »

ـ يجب أن يغير عنوان هذا الباب ، لان التفسير الكبير ليس بتطبيقات بلاغية وما جاء به الطالب من شواهد لا تثبت رأيه هذا ٠

ـ يدلل على سبق « نهاية الايجاز » « للتفسير » في التاليف للواردة الآتية في هامش ٩٩ ٠

« وقد أشار اليه [نهاية الايجاز] في التفسير الكبير ، وسـماه « دلائل الاعجاز » فقال : « ومن تأمل كتابنا « دلائل الاعجاز » علم أن القرآن ٠٠

ـ أقول ألا يجوز ان تكون « نا » زيادة من الناسخ ٠ اذ لم يجهد الطالب نفسه في مناقشتها ورفضها وانما قبلها كما وردت ٠

نسى الطالب أن يذكر تأثير تفسير جارالله الزمخشري « الكشاف عن حقائق التنزيل » في تفسير الرازي الا ان النماذج البلاغية التي استشهد بها كانت أشبه بمقارنة بين تفسير الرازي وتفسير الزمخشري ، مثـلا يقـول في ص ٢٠٩ ، وقد اتفق الرازي مع الزمخشري ، ص ٢١٠ والظن عند الزمخشري ، ص ٢١١ وقد ذكر الزمخشري ، ص ١٢٥ زعم صاحب الكشاف ، ص ٢١٦ أي رأي الزمخشري ، ص ٢١٩ وذكر الزمخشري في تفسيره لفظـة الظلمات ٠٠٠ وهذا قليل من كثير ٠

ـ لقد أهمل الطالب البحث في المواضيع الآتية :

متى ألف الرازي تفسيره ؟ وما سبب تسميته بمفاتيح الغيب ؟ ما هي مصادره ، أسلوبه ، مدى تأثير كشاف الزمخشري فيه ، منهجه ، أثر نظرية النظم، والتصوير والتحليل في تفسير الآيات ٠ اختلافه مع المفسرين الآخرين ، ما أضافه من جديد ، قيمته البلاغية ٠

ملاحظة : الطالب ماهر يكثر من التكرار ، ولكنه لم يشر اليه في رسالته ، اذ كأن كل فصل فيها أو باب منفرد عن الذي قبله والذي يليه ٠٠ وهذا غـير صحيح لان الرسالة وحدة متكاملة ، مثال ذلك ٠٠ ذكر الخبر والقصيدة في الرثاء ص ٤١ ، عاد مرة ثانية فأورد الخبر والقصيدة ص ٦٨ ، بلا اشارة ، ومثله كرر الرأي نفسه في ص ٧٤ ، و ٨٥ ، وذكر رأي الدكتور أحمد مطلوب ص ٨٥ ، ٢٧٧ ، ورأي فتح‌الله خليف ص ٦٣ و٦٥ ٠

---

(٩) فخرالدين الرازي بلاغيا : ١٧٤ ٠

من القراء واليهم

حول مقالة (صالح الجعفري شاعرا)

في عدد شباط المنصرم من مجلة (الكتاب) النفيسة مقالة للاستاذ زهير غازي زاهد بالعنوان المتقدم (صالح الجعفري شاعرا) والمقال جامع ومفيد وممتع عن رجل له في خدمة الثقافة العربية قدم راسخة ، وماض مجيد ، ويعد من المجددين بين الشعراء اللامعين من شعراء العراق ، وقد اعتمد الكاتب الفاضل من المصادر مقابلته للجعفري نفسه ، ومصدرا اخر ، وهو اي الكاتب غير ملوم ان جاء بحثه ناقصا ، او كان المصدر مغرضا فيما ألف وكتب .

أما الجعفري ، فكل ما نقله عنه الكاتب الفاضل كان صحيحا ولكنه كان ناقصا ، وكان المنتظر أن يفيض الكاتب في اسئلته ليفيض الجعفري في اجوبته ، وبذلك نكون قد جمعنا الشارد من الحقائق في تاريخ الادب على قدر الامكان ، ففي معارك الشيوخ والشباب التي اشار اليها الكاتب كان هناك عنصر من الشباب الذي عجل عليه السل فسله من بين شعراء النجف وهو المرحوم جواد السوداني ولو عاش لكان قد ارتقى الان مرتقى لا يخلو من الحسد في عالم الشعر ، وكان هذا الشاعر الشاب يقف في هذه المعارك باسم الشباب ضد ابيه الشيخ كاظم السوداني الذي كان من قادة شعر الشيوخ الامر الذي جعل الدواوين يومذاك تتحدث بمثل هذه الوقائع .

وفي مجالس الشعر التي تحدث عنها الجعفري في مقابلة الكاتب له حدثت حادثة تاريخية ، وهي ان احد المشايخ المعروفين وهو لا يزال حيا ، وليس من شاني انا ان اسميه ، انشد قصيدة له في مجلس عرس هزت فحول الشعراء هزا ، وانشاد الشعر عادة في النجف يجري منغما وملحنا ، وان القصيدة الجيدة لتستغرق من الوقت ما يتجاوز الوصف بسبب التلحين وبسبب الاستعادة ، وكان الجعفري حاضرا في هذا المجلس ، والجعفري من النوادر في قوة الحافظة ، وصفاء الذهن ، بحيث لا يجيء بعد الجواهري شخص غيره في اختزان ما يسمع وما يقرأ في تلك الايام في النجف ، فسرعان ما خرج الجعفري من المجلس ، ولم تمر بضع دقائق حتى عاد بمخطوطة لاحد الشعراء القدماء المغمورين الذي نسيت اسمه ، وصاح هناك بالمنشد ان يكف عن الانشاد فهذه القصيدة المقروءة مسروقة من هذا الديوان المخطوط .

وحين مر ذكر تاسيس جمعية الرابطة الادبية في النجف مر أسم عبدالوهاب

طبانة ، نعمان ماهر الكنعاني ، محمد عبدالغني حسن قصيدة لشاعر لبنان الاستاذ بديع شبلي صاحب مجلة الورود ثم القى المحتفى به قصيدة من روائعه ، وادار الحفل الدكتور علي احمد الزبيدى ، وحضره حشد ضخم من المدعوين والسامعين ٠

★ في مساء الثامن والعشرين من اذار القى الاستاذ مشكور الاسدي عضو الاتحاد محاضرة في مقره بعنوان « مشاهدات في تونس » تميزت بالجدة والطرافة ٠

الشيخ علي الصغير في ذمة الخلود

★ رزيء الزميل الكريم الشيخ عبدالزهراء الصغير بوفاة اخيه العالم الاصولي الشاعر الكاتب الخطيب المغفور له الشيخ علي الصغير ، ابن عم مدير ادارة الاتحاد السيد جابر الخاقاني ، ووالد عضو اتحادنا السيد محمد حسين الصغير ٠ وقد كان لوفاته رنة أسى عميق في الاوساط الادبية والعلمية والدينية لما انماز به الفقيد ـ عليه الرحمة ـ من مآثر دينية ودنيوية ٠ واتحادنا يعزي آل الصغير وآل الخاقاني بالحادث الجلل وانا لله وانا اليه راجعون ٠



أخبار

إتحاد المؤلفين والكتاب العراقيين

★ في مساء السابع من اذار القى الدكتور علي احمد الزبيدي عضو الهيئة الادارية للاتحاد محاضرة في مقره بعنوان « اضواء على سيرة بشار » تميزت بالمستوى العلمي الرفيع ، اعقبتها مناقشات قيمة .

★ مساء الثامن من اذار القى الدكتور حسين نصـــار رئيس قسم اللغة العربية بجامعة القاهرة محاضرة علمية رفيعه في مقر الاتحـــاد بعنوان « العربية لغة العلوم » اعقبتها مناقشات استغرقت ساعتين اسهم فيها جهابذة الفكر في الجامعات العراقية وسينشر نصها في عدد قادم ، وقد احتفى الاتحاد بالاستاذ الضيف واقام حفلة شاي على شرفه .

★ في مساء الرابع عشر من اذار القى عضو اتحادنا الدكتور رشيد عبدالرحمن العبيدي محاضرة في الاتحاد بعنوان « اللهجات العامية العصرية وصلتها بالفصحى » نالت استحسان الحاضرين واعقبتهــا مناقشات مفيـــدة وسينشر نصها في عدد قادم .

★ مساء الثامن من اذار اقام الاتحاد في مقره حفل شـــاي تكريما لشاعر البحرين الكبير الاستاذ ابراهيم العريض السفير في ديوان وزارة الخارجية البحرينية ، وقد القى المحتفى به محاضرة في الاتحاد بعنوان « البعد الرابع في الشعر » نالت اعجاب السامعين .

★ في مساء الحادى والعشرين من اذار اقام الاتحاد حفل تكريم ضخم للشاعر العراقي الكبير الاستاذ حافظ جميل عضو الاتحاد واول رئيس له وقد اقيم الاحتفال في قاعة نادى الجامعيين بالمنصور وتضمن الاحتفال المواد التالية :

التجديد في شعر حافظ : حارث طه الراوي .
طرائف من شعر حافظ : سالم الآلوسى
تحية شعرية لحافظ : عدنان فرهاد
التيار القومي في شعر حافظ : الاستاذ مصطفى السحرتي
(القاها بالنيابة السيد عبدالرزاق الجزار)
خمريات حافظ : وحيدالدين بهاءالدين
من عيون شعر حافظ : يعقوب افرام منصور
تحـــايا شعرية للشعراء السادة : محمد بهجة الاثري ، الدكتور بدوي

ـ وضع مقدمة بالانكليزية مترجمة ترجمة حرفية ، فقد ترجم في صحيفة ٤ « يشتمل الباب على جملتين

"This chapters from the two sentences of Al-Razi's book...".

بينما يجب أن يقول "Two Sections"

وترجم : الكتاب ب "Investigators" يجب ان يقول :

"Authors — Commenters — Writers — Rhetoricians"

وقال : في عرض الرازي البلاغي في تفسيره الكبير :

Al-Razi's rhetorical application in his wide interpretation.

يجب ان يترجمها :

Al-Razi's rhetorical presentation in his great Interpretation.

اكتفى بهذا القدر خوف الاطالة .

ـ لقد استقصى الطالب المصادر وبذل جهدا يشكر عليه في اخراج رسالته هذه متوخيا منها القاء ضوء على بلاغة الرازي في سبيل خدمة بلاغتنا العربية .

وبعد : وفق الله الطالب ماهر مهدي هلال وسدد خطاه لخدمة بلاغتنا العربية ، والسلام .

الدكتورة بهيجة باقر الحسني



الصافي بشيء من عدم المبالاة في حين ان فكرة تأسيس الرابطة انما كانت فكرته ، وقد كان هو العميد لهذه الجمعية وظل عميدها طوال السنين حتى تعين قاضيا فتم انتخـاب اليعقوبي لها عميدا .

ولعبدالرزاق محي‌الدين دور خطير في معارك الشباب والشيوخ ولكـن الاشارة اليه في هذا المقال جاءت مقتضبة ، وللجعفري وعبدالرزاق محي‌الدين حكايات طويلة مع الشيخ قاسم محي‌الدين لا يسلم الكاتب من مؤاخذة تاريخ الادب ، او تاريخ الجعفري على اغفاله اياها .

وكل هذا ، وغير هذا من الكثير الذي كان يصور الجعفري (شاعـرا) أكثر من غيره ولكنه ظل ناقصا .

اما المصدر الاخر الذى عول عليه الكاتب فقد كان يظن هذا المصدر ان كل شيء يجيء فيه ذكري انا يجب ان يحذف ظنا بان مثل هـذا مما يغيظني او انه مما ينقص من شأني ، وانا حين انبه الى ظنونه هذه وتعمده اغفـال اسمي فلست اريد بذلك الا ان اجلو صفحة اخرى من نشأة الجعفري الادبية ، اذ ليس في هذا المصدر اي شيء يضيرني ، أو أي فخر لي اذا اردت ان اكشف الحقيقة ، او اي اهتمام يخصني غير كشف ناحية أخرى من حياة الجعفري .

لقد ذكر الكاتب نقلا عن هذا (المصدر) بان الجعفري قد كتب مقـالات او نشر شعرا في عدد من الصحف التي سماها ولم يذكر اسم جريدتي ، جريدة (الفجر الصادق) التي عمل فيها الجعفري محررا منذ أول صدورها الى حين احتجابها ، وفي هذه الجريدة برز اسم الجعفري صحافيا الى جانب كونـه شاعرا ، وحين اردت تقديم طلب بالحصول على امتياز جريدة كثرت الاسـماء التي مرت في خاطري وفي خاطر الاصدقاء ، وكان اسم (الفجر الصادق) هو الذي تغلب على الاسماء وهو من مقترحات الجعفري على ما اعتقد ، وان بعض تواقيعه المستعارة مثل (عبد علي) التي اشار اليها الكاتب انما ظهرت لاول مرة في جريدتي هذه ، الجريدة التي حوت الشيء الكثير من شعره ونثره ، حتى اعتمد العميد عبدالرحمن التكريتي فصلا من الامثلة الشعبية على مقـال للجعفري (الفجر الصادق) .

واما ترجمة الجعفري لرسالة المرجع الديني الكبير الميرزا النائيني فقد اعدت لتنشر في الفجر الصادق ، وبسعي من الشيخ جواد الجواهري ووالدي انا حيل بينها وبين نشرها في جريدتي .

والمضحك هو ان (المكوار في تحطيم السيف البتار) الذي قال عنه الكاتب نقلا عن المصدر المذكور بانه مقال للجعفري ليس هو بمقال وانما هو رسالة تهكمية كتبتها انا ـ وليس في ذلك من فخر ـ ردا على كتاب باسم (السيف البتار في الرد على الكفار) لاحد مراجعنا الدينية الكبرى وهو من اصهار اسرتي كان محشوا بالشيء الكثير من المضحكات والغرائب ، فقابلتها انا بالمثل والفت (المكوار) والمسمى في بغداد واطرافها (بالمكيار) ولها حكاية طويلة ، وليس للجعفري فيها يد بل ولا اصبع .

« من حسن حظي ان التقيت بمجلتكم الراقية ، الجامعة لكل الوان الفنون الادبية ، بحكم عملي في اسرة تحرير مجلة الثقافة الاسبوعية التي تصدر في دمشق ، حيث تردها مجلتكم الغنيه ادبيا ، تاريخيا ، بمواضيعها الدالة على ايقاعات قومية ، ونبضات انسانية من اخواننا الادباء العراقيين الملهمين » .

دمشق في ٥ـ١١ـ١٩٧٤

سليمان عواد
مجلة الثقافة الاسبوعية

« تصفحت مجلتكم الغراء ذات الشأن « الكتاب » فاعجبنني وحازت تقديري، واني لاهتم بما فيها من موضوعات ومشاكل مطروحة للبحث ومقالات وانباء عن الادب والادباء » .

غرانكفورت ـ المانيا ٢٧ـ١١ـ١٩٧٤

المستشرق
البروفسور الدكتور ـ ردولف زولهايم

« تهنئة صادقة متصلة الثناء على جهودكم الطيبة المثمرة في مجلة الكتاب التي تطرد تقدما ، وتنمو وتزكو وتعطي خير الثمار .. فبارك الله عليكم نماءها ولا زلتم على احسنوجوه النشاط والتوفيق .

اكتب هذه التحية وامامي العدد العاشر منها ، وهو ضخم ، حافل باطايب الفكر والبحث على جمال اخراج ، وحسن تنسيق » .

الرياض في ٧ـ١٢ـ١٩٧٤

عبدالعزيز الرفاعي

« ما اكاد اتلقى « الكتاب » حتى يعاودني الخجل من الصمت والتقصير نحو هذه المجلة العراقية المشرقة باقلام ادبائها ورئيس تحريرها الشاعر الذي ملأ القلوب والاسماع اعتزازا بفنه وبيانه وحدبه على تراث العرب في تحقيقه ونشره»

دمشق في ٧ـ١٢ـ١٩٧٤

وداد سكاكيني

« تلقيت بسرور اعداد الكتاب الغراء ولا يسعنى الا ان اعرب عن عظيم تقديري لجهودكم في هذه المجلة القيمة » .

هامبورج في ١٣ـ١٢ـ١٩٧٤

المستشرق ويرنر انـدي

يقول الاجداد من العلماء العرب ان قدمكم راسخة كل هذا الرسوخ في الدراسات التراثيـــة » ٠

القاهرة ٢٧ـ٧ـ١٩٧٤

كيلاني حسن سند

« اتسلم منتظما مجلتكم الغراء الكتاب واقرأ محتوياتها بلذة واستفادة بعدما استفقت من مرضي واواصل اعمالي الادبية في سبيل العروبة والاسلام مـــع تقدم سني الى ٩٠ عاما الحمد لله » ٠

بودابست ـ المجر ١١ـ٨ـ١٩٧٤

المستشـــرق
عبدالكريم جرمانوس

« مجلتكم « الكتاب » طافحة بالبحوث الجليلة المفيدة الناطقة باسم الكتاب العراقيين الكبار وانهم لفخر ومجد للامة العربية بما قدموا ويقدمون لها من روائع تزخر بالاصالة من ادب وتأريخ وفن ولا غرابة فطالما كان ادباء بغداد منذ أقدم العصور قادة الفكر العربي في هذا الشرق الحبيب » ٠

جبيل ـ لبنان ١٧ـ٨ـ١٩٧٤

شـــكرالله الجـــر

« وصلني العدد الاخير من مجلتكم الزاهرة « الكتاب » فقرأت فيه ما خطته براعتكم المبدعة واقلام النخبة الممتازة من اعضاء اتحـــاد المؤلفين والكتاب العراقيين ذلك الاتحاد الادبي المبارك الذي ساهم بقسط وافر في خدمة الحركـة الفكرية والصحفية في القطر العراقي الشقيق » ٠

الف شكر لكم على ما تبدونه في مجلتكم الكبرى من غيرة عظيمة وهمـة عالية نحو ادبنا العربي الاصيل ٠

حلب ـ سوريا في ٣١ـ٨ـ١٩٧٤

عبدالله يوركي حلاق
صاحب مجلـة الضـاد

« تسلمت مجلة الكتاب التي صعدتم بها في مدة وجيزة من الزمن الى قمة المجد والخلود والابداع بسرعة فاقت سرعة الصواريخ المتدفقة الى الكواكب ٠

اهنئكم ثانية على مجلة الكتاب التي جعلتموها المجلة الادبية الاولى في العالم العربي » ٠

بيروت في ٢١ـ٩ـ١٩٧٤

محمد العدناني

قالـــوا في الكتـــاب

رئيس تحرير مجلة الكتاب الغراء

« لقد سرني ان اجد في مجلة « الكتاب » نهضة ملحوظة في الشعر العراقي الحديث ومحاولات جادة بين علماء العراق وادبـــائه في ميدان احياء التراث العربي » ٠

بيروت ١ـ٤ـ١٩٧٤

الدكتور عبدالعزيز عتيق
عميد كلية الاداب بجامعة بيروت العربية

« لقد اعجبت شديد الاعجاب بالمنهج الذي انتهجته المجلة « الكتـــاب » اعني ايجاز وتكثيف الافكار ، فجاء المنشور فيها طباقا للمثل القائل : خير الكلام ما قل ودل ، او توكيدا لمعنى الايجاز الذي لا يعدو « البيان عن المعنى باقل مايمكن من الالفاظ » او « اظهار المعنى الكثير باللفظ اليسير » كما يقول « الرمـــاني » وتلك ولا ريب بلاغتنا التي تعتمد على التركيب وتفخر به وجاءت الكتاب لترددها الينا وتذكرنا بها بعد ان طال غيابها وامعن كتابنا في « تحاليل » لا مسوغ لها الا التقليد والمحاكاة ٠٠٠ » ٠

دمشـــق ٢ـ٤ـ١٩٧٤

ســـعد صائـــب

« أرجو ان تتفضلوا بارسال مجلتي الحبيبة الي « الكتاب » التي اتمنى لها عهدا خصيبا مزدهرا واني لاتسائل ايها الحبيب القديم ، لماذا لا تنتشر مجلـة الكتـــاب بالقاهرة ؟ هذا ما اتمناه لها ، وعلى استعداد كامل للتعاون الفكري »٠

القاهرة ١٩ـ٤ـ١٩٧٤

محمـــد الجيـــــار

« وجدت في مجلة « الكتاب » طفرة واسعة في الاخراج والمحتوى واتمنى لكم دوام التوفيق في اخراجها » ٠

الموصـــل ٤ـ٧ـ١٩٧٤

الدكتور محي الدين توفيق
جامعة الموصل ـ كلية الاداب

« لا اكتمكم انني لم اتوقع لمجلة « الكتاب » الاستمرار بالصدور بهـــذا المستوى الرفيع مما جعلني وسواي نتلهف مترقبين صدورها » ٠

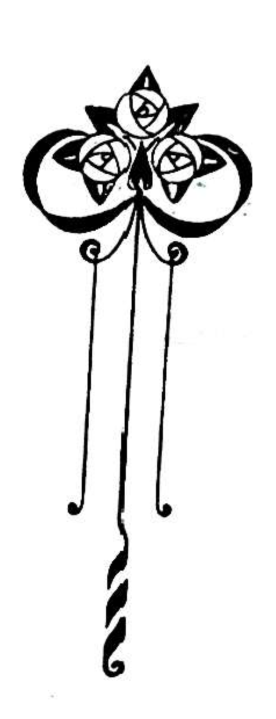
الكويت ٢١ـ٧ـ١٩٧٤

جليـــل العطيـــة

« وصلني عدد تموز من مجلتكم الغراء « الكتاب » ذات الاخراج الانيق والورق الصقيل والدراسات الرائعة ٠ ولم اكن اعلم « والمعاصرة حجاب » كما

والجعفري ـ اطال الله عمره ـ لا يزال في قيد الحياة فليساله السائلون عما اوردت من اشارات عابرة تحتاج الى شرح مسهب لتعطي فكرة اصيلة عن شاعرية هذا الشاعر المجدد اللامع ، وعن تلك البيئة التي كان من شعرائها المتأخرين الشبيبي ، والشرقي ، والصافي ، والجعفري ، وعبدالرزاق محي الدين والسيد مصطفى جمال الدين ، ومحمود الحبوبي ، والسيد محمد جمال الهاشمي وعشرات غيرهم .

جعفر الخليلي



كما جاء في حديثه عن الدكتور طه حسين ، الذى أرضعنا حليب التحدى « فطحنا النجوم بالاسنان » .

ورفضنا كل السلاطين في الارض   رفضـــــنا عبادة الاوثـــان

وهو ينعى على الكتاب استنامتهم ، وعلى الادباء استكانتهم و « كيف صار الكتاب كالخرفان .. »

قنعوا بالحياة شمسا ، ومرعى   واطمأنوا للمـــاء ، والغدران
ان أقسى الاشياء للنفس ظلما   قلم في يد الجبـــان الجبان

ويفاضل نزار القباني بين عصر طه حسين ، وعصرنا .. فيرى ان عصره عصر الادب الذهبي .. أما نحن فعصرنا عصر اخر سقط فيه الفكر في حبائل النفاق السياسى « وصار الاديب كالبهلوان .. »

يتعاطى التبختر ، يحترف الرقص   ويدعو بالنصـر للسلطان

ويشكو من انحدار الشعر في عصرنا .. وكيف صار هذيانا مجنونا ، وبهلوانات ورقية ملونة :

ذبح الشعر ، والقصيدة صارت   قينة تشـــترى ككل القيان
جردوها من كـل شىء ، وأدموا   قدميهـــا باللف والــــدوران
ما هو الشعر ، لن تلاقى مجيبا   هو بين الجنون ، والهذيان ..

وعلى كل فقد جرف الانفعال الشاعر نزارا .. فحكم على كل الادباء ، وحملة الفكر في عصرنا بالرضوخ للسلطان والرضا بالحياة الهادئة الوادعة .. كما اتهم الشعر بالانحدار ، والضعف .. والواقع ان عددا كبيرا من حملة الاقلام يعارضون ، وينتقدون في مصر ، وفي خارج مصر .. وحين يضيق عليهم في مكان ما من البلاد العربية يهاجرون بأقلامهم الى مواطن يجدون فيها المتنفس الحر الطليق لافكارهم .. وفي مصر دار نقاش طويل حول كتاب « عودة الوعى » لتوفيق الحكيم ، وأصدر الكاتب السياسى محمد عودة كتابا .. في الرد عليه قوبل بالحفاوة ، والاهتمام ، كما أدير مع الحكيم اكثر من حوار في مجلة الطايعة ونشر كل ذلك في أعداد من المجلة .. كما ان أعداد المفكرين قد زادت كثيرا عما كانت عليه في شباب الدكتور طه حسين .

وقد سلمت القصيدة من ترف الغموض .. السريالى ، ولكنها وقعت في منزلق المباشرة والخطابية ، وعلى كل فالقصيدة تعتبر في رأيي الخاص أروع ما ألقى من شعر في هذه الذكرى .. فقصيدة سعيد عقل قصيدة عقلية ، قد نحتت كلماتها بمعول صدىء .. تتشح بغموض ، مصدره غموض معنى الكلمات التى حاول اشتقاقها فجاءت دمامل وبثورا .. في القصيدة ، ومن شعراء مصر سمع الحاضرون لقصيدة الاستاذ محمد عبدالغنى حسن .. وهي قصيدة تدور ابياتها حول شكوى الشاعر من المرض وخروجه في موكب التشييع رغم مرضه ،

رســـالة القاهـرة الثقافيـــة

لمراسلنا الخاص كيلانى حسن سند

(١) الشعر في ذكرى طه حسين ٠٠

كانت مبادرة طيبة ٠٠ من جامعة الدول العربية أن تقوم باحياء ذكرى الدكتور طه حسين ٠٠ المتحضر الاول ٠٠ على حد تعبير الشاعر صلاح عبدالصبور ولقد أسهم بضعة أفراد من خارج مصر ٠٠ في احياء هذه الذكرى ٠٠ فألقى الشاعر نزار قباني ٠٠ قصيدة جهيرة ٠٠ لقيت الكثير من حفاوة الاوساط الادبية المصرية ٠٠ فنشرتها جريدة الأخبار ، كما أعدت خلقة خاصة بالتلفزيون لالقائهـــا ، والقصيدة جيدة البناء ، فنزار قباني شاعر متمرس بنظم الشعر ، عارف لطرقه ، ودخائله ، يعرف أين تقف الجماهير ، وما الذي يؤرقها ، فيعزف لها على أوتار مواجعها ٠٠ ولقد استطاع الشاعر نزار القباني أن يشد اليه أسماع ، وألباب السامعين ، والقراء بالحديث عن مصر التي بذلت من دماء أبنائها ، ومن قوت شعبها الفقير الكثير في ســبيل القضـــية الفلسطينية ، وفي التصدى لاطماع المستعمرين ، وفي تدعيم الثورات التحررية في العـــالم العربى ، بل امتــد نشاطها في ذلك ، الى مساندة الثورات في افريقيا واسيا ٠٠ وفي بلاد لا تتكلم اللغة العربية ٠٠ ولكن اصحاب المال من حكام العرب ٠٠ الذين يشترون فنادق انجلترا ، وبعض القرى ٠٠ والتلال في امريكا ، ويكدسون ذهبهم في بنـــوك سويسرا ، وأمريكا ، امريكا التى تهدد باحتلال منابع بترولهم ، لم يسائدوا مصر المقاتلة الا باليسير ، ولم يمدوها من المال الا بالقليل ٠٠ والدليل على ذلك ان عهد الانفتاح على العالم وفي مقدمته اغنياء العرب ٠٠ لم يجذب اليـه الثروات العربية ٠ ولم يستطع الى الان ان يزحزحها عن سراديبها التي تأوى فيها في بنوك الدول الاستعمارية ٠

يقول نزار حول ذلك : موجها الخطاب الى روح الدكتور طه حسين :

يا أمـــير الحروف ، ها هي مصر
وردة تنســـتحم في شـــرياني

انني في حمى الحسنين ، وفي الليل
بقـــايا من ســـورة الرحمن

تستبد الاحـــزان بي فـأنادى
آه يـــا مصـــر من بني قحطان

تاجروا فيك، ساوموك استباحوك
وباعـــوك كاذبات الامـــاني

حبسوا الماء عن شـــفاه اليتـامى
واراقـــوه في شـــفاه الغواني

تركوا السـيف والحصان حزينين
وباعـــوا التـــاريخ للشيطان

يشـترون القصور هـل ثم شار
لقبـــور الابطـــال في الجولان

يشترون النساء هـــل ثم شار
لدمـــــوع الاطفـــال في بيسان

يشترون الزوجات باللحم والعظم
ايشرى الجمـــــال بالميزان

يشترون الدنيا ، وأهـــل بلادي
ينكشـــون التراب كالديدان

وكيف واجهها وقد تركت المحاضرة اثرها الكبير في نفوس الطلبة لما قدمته من مسائل وعالجته من امور . وفي امسية الجمعة القى محاضرة في اتحاد المؤلفين والكتاب العراقيين عن « العربية لغة العلوم » وقد حضر الامسية حشد كبير من المعنيين بشؤون التعريب والعربية والعلوم وقد قدم الدكتور نصار مشروعا متكاملا لذلك ابرز فيه الاهمية التي تحتلها اللغة وقدرتها على تقديم العلوم ، وقد تلت المحاضرة مناقشات علمية واعية استمرت زهاء ساعتين . وفي صباح السبت ٨-٣-١٩٧٥ القى محاضرة على طلبة قسم اللغة العربية في كلية اداب المستنصرية عن « منهج البحث » « المصادر والمراجع » وساهم الدكتور نصار في مناقشة رسالة ماجستير عن (ابن الناظم النحوى) يوم الثلاثاء ١١-٣-١٩٧٥ .

لقد تركت زيارة الدكتور نصار بصمات واضحة في المجالات التي تحدث فيها وقد جرت كثير من المناقشات حول تبادل الخبرات ووضع الخطوط العامة للتعاون الثقافي بين قسمي اللغة العربية في كلية اداب بغداد وآداب القاهرة . كما نوقشت بعض المناهج المستقبلية للدراسات العليا ..

★ بمناسبة ذكرى تأسيس حزب البعث العربي الاشتراكي في السابع من نيسان الحالي يفتتح ببغداد معرض كتاب الحزب . تسهم فيه دار الثورة والمؤسسة العربية للدراسات والنشر ودار الطليعة .

★ أصدر الاستاذ الدكتور محمود السمرة نائب رئيس الجامعة الاردنية للشؤون الاكاديمية كتابا جديدا عنوانه (فلسطين : الفكر والكلمة) ، وكان آخر كتاب له (متمردون ادباء وفنانون) ..

★ عثر الاستاذ ابراهيم الداقوقي على رسالة ، كان قد الفها الشاعر العراقي معروف الرصافي باللغة التركية ، وعنوانها (هل يمكن المساواة بين الرجل والمرأة) ؟؟ ومن المؤمل ان يترجمها الى اللغة العربية اعماما لفائدتها الادبية والاجتماعية ..

★ سجل الاستاذ روكس بن زائد العزيزي قاموس (العادات والاوابد واللهجات الاردنية) الذي أصدره ، على اشرطة فنية بصوته ، بناء على رغبة الدوائر الادبية والفكرية ، لتبقى محفوظة كاثر من الآثار الفولكلورية الجديرة بالصيانة والرواية في المستقبل .

★ انتقل الى رحمة الله الشاعر المهجري الكبير الاستاذ شكرالله الجر .. وهو أحد مؤسسي العصبة الاندلسية في المهجر الجنوبي وهو أيضا صاحب مجلة الاندلس الجديدة . وله عدد من الدواوين الشعرية والقصص والكتب النقدية المطبوعة ..

★ صدر للدكتور رشاد رشدي الباحث والمسرحي المعروف كتاب جديد تحت عنوان (الرجل والجبل) ..

★ تطبع الهيئة المصرية للتاليف والنشر المجموعة الكاملة لمؤلفات الكاتب الكبير يحيى حقي مع مقدمة كتبها هو وتتضمن سيرته المفصلة وتطوره الفكري والفني في المجال الذي عمل فيه طوال عمره الذي بلغ السبعين .

٢ ـ يتعين على المؤلف الذي سيختار التلحين وفق القوالب الموسيقية العربية الالتزام بالانغام والاوزان الشرقية ، وأن يراعى في عمله الابتكار والتطوير حسب القالب الذي سيختار التلحين فيه ·

٣ ـ على الملحن الذي يفضل التلحين على النمط الغربي ان يضع في اعتباره خضوع عمله للطريقة العلمية مع مراعاة ادخال عناصر هارمونية بالاضافة الى توزيع آلي يتمشى والطرق المستعملة في الموسيقى العالمية ·

٤ ـ المقطوعات الغنائية يجب أن لا تقل عن خمس دقائق وأن لا تتعدى عشر دقائق ·

٥ ـ ترسل القطع الى مصلحة التعليم الفني مسجلة على شريط بسرعة 7,50 (19)

أما القطع الموضوعة وفق الاسلوب الغربي فيستحسن أن ترسل مكتوبة وموزعة بالنوطة الموسيقية ، وآخر أجل لقبول القطع المرشحة ٣٠ مارس ١٩٧٥ ·

ومباراة في الفنون التشكيلية

في نطاق الاستعداد لاحياء الذكرى الالفية للشاعر ابن زيدون وتبعا لما سبق ان أعلنت عنه وزارة الثقافة المغربية ، يهيب السيد وزير الدولة المكلف بالشؤون الثقافية بالفنانين التشكيليين مغاربة وغيرهم من أبناء الوطن العربي ان يتخيلوا صورا تعبر عن شخصية الشاعر ابن زيدون وولادة بنت المستكفي وملامحهما او تترجم جانبا من حياتهما النفسية والعاطفية بعد دراسة عميقة لحياة الشاعرين وأوصافهما من خلال الكتب والمرويات ·

وقد رصدت الوزارة لذلك ثلاث جوائز قيمة قدر كل واحدة منها خمسة آلاف درهم ·

فعلى الراغبين في المساهمة الالتزام بما يلي :ـ

ـــ أن يكون طول اللوحة بالنسبة للرسامين من ٥٠ سنتيما فما فوق ·

ـــ أن لا يكون الانتاج موقعا رسما كان أو نحتا أو نقشا ·

ـــ أن يرفق برسالة بها بيانات توضيحية عن الانتاج ومذيلة باسم المنتج وعنوانه ·

وآخر أجل للقبول ، نهاية مارس المقبل بحول الله ويبعث الانتاج أو يسلم الى مصلحة التنشيط الثقافي بوزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية ، شارع غاندي ـ الرباط ·

★ بدعوة من جامعة بغداد استضاف قسم اللغة العربية بكلية الاداب الدكتور حسين نصار رئيس قسم اللغة العربية بجامعة القاهرة استاذا زائرا ·· وقد أعد له قسم اللغة العربية موسما حافلا من المحاضرات افتتحه بمحاضرة عامة لطلبة القسم في قاعة الحصري يوم الثلاثاء ٤ـ٣ـ٩٧٥ عن الطبيعة في الشعر العربي اعقبتها مناقشات طويلة وفي يوم الاربعاء ٥ـ٣ـ٩٧٥ اجتمع بطلبة قسم الدكتوراه وتحدث اليهم عن مشاكل المعجم العربي



مهرجان ابن خلدون

★ في نطاق الاستعداد لاحياء الذكرى الالفية للشاعر ابن زيدون القرطبي الاندلسي وتبعا لما سبق أن اعلنت عنه وزارة الثقافة المغربية يهيب وزير الدولة المكلف بالشؤون الثقافية بالفنانين الموسيقيين مغاربة وغيرهم من أبناء الوطن العربي أن يقوموا بتلحين احدى القطع المناسبة من شعر ابن زيدون ·
وقد خصصت لذلك ثلاث جوائز قيمة قدر كل واحدة منها خمسة آلاف درهم ·

- جائزة لأمثل لحن عربي مبتكر ومستوحى من البيئة الاندلسية ·
- جائزة لأمثل لحن عصري عربي ·
- جائزة لامثل لحن عصري غربي ·

وستخصص الجوائز لكل لحن جديد خاص بالمناسبة ، متوفر على دقة العزف وحسن الصوت ، متمكن من النوبات ، محتسن للتصرف فيها مع سلامة الاداء للشعر العربي ·

فعلى الراغبين في المساهمة أن يبعثوا بانتاجهم مسجلا على شريط تسجيلا جيدا بسرعة 7,50 (19) الى وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية شارع غاندي · الرباط · وآخر أجل لتقديم الانتاج نهاية مارس المقبل بحول الله ·

ويمكن للمغاربة من الموسيقين الاتصال بمصلحة التعليم الفني بالوزارة لتمكنهم من مجموعة المختارات الشعرية ، التي أعدت لهذا الغرض ·

شروط المسابقة الموسيقية

١ ـ في حالة اختيار المؤلف المشارك في المسابقة ، التلحين وفق النمط الموسيقي الاندلسي يجب عليه أن يلتزم بالقوالب الموسيقية الاندلسية التي نلخصها فيما يلي :ـ

أ ـ قالب الصنعة المبنية على القصيدة ·
ب ـ قالب الصنعة المبنية على التوشيح ·
ج ـ قالب التخليل ·

ويشترط أن يكون اللحن مبنيا على أوزان الموسيقى الاندلسية الخمسة وهي :
البسيط ـ القائم ونصف ـ البطايحي ـ الدرج ـ القدام ·

وللمؤلف الاختيار في وضع لحنه وفق الحركتين الموسيقيتين (البطيئة وحركة الانصراف ـ السريعة) مع مراعاة النقرات الزمنية لكل وزن ·

ويناقش ، ويرثى ، ويمجد ويحب أعظم فنانة انتجها خـــلال تاريخه المتصل الطويل ٠٠ وكان أشد ما آلمني ، وعذبني ٠٠ وداع الفقراء لام كلثوم ٠٠ رغم الازمة ، والمشاكل ٠٠ انهم خزانة الفن ، وحراسه ، وحافظوه ٠ ٠انهم في مشهدهم ذاك أعذب ، وأجل من أعظم السيمفونيات تعزف ودا لعزيز ٠٠٠

لقد صدرت بعد ذلك أعداد خاصة عن « مطربة العروبة » فكتبت عنها مجلة المصور ، اخر ساعة ، روز اليوسف ، صباح الخير ، وحواء ، وكتبت عنها الصحف اليومية كالاهرام ، والاخبار ، واخبار اليوم ٠٠ واطلق اسمها على بعض الفرق الموسيقية وهذا شأن مصر تحمس زائد، وثورة عارمة ٠٠ ثم سكون، وهدوء ، قد يطول ويطول ٠٠ ومن المؤسف ان الدكتور حسين فوزى الذى كتب عنها مقالا او نعيا في جريدة الاهرام قد ألمح الى ان أم كلثوم كانت عائقا في سبيل تقدم الموسيقى في مصر ٠٠ ويقصد الموسيقى الاوربية من كونشرتات ، وسيمفونيات ـ وغير ذلك ـ ونحن لا نرى مطلقا اى مانع في ان تزدهر الموسيقى الشرقية في الوقت الذى يزدهر فيه الاتجاه الاخر ٠٠ والدرس الذى لم يتلقفه أساتذتنا الكبار الى اليوم هو أننا لن نبهر العالم أبدا بتقليده في أعماله ، وانما نبهره حين نعبر بصدق عن وجهنا نحن الحقيقى ٠٠ لقد دعى الدكتور حسين فوزى الى أمريكا ، وكان يتوقع انه سيدعى ليحدثهم في أمريكا عن الثقافة الاوربيـــة ، وعن الموسيقى الغربية ، ولكنهم لم يدعوه الا للحديث عن الحضارة الفرعونية ، والعربية القديمة ٠٠ ودورها في بناء الحضارة العالمية ٠٠ فعاد حزينا لانهم لم يمكنوه من الافاضة عما هو أدرى به ٠٠ وماهم اكثر دراية منه به ٠٠ لانه نسيج حياتهم ٠



العظيمة ٠٠ التي احيت لياليه ، وغنت له في افراحه ، وآلامه ، غنت له في انتصاراته ، وحين هزم عام ١٩٦٧م غنت له في هزيمته ليسترد عافيته ، ويهب من كبوته ،حولت صوتها الذهبي أرصدة استرلينية ، تدعم بهـا ميزانيته المنهارة ، وبناءه المالى الخاوى ٠٠ اننا قد رأينا كثيرا بعض الجشعين يثرون في الحروب ٠٠ ولقد اشترى احدهم في سنة ١٩٤٨م أسلحة فاسدة سلح بها ابناءنا في معركة فلسطين ٠٠ فنفثت نارها في صدورهم المتالقة بوهج الكفاح ، ولكننا لم نشهد ما فعلته أم كلثوم حين غنت في مصر ٠٠ والعالم العربى ٠٠ وفي أوربا ٠٠ غنت ، وجمعت المال لتقدمه هدية لبلادها ٠٠ التي اعطتها اعز ما تملك لقد أعطتها بلادها الحب ٠٠ وهو أثمن هدية يتمنى ان يحصل عليها فنان ٠٠

لقد بكيت حين رأيت الملايين تودعها في صمت وقداسة ٠٠ وبكيت حين قرأت انها بكت في فرنسا ، لانها جاءت لتغني لبلادها الجريحة ، وكانت تتمنى ان تغنى لبلادها في ساعات النصر العظيم ٠٠

لقد عاشت أم كلثوم بالفن ، وللفن ٠٠ وحققت للفن الكرامة ، والمهابة والاحترام ، في وقت كان الناس لا ينظرون الى الفنان الا كنظرتهم الى ملهاة أو مسلاة يرفهون بها عن انفسهم ٠٠ لقد نشرت عنها الصحف والمجلات العديد من التعليقات ولم تنشر بعد عنها ، وعن موهبتها العظيمة ، الدراسات العميقة ٠٠ الا تلك الدراسة التي نشرها الأستاذ احمد بهجت في جريدة الاهرام بعنوان « أم كلثوم ٠٠ محاولة تفسيرها كظاهرة » وقد أرجع كونها « ظاهرة فنية » الى عدة اسباب منها :

١ - قدرتها على أداء أصعب الالحان وأعقدها ٠٠ بل انها كما قال عنها الشيخ زكريا احمد تتفوق على الملحن في أداء الجملة الموسيقية ، وانها تجهد الملحن ليعرف مواطن القوة في صوتها ٠ وهي تضفي من فهمها للمعنى على الاداء ، وتلون هذا الأداء بحيث تتوهج عذابا ، وحبا في كل مرة تغنى فيها عن الحب ٠

ثانياً : نظرة الشرق الى الحب كشىء محرم ، في نفس الوقت الذى يمارس فيه الالاف تجارب الحب ٠٠ كما يهفو الملايين الى ان يحبوا ٠٠ هذا التناقض بين الفعل ، والفكر يخفف منه ان تغنى أم كلثوم لهذه الالاف الظمأى ٠٠ الساعات عن الحب ٠٠ وعندما تغني فانها تصبح مهدئا لمتاعب الحياة ٠٠

ويرى الاستاذ احمد بهجت ان لصوت أم كلثوم ميزتين : الميزة الأولى : قدرتها على ان تجعل كل ما حول المستمعين يتلاشى ، ويذوب في الكلمة واللحن ، والاداء ٠٠ فيتخيل كل مستمع ان أم كلثوم تغنى له وحده ٠٠ وتترنم بقصة حبه وحده ٠٠

الميزة الثانية : ارتباط أم كلثوم بالفكرة العربية ، واللغة العربية ، انها نشيد مشترك يذكر الناس بعزوبتهم ٠٠

وكتب يوسف أدريس القصاص المعروف ٠٠ من مستشفى المعادى الذى يعالج فيه ، يقول : أنا في مستشفى المعادى ، وعلى مرمى بصر مني كانت ترقد أم كلثوم ، ولمائة ساعة متواصلة ، وانا اشاهد شعبا عظيمـا ينعى ويؤبن ،

فاذا راح ابتنى ثـــم ابتنى — فانثنى الغازى عليــه بالعقوبة
وكان الــذل في الشعب ضريبة — وابتسام الصبر قد صار ذنوبه

فمن قال ان الذل ضريبة على الشعب المصري ٠٠ ان شعبنا يثور ، ويسخر من جلاديه ، ويطردهم كما طرد احمس الهكسوس ، وعبدالناصر الانجليز ، لا يوصف بانه اسير للذل ، والعبودية ٠ لكن القصـــيدة لا تخلو من الافكار والنظرات الصائبة ، ومن اجمل الابيات في ذلك :

كل ابنـــائك يا مصـــر مضوا — شهداء الغد ، في نبل ، وطيبـة
الذى لـــم يقض في الحرب قضى — وهو يعطى الفأس والغرس وجيبه
والذى لـم يقض في الفأس قضى — حاملا احجـــار أســوان الرهيبة
اسمعى في الليـــل أنات الاسى — اسمعى حـــزن المواويل الكئيبة

والشاعر يردد ما ردده غيره من المواويل الحزينة في ريف مصر ، وازياء اهلها التي تتسم بالسواد ، من ان مصدرها ما عانته مصر من متاعب ، ومشاق ، وكان أولى بالشاعر ، وقد ذكر شهداء مصر الذين قضوا وهـم يبنون كونا جديدا ، فماتوا في الحقول ، او في المصانع ، او في انشاء السد العالى بأسوان ، وفي الحرب ذودا عن وطنهم ، الا يذكر المواويل الحزينة ، وانما يذكر المواويل التي تمجدهم ، وتمجد صلابتهم ، وكفاحهم ٠٠ ان الشاعر في حاجة دائما كأى فنان الى ان يجود فكره ، ويجلو مرآة وعيه ، حتى تجـــود رؤيته ٠٠ وتصح نظرته للاحداث ٠ والصور والتخيلات ٠٠ ليست بالبديل للرؤية الواعية ٠٠

واخيرا ٠٠ لقد كان المحاضرون الذين وفدوا الى مصر من لبنان او سوريا او العراق ، او من فرنسا أ و المغرب العربي في مستوى هذه الذكرى الطيبة ٠٠ ولكن مصر قد قدمت بعض المحاضرين الذين لا تصل قاماتهم الى مستوى قامة صاحب الذكرى ، فجاءت بحوثهم متهافتة ٠٠ كما ان المشرفين على الحفـل لم يدعوا من الادباء في مصر لشهود هذا الحفل سوى من يودون هم حضوره ، وفي هذا انغلاق ، وتقوقع ٠٠ طالما سمعناهم يرددون الشكوى منه ، ولنا عودة الى هذه الذكرى حيث نتحدث عن الكلمات التي القيت في هذا الحفل الكبير ٠

(٢) أم كلثوم القيثارة الالهية

في الساعة الرابعة والنصف من يوم الاثنين الموافق الرابع من فبراير سنة ١٩٧٥م ـ انتهت رحلة الصراع بين أم كلثوم وبين الموت وتوقفت ـ على حد تعبير جريدة الاهرام ـ الى الابد دقات القلب الذى أضاءت صاحبته ليالى الملايين ، وحياتهم بأنغام الحب ، والامل ، والبهجة ، والطرب ٠٠ وفي يوم الاربعاء السادس من فبراير حملتها أعناق وقلوب مليون مشيع ، حملوها على أعناقهم ٠٠ وساروا بها في شوارع القاهرة ، وميادينها متجهين الى مسجد سيدنا الحسين حيث أدوا عليها صلاة الجنازة ٠٠ كان منظرا مهيبا ٠٠ منظر أمة بأسرها ، عرفت بالوفاء والحب لمن يفى لها ويحبها ، تخرج دامعة القلب والعينين لتـــودع المطربة

وكيف ابطأت مصر في مواراة الفقيد التراب ، حتى تطيل من فترة بقائه ثم أخذ في ذكر تأثر الدكتور طه حسين « بديكارت » في شكه ، مشيرا الى بعض مؤلفاته كالايام ، وحديث الاربعاء والقصيدة من المنظومات العلمية ٠٠ ومن اسوأ ما فيها هجاؤه للدكتور طه حسين في قوله :

هنا قد مالت الشمس التي أطلعها الازهر
أما كان هنا الشيخ الذى بالشك قد ثرثر
وفي قصعة اسماعيل كسر منه لا يجبر

ومن النظم العلمى الردىء قوله :

« حديث الاربعاء » اليوم   من يسكبه صرفا
ومن « للسيرة » الغراء   لا يخدمها حرفا
ومن « للفتنة الكبرى »   يجليها لنا وصفا

ولو قرأ الاستاذ محمد عبدالغني حسن ، وهو كاتب مكثر ، ما كتبه الدكتور طه حسين عن شوقى ، وحافظ ، وكيف انهما قد تحدثا حديثا سطحيا عن أرسطو ، وعن كتابه الاخلاق ٠٠ لعدل عن هذا النظم الميت لبعض مؤلفات الدكتور ٠٠

وللشاعر امل دنقل قصيدة نشرت في مجلة الكاتب ٠٠ عدد مارس ٠٠ واعتقد انه قد القاها في الحفل ٠٠ وقد بدأها الشاعر بداية موفقة اذ قال :

مصر لا تبدأ من مصر القريبة
انها تبدأ من أحجار طيبة ٠٠

انها تبدأ منذ انطبعت   قدم الماء على الارض الجديبة
ثوبها الاخضر لا يبلى اذا   خلعته ، رفت الشمس ثقوبه

ولكنه بعد هذه الابيات الرائعة ٠٠ ضاق عليه القميص الحديدي للقافية ٠٠ فسقط في التعميمات ، والتفلسف الذى لا رصيد له من فلسفة ، والكلمات المبتذلة ٠٠ من ذلك هذه الابيات :

انها ليست عصورا فهي الكل في الواحد ، في الذات الرحيبة

ومن الافكار الصبيانية قوله :

ارضها لا تعرف الموت ، فما   الموت الا عودة اخرى قريبة

اى تجف الارض حين ينحسر النيل ، وتخضر حين يعود ٠٠

تعبر القطرة في النيل فمن   حولها الرقص، وأعياد الخصوبة
فاذا البحر طواها نفرت   وأعاد الماء للنيل هروبه

ولقد عجز ان يوحي لنا بان مصر تغفو ثم تصحو ، كأرضها ، ذلك لان القافية قد حدت من تحرره ، وهو يثنى على الشعب ، ولكنه يقول عنه :

صدر عن وزارة الاعلام

في السلسلة الاعلامية

كتـــاب

اعلام الثورة والمهمات الاساسية

تأليف

عبدالكريم مكي

من مطبوعات
وزارة الاعـــلام
في الجمهورية العراقية

عصير

العنب

الخالص

السعر

٢٠

فلسا

في جميع

انحاء العراق



انتاج

الشركة العـــامة للمشروبات الغازية

صدر عن وزارة الاعلام

في سلسلة ديوان الشعر العربي الحديث

قمر شيراز

شـــعر

عبدالوهاب البياتي

من مطبوعات
وزارة الاعـــلام
في الجمهورية العراقية

صدر عن وزارة الاعلام

في سلسلة القصة والمسرحية

كتـــاب

الزويل

تأليف

جمال الغيطاني

من مطبوعات
وزارة الاعـــلام
في الجمهورية العراقية

صدر عن وزارة الاعلام

في السلسلة الوثائقية

كتـــاب

ميثاق العمل الوطني

باللغـــات :

العربية ، والانكليزية ، والفرنسية ، والتركمانية

من مطبوعات
وزارة الاعـــلام
في الجمهورية العراقية

ثبت العدد

الصحيفة

صدر عن وزارة الاعلام

في سلسلة ديوان الشعر العربي الحديث

الجزء ٤ من

ديوان الجواهري

شعـــر

محمد مهدي الجواهري

من مطبوعات
وزارة الاعـــلام
في الجمهورية العراقية

صدر عن وزارة الاعلام

في السلسلة الفنية

كتـــاب

فن الملصقات في العراق

تأليف

ضياء العزاوي

من مطبوعات
وزارة الاعـــلام
في الجمهورية العراقية

صدر عن وزارة الاعلام

في السلسلة الاعلامية

كتــاب

في المسألة الزراعية

تأليف

عامر الخشالي

من مطبوعات
وزارة الاعــلام
في الجمهورية العراقية

صدر عن وزارة الاعلام

في سلسلة الكتب المترجمة

كتـــاب

رؤية شرقية

ترجمـــة

عدنان بغجاتي

من مطبوعات
وزارة الاعـــلام
في الجمهورية العراقية

الصحيفة

★

AL-KITAB

A MONTHLY CULTURAL REVIEW

ISSUED BY: IRAQI AUTHORS & WRITERS UNION

No. 4 Vol. 9 April 1975

P.O.B. 4068 — Baghdad

ثمن النسخة (١٥٠) فلس

دار الحرية للطباعة . بغداد